المراسلات المتبادلة

بين

الشريف حسين والعثمانيين

١٩٠٨ - ١٩١٨

دراسة تحليليّة

الدكتور

كليب سعود الفواز

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٧/٥/٦٤٦)

رقم التصنيف : ٩٥٦,٥٠٨

المؤلف ومن هو في حكمه : كاسب سعود الفواز

عنوان الكتاب : الرسائل المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين ١٩٠٨-١٩١٨ دراسة تحليلية

الموضوع الرئيسي : ١ - التاريخ والجغرافيا
٢ - التاريخ العربي الاسلامي-الشريف حسين

رقم الايداع : (١٩٩٧/٥/٦٤٦)

بيانات النشر :

* - تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الإهداء

في حياة الأنسان لحظات تختلط فيها مشاعر الحزن العميق والفرح الصادق وتلك معادلة لا يدركها إلا من عاشها ، وفي احدى تلك اللحظات الصادقة مع كل ما تحمله من مشاعر يصعب على الأنسان تحملها ، أدركت بأنني قد حققت قَسَم والدي المرحوم سعود الفواز وبنفس اللحظة تمنيت لو كان شقيقي المرحوم حماده الفواز على قيد الحياة ليرى نتيجة جهده .

فوالدي قد أقسم بأن يوصلني الى أعلى مراتب العلم وشقيقي تعهد بإيفاء القسم والأخذ بيدي ، فإلى روح من أقسم وإلى روح من أكمل المشوار ... إلى تلك الارواح الطاهرة المؤمنة التي كافحت بالجهد وصدق الكلمة ، أقدم هذا الجهد المتواضع عرفاناً بجميل الأبوة والأخوة الصادقة .

الباحث

كليب سعود الفواز

المحتويـــــات

الموضـــوع	الصفحـــة

شكر وتقدير

الحمد لله وحده الذي انعم علي في انجاز هذا البحث لكن الوفاء يفرض علي ان اسجل شكري وتقديري لتلك العقول الكبيرة والنيرة المؤمنه برسالتها السامية والمضحية بجهدها ووقتها لتنير الطريق أمام ابناء هذه الامة لتغدقهم بوافر خبرتها ومعرفتها ، فإليهم اينما كانوا وافر الشكر والامتنان .

وفي هذا المجال لا بد ان اسجل مع التقدير شكري للاستاذ طارق الحمداني المشرف على هذه الرسالة فقد كان ومنذ اللحظة الاولى الداعم والراعي وكان لجهده وخبرته العلمية اسهاما مباشرا في انجازها .

كما لا يفوتني ان أسجل بالتقدير التوجيهات والارشادات القيمه التي بذلها معي اساتذتي الكرام ومنهم الدكتور يحيى الشاهرلي والدكتور صادق الحلو والكتور حسن الجاف والدكتور نوري العاني.

كما انني اخص بالشكر الاخوة الذين قدموا لي المساعدة وآزروني في بحثي ومنهم الدكتور يحيى الشاهرلي والدكتور عبدالامير محسن جبار حيث شجعوني على انجاز البحث وقاموا بتزويدي ببعض المصادر التي غطت جوانب أساسية من البحث اضافة الى الاساتذة الافاضل الذين تحملوا عناء قراءة فصولها وقوموها من نواحيها اللغوية والفكرية والعلمية .

ولا يفوتني ان اسجل امتناني لمن اسهموا في تذليل الكثير من الصعوبات ومنهم الدكتور محمد المشهداني .

كذلك فان الواجب يفرض علي ان اقدم الشكر للذين تحملوا معي عناء السهر والمشقة ووفروا لي الوقت والمكان الكافي للعمل وهم اصحاب

بيتي ورفقاء دربي زوجتي العزيزة وابنائي وقاموا بشدّ ازري واعانوني فلهم كل الحب والتقدير .

ولا بد ان ابين بالاعتزاز الدور الذي قام به الفريق حميدي الفايز لتبنيه فكرة طباعة هذا الكتاب وتنفيذها وسؤاله المستمر الى أين وصلنا في طباعته ، فله الشكر والتقدير وأكثر الله من أمثاله وأمد في عمره . وعلي ان أقر بانه لولا الدور المميز الذي قامت به القوات المسلحة ممثلة برئيس هيئة أركانها ومدير التوجيه المعنوي وضباطه وأخيرا المطابع العسكرية ومديرها لمّا خرج هذا الجهد الى القراء ، فلهم جميعا مني الشكر والتقدير ومهما كتبت في هذه السطور فلن افيهم حقهم لأن جهدهم كان كبير ومساهمتهم كانت مثمرة .

وأخيراً فإن الكلمات تقف عاجزة عن الشكر لإخواني في وزارة الخارجية الذين تحملوا عنا المشاركة في إخراج هذا الكتاب وانني التمس العذر منهم لانني مدرك بأنني قد اثقلت عليهم بالمراجعة والطباعة وأخذت من وقتهم الكثير ، وهم الأخ ياسر العواملة والأخت فائقة شمس الدين . وفي الحقيقة فإن جهد الصديق ياسر العواملة مميزاً اظهر من خلاله الصدق والإخلاص في التعامل والإتقان.

ربنا وفقنا جميعاً لما فيه مصلحة أمتنا ووطننا الحبيب والعذر لمن قد أكون نسيت ان أذكرة .

والله من وراء القصد

الباحث

كليب سعود الفواز

﴿ المقدمة ﴾

المقدمـــة

تنـاول البـاحثون والاكـاديميون علاقـات اشـراف مكـة وبشـكل خـاص علاقـات الشريف حسين بالبريطانيين بالبحث والدراسة في حين ركز فريق آخر علـى علاقـات العثمانيين بأشراف مكة ضمن حلقة واحدة متشابهة هي احداث الثورة العربية الكـبرى بينما مسألة تناول العلاقات في ضوء المراسلات المتبادلة بينهما مسألة تفتقر بـل تنـدر على حدّ علمنا الى دراسة اكاديمية تتناول مثل هذا الموضوع .

ان هذه العوامل الاساسية مجتمعة قد دفعتنـا لاختيـار المراسـلات بيـن الشـريف حسين والعثمانيين موضوعا للدراسة لاعتقادنا ان الدراسات التاريخية الاكاديمية التـي تتناول هذه العلاقـة تسـير ببطء فـي جامعاتنـا العربيـة والأردنيـة بشـكل خـاص رغـم امتلاكها ثروة وثائقية ومعلوماتية كبيرة .

ولقد جاء الاختيار للفـترة (١٩٠٨ – ١٩١٨) لانهـا شـهدت قـدوم قـواً جديـدة للمنطقة وانهيار قواً كانت مسيطرة لفترة زمنية طويلة الأمر الذي أدى الى تغييرا فـي موازيـن القـوى فـي العـالم وتعقيـدا فـي زخـم الحركـة الوطنيـة وبلـورة فـي الافكـار والتيارات السياسية في الوطـن العربـي والتـي كـان للشـريف حسـين بـن علـي الـدور الفاعل والمؤثر فيها . وقد مثـل عـام ١٩٠٨ بدايـة لتلـك الفـترة التـي ندرسـها ، حيـث حصل الشريف حسين على الفرمان السلطاني بتوليه إمارة مكـة المكرمـة وشـرافتها ، فضلا عن إعلان الاتحاديين ثورتهم . بينما مثل عام ١٩١٨ النهاية لتلـك الفـترة التـي ندرسها ، لانه العام الذي توقفت فيه عمليات الثورة العربية وانهيار الدولة العثمانية .

ويأتي اختيارنا لهذه الفترة من تاريخ أشراف مكة المكرمة لانها لم تحـظ بعنايـة البـاحثين العـرب والأجـانب بقـدر كـاف ، إذ لـم تنـل الكثـير مـن المواضيـع الخاصـة بالأشراف ما تستحقه من دراسة وتمحيـص ، ومـن بينهـا " المراسـلات المتبادلـة بيـن الشريف حسين والعثمانيين " التي لم تبحث بحثا أكاديميا مستقلا علـى الإطـلاق . كمـا إن طبيعـة الحقبـة بأحداثهـا ، ومتغيراتهـا السريعـة ، وتناقضاتهـا الواضحـة انعكسـت بشكل مباشر على أوضـاع الحجاز والدولة العثمانية وبـالتحديد تطوراتهمـا السياسـية .

لذا فان تكريس رسالة علمية لدراسة " المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين" إبان تلك الحقبة المليئة بالأحداث أمر له مبرراته الموضوعية.

تتألف الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . الفصل الأول ، فصل تمهيدي لدراسة العلاقات بين أشراف مكة والعثمانيين منذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية عام ١٥١٧م اثر إرسال الشريف بركات ابن محمد شريف مكة المكرمة ابنة أبى نمي إلى القاهرة ، لتقديم كتاب البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول ، واستعرض الفصل اللمحات العامة حتى توليه الشريف حسين عليها عام ١٩٠٨ . وجاء هذا في مبحثين ، استعراض المبحث الأول إقليم الحجاز وأشراف مكة المكرمة ، من النواحي الجغرافية والتاريخية والدينية ، وركز الثاني على موقف العثمانيين من منصب الشرافة إبان الحقبة (١٥١٧ - ١٩٠٨) ، مبينا مدى تأثير هذا الموقف في بلورة الوعي السياسي للأشراف من جهة ، وزيادة حدة التنافس لنيل منصب الشرافة بينهما من جهة أخرى.

ولأهمية الفترة التي تبدأ بتولي الشريف حسين منصب الامارة عام ١٩٠٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الاولى فقد كرسنا لها الفصل الثاني من الرسالة حيث ان هذه الفترة حافلة بالاحداث السياسية الهامة ، الأمر الذي انعكس على طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين . وقد تميزت الفترة بمطالبة الشريف حسين بمنصب الشرافة ، موضحين ذلك بالمراسلات التمهيدية بين الشريف حسين والعثمانيين . وعالجنا في هذا الفصل المراسلات المتعلقة بتولي الشريف حسين منصب الشرافة ، وتأثير ذلك في حرصه على إعادة المكانة الدينية للحجاز وموقف الاتحاديين منها ، واشار الفصل الى جهود الشريف حسين وأولاده في تحدي سياسة الاتحاديين الطورانية ، وبيان اثر الصراع الشريفي - العثماني على سيادة الحجاز . كما تتبع الفصل المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والخاصة بتطبيق السياسة المركزية ، في الحجاز واعتباره ولاية لا تختلف عن باقي الولايات العثمانية وذلك بمحاولات شموله بنظام قانون الولايات العثماني ومد سكة الحديد الى مكة ، واثر ذلك في تدهور العلاقات مع أشراف مكة ، مبينين ذلك من خلال المراسلات المتبادلة بين

مسؤولي الدولة العثمانية وألشريف حسين وأولاده من جهة وبين الأشراف أنفسهم من جهة أخرى .

وبحثنا في الفصل الثالث " المراسلات الشريفية العثمانية حتى إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦ " وتناولنا فيه المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين بشأن رغبة الأخيرين في دخول الحرب العالمية الأولى ، وجهود الشريف حسين للاحالة دون تحقيق ذلك ، وقد حاولنا بيان موقف الشريف حسين وأولاده من الضغوط العثمانية الرامية لاستحصال فتوى بالجهاد المقدس من أمير مكة المكرمة الشريف حسين بن علي ، مبينين ذكاء ودهاء الشريف في كيفية التخلص من هذا الموقف الحرج بالتلويح لهم بولائه للدولة العثمانية واخلاصه في تنفيذ أهدافهم ومنها مشاركته المباشرة في حملة القناة الأولى ، كما أشار الفصل إلى طبيعة المراسلات بعد فشل تلك الحملة ، وكيف كشفت تلك المراسلات عن حقيقة سياسة الاتحاديين اتجاه أشراف مكة خصوصا وعن الأحرار العرب عموما ، مبينين غطرسة وجبروت الثالوث الاتحادي (أنور وجمال وطلعت) في تلك السياسة . واستقصى الفصل المواقف الثابتة للشريف وأولاده والخاصة بضرورة تمتع الحجاز بمكانتها السامية فضلا عن المطالب القومية والوطنية التحررية الأخرى ، حيث تصدى الفصل إلى موقف الشريف وأولاده إزاء الضغوط العثمانية المتكررة بإعلان الجهاد ، ودورها في إنضاج مسوغات أسباب إعلان الشريف حسين ثورته على الاتحاديين ، بعد أن مهد الفصل في إتباع الشريف وأولاده لأسلوب المهادنة مع الاتحاديين في سبيل سحب جميع القادة الحجازيين من تحت أيدي الاتحاديين وأمام عيونهم ومن ثم ليعلنوا ثورتهم في ١٠ حزيران ١٩١٦ .

أما الفصل الرابع " المراسلات الحجازية – العثمانية إبان الثورة العربية ١٩١٦ – ١٩١٨ " ، فقد تتبع أسباب الثورة وأهدافها من خلال المراسلات المتبادلة بين الجانبين ، والتي أدت إلى بلورة الوعي السياسي لدى غالبية العرب والمسلمين في تقبل الثورة ضد الأتحاديين . وتعرض الفصل في بيان ذلك إلى تحليل المنشورات التي أصدرها الشريف حسين والمراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها مع أولاده

اوقادته فضلا عن المراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها الشريف وأولاده مع الاتحاديين . وتعرض الفصل إلى موقف الاتحاديين من الثورة ، وما رافق ذلك من استياء رسمي عثماني منها . وزاد هذا الأمر من حدة الصراع بين الأشراف والاتحاديين ، وزعزعة الاستقرار السياسي العثماني في الولايات العربية ، ومثلت ضربة للنفوذ العثماني في تلك الولايات . وغطى الفصل جهود الاتحاديين في تلافي الأزمة بتقديمهم الصلح مع القادة الحجازيين ، واستعرض الفصل المباحثات الحجازية – العثمانية لتحقيق ذلك . وجرى التعرض في الفصل نفسه إلى تمسك الشريف حسين وأولاده بضرورة تحقيق استقلال وحرية العرب وفق نظام لا مركزي مع الدولة العثمانية ، إذ عمق ذلك من حدة الصراع بين الجانبين . وكشف الفصل عن المراسلات الختامية بين الجانبين والتي أعقبها انتهاء العمليات العسكرية للثورة العربية ، التي سجل الاتحاديون اعترافهم في مراسلاتهم بأهمية تلك الثورة ودورها الفعال والمؤثر في انهيار الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب.

وتصدى الفصل الخامس إلى " طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين وتطورها ١٩٠٨ – ١٩١٨ " ، إذ تعرضت الفقرة الأولى منه لدراسة صيغ المراسلات وتطورها ، والتي جاءت على صورتين مباشرة وغير مباشرة . فالمراسلات المباشرة جاءت بصيغ متعددة منها ، الفرمانات الصادرة من الباب العالي لأمير مكة المكرمة وشريفها والتي كانت تتجدد كل سنة ، وصيغة المراسلات المتبادلة باليد بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده . أو صيغة الاتصالات آو المباحثات المباشرة بين مسؤولي الجانبين وهي عبارة عن مراسلات شفهية غير خطية ، وهذه الصيغة من المراسلات تكون في الحالات الاعتيادية . وعالج الفصل تلك الصيغة في الحالات المستعجلة ، إذ جاءت المراسلات المباشرة في هذه الحالات بصيغ البرقيات المستعجلة والاتصالات اللاسلكية ، فضلا عن المراسلات بالنيابة أو الوكالة . أما هيئة المراسلات غير المباشرة فقد صنفنا الفصل إلى ثلاث صيغ ، المنشورات صيغة للمراسلات ، والمراسلات من خلال الصحف ، واخيرا المراسلات من خلال الوساطات الشخصية . أما الفقرة الثانية فقد عالجت

لهجة المراسلات وتطورها ، مبينا ظروف وملابسات تطور اللهجة من حال إلى حال إذ شهدت المراسلات لهجات التودد ، الاحترام المتبادل ، الاستشارة ، التحذير ، التهديد والوعيد ، وغيرها . ونظرا لورود اكثر من لهجة في الفترة الواحدة ، فقد كان من الصعب معالجتها على اساس طبيعة اللهجات ، لذا ارتأينا معالجتها على أساس المراحل التاريخية . وقد بحثها الفصل في ثلاث مراحل ، ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وما قبل إعلان الثورة العربية ، واخيرا مرحلة الثورة العربية.

ولخصنا في الخاتمة على ما توصلنا اليه من استنتاجات من خلال متابعة المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين وأولاده والعثمانيين إبان الحقبة التي حددتها الدراسة ١٩٠٨ وحتى ١٩١٨ ، وهذا ما عرفناه في خاتمة الرسالة ، وفي الوقت نفسه اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع متنوعة ابرزها ، المصادر والمراجع العربية التي شكلت العمود الفقري لمادة الرسالة ، لتغطيتها الفترة الزمنية موضوع البحث ، وتأتي أهمية تلك المصادر لأنها كتبت من قبل أشخاص عاصروا الأحداث ، واهمها مؤلفات أمين سعيد " الثورة العربية الكبرى " و " أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين " و " ثورة العرب في القرن العشرين " . وكان لمؤلفات سليمان موسى حضور ملموس في الرسالة : ومنها " الحركة العربية " و "المراسلات التاريخية ١٩١٤ – ١٩١٨ " . إضافة إلى مؤلفات زين نورالدين زين الضرورية لأي باحث يتصدى لدراسة الثورة العربية ، وهي " أسباب الثورة العربية الكبرى " و " الصراع الدولي على الشرق الأوسط " . كما استفدنا من كتاب " العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز " لمؤلفه بكر فائق الصواف ، لانه يتضمن معلومات وتفسيرات مهمة أغنت بعض جوانب الرسالة .

وتم التركيز على المذكرات الشخصية في هذه الرسالة على الرغم من الخطورة في تناولها والتركيز عليها لاسباب قد تكون لدى كاتبيها في حينها مما دفعنا الى الدقة في دراستها لكنها مع ذلك زودتنا بمعلومات غاية في الاهمية قد لا تتوفر في مصادر أخرى وأهمها مذكرات الملك عبدالله بوصفها سجلا حافلا بالتفصيلات الأساسية لدراسة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والدولة العثمانية ضمن فترة الرسالة

فضلا عن مذكرات جمال باشا السفاح التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة كهذه وهناك مذكرات جعفر العسكري ومذكرات احمد قدري ومذكرات تحسين العسكري ومذكرات فائز الغصين ، وتأتي أهميتها كونها مصادر أصلية صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ، حيث أسهمت في اغناء الرسالة بالعديد من المعلومات المهمة.

كما واعتمدت الرسالة على المصادر الأجنبية ، التي ساعدتنا إلى حد كبير في الكشف عن جوانب خفية للعديد من المراسلات والوقائع السياسية التي يصعب الوقوف عليها من دون الإطلاع على مضامين هذه المؤلفات وابرزها Sultan Abdullhmaid and The Sharifs of Meeca 1850 - 1900 لمؤلفه - Btrus Abu Manneh فضلا عن مؤلفين ضروريين لأي باحث في تاريخ الحجاز ، لكون مؤلفيها مطلعين على الأحداث وكونهما يمثلان جهة مسؤولة في علاقتها بالحجاز وهما Bermond وكتابه Le Hedaz dans La Cuceremondial payot و Hogarth وكتابه Hejaz before World War وكان لكتاب Ernst Dawn المعنون Form ottomanism to Arabsim بصمات واضحة في معالجة الكثير من الأحداث السياسية المتعلقة بعلاقات الأشراف بالسلطة العثمانية منذ فترتها المبكرة.

كما اعتمدنا على بعض الصحف لانها شكلت سجلا غنياً بالتفصيلات للمراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين إذ نقل بعضها صورا لتلك المراسلات لم ترد في أي مكان آخر . وتأتي في مقدمتها صحيفة القبلة باعتبارها لسان حال الثورة العربية والحكومة الحجازية أولا وكونها صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ثانيا وكون مصادرها أصلية وموثقة ثالثا ، وكذلك فان أية دراسة عن الثورة العربية ومملكة الحجاز دون الإطلاع على القبلة ، أمرا ليس متعسرا فحسب بل مثيرا للحرج .

كما استفدنا من بعض وثائق الأرشيف العثماني باستنبول المحفوظة في أرشيف المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع للجامعة المستنصرية ، والتي لا

يمكن لأي باحث دونها أن يتصدى إلى دراسة علاقات العثمانيين بالولايات العربية ومنها الحجاز.

أما الدوريات العربية فقد شكلت مادة مهمة من مصادر الرسالة ، وتأتي أهميتها لان بعضها قد عالجت أحداثا خاصة بالحجاز ، مما جعلها تغني الرسالة بالعديد من المعلومات الأساسية المهمة.

وفي الختام لا بد ان اعترف بان هذه الرسالة ما هي إلا محاولة لفهم حقبة تاريخية مهمة من تاريخ امتنا لم يسلط عليها الضوء في الدراسات العربية المعاصرة الا وهي " المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والاشراف في مكة ".

اضافة الى ان الحقبة لم تنل نصيبها من الدراسة والتحليل بل ان البعض حين تناولها من نواح اخرى فقد حاول النيل من قيمة الثورة العربية وتناسى بان الاجدر به ان يكون منصفا لفترة مهما اختلفت الاراء فيها الا انها كانت رافداً معبرا عن طموحات أمة عانت الكثير ورأت في الثورة مخرجا لتلك المعاناة .

ونرجو الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في اختيارنا وطرحنا لعل وعسى ان نكون قد ساهمنا من خلال هذه الدراسة باضافة جديدة في حقل المعرفة لبعض التفاصيل عن تاريخ امتنا الماجدة .

والله نسأل التوفيق

الفصل الأول

العثمانيون وشرفاء مكة
حتى تولية الشريف حسين الشرافة عام ١٩٠٨

المقدمـــة

تنـاول البـاحثون والاكـاديميون علاقـات اشـراف مكـة وبشـكل خـاص علاقـات الشريف حسين بالبريطانيين بالبحث والدراسة في حين ركز فريق آخر علـى علاقـات العثمانيين بأشراف مكة ضمن حلقة واحدة متشابهة هي احداث الثورة العربية الكـبرى بينما مسألة تناول العلاقات في ضوء المراسلات المتبادلة بينهما مسألة تفتقر بـل تنـدر على حدّ علمنا الى دراسة اكاديمية تتناول مثل هذا الموضوع .

ان هذه العوامل الاساسية مجتمعة قد دفعتنـا لاختيـار المراسـلات بيـن الشـريف حسين والعثمانيين موضوعا للدراسة لاعتقادنا ان الدراسات التاريخية الاكاديمية التـي تتناول هذه العلاقـة تسير ببـطء فـي جامعاتنـا العربيـة والأردنيـة بشـكل خـاص رغـم امتلاكها ثروة وثائقية ومعلوماتية كبيرة .

ولقد جاء الاختيار للفـترة (١٩٠٨ – ١٩١٨) لانهـا شـهدت قـدوم قـواً جديـدة للمنطقة وانهيار قواً كانت مسيطرة لفترة زمنية طويلة الأمر الذي أدى الى تغييرا فـي موازيـن القـوى فـي العـالم وتعقيـدا فـي زخـم الحركـة الوطنيـة وبلـورة فـي الافكـار والتيارات السياسية في الوطـن العربـي والتـي كـان للشـريف حسـين بـن علـي الـدور الفاعل والمؤثر فيها . وقد مثـل عـام ١٩٠٨ بدايـة لتلـك الفـترة التـي ندرسـها ، حيـث حصل الشريف حسين على الفرمان السلطاني بتوليه إمارة مكـة المكرمـة وشـرافتها ، فضلا عن إعلان الاتحاديين ثورتهم . بينما مثل عام ١٩١٨ النهاية لتلـك الفـترة التـي ندرسها ، لانه العام الذي توقفت فيه عمليات الثورة العربية وانهيار الدولة العثمانية .

ويأتي اختيارنا لهذه الفترة من تاريخ أشراف مكة المكرمة لانها لم تحـظ بعنايـة البـاحثين العـرب والأجـانب بقـدر كـاف ، إذ لـم تنـل الكثـير مـن المواضيـع الخاصـــة بالأشراف ما تستحقه من دراسة وتمحيص ، ومـن بينهـا "المراسـلات المتبادلـة بيـن الشريف حسين والعثمانيين " التي لم تبحث بحثا أكاديميا مستقلا علـى الإطـلاق . كمـا إن طبيعـة الحقبـة بأحداثهـا ، ومتغيراتهـا السريعـة ، وتناقضاتهـا الواضحـة انعكسـت بشكل مباشر على أوضاع الحجاز والدولة العثمانية وبـالتحديد تطوراتهمـا السياسـية .

لذا فان تكريس رسالة علمية لدراسة " المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين" إبان تلك الحقبة المليئة بالأحداث أمر له مبرراته الموضوعية.

تتألف الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة . الفصل الأول ، فصل تمهيدي لدراسة العلاقات بين أشراف مكة والعثمانيين منذ دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية عام ١٥١٧م اثر إرسال الشريف بركات ابن محمد شريف مكة المكرمة ابنة أبى نمي إلى القاهرة ، لتقديم كتاب البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول ، واستعرض الفصل اللمحات العامة حتى توليه الشريف حسين عليها عام ١٩٠٨ . وجاء هذا في مبحثين ، استعراض المبحث الأول إقليم الحجاز وأشراف مكة المكرمة ، من النواحي الجغرافية والتاريخية والدينية ، وركز الثاني على موقف العثمانيين من منصب الشرافة إبان الحقبة (١٥١٧ - ١٩٠٨) ، مبينا مدى تأثير هذا الموقف في بلورة الوعي السياسي للأشراف من جهة ، وزيادة حدة التنافس لنيل منصب الشرافة بينهما من جهة أخرى.

ولأهمية الفترة التي تبدأ بتولي الشريف حسين منصب الامارة عام ١٩٠٨ وحتى اندلاع الحرب العالمية الاولى فقد كرسنا لها الفصل الثاني من الرسالة حيث ان هذه الفترة حافلة بالاحداث السياسية الهامة ، الأمر الذي انعكس على طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين . وقد تميزت الفترة بمطالبة الشريف حسين بمنصب الشرافة ، موضحين ذلك بالمراسلات التمهيدية بين الشريف حسين والعثمانيين . وعالجنا في هذا الفصل المراسلات المتعلقة بتولي الشريف حسين منصب الشرافة ، وتأثير ذلك في حرصه على إعادة المكانة الدينية للحجاز وموقف الاتحاديين منها ، واشار الفصل الى جهود الشريف حسين وأولاده في تحدي سياسة الاتحاديين الطورانية ، وبيان اثر الصراع الشريفي - العثماني على سيادة الحجاز . كما تتبع الفصل المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والخاصة بتطبيق السياسة المركزية ، في الحجاز واعتباره ولاية لا تختلف عن باقي الولايات العثمانية وذلك بمحاولات شموله بنظام قانون الولايات العثماني ومد سكة الحديد الى مكة ، واثر ذلك في تدهور العلاقات مع أشراف مكة ، مبينين ذلك من خلال المراسلات المتبادلة بين

مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده من جهة وبين الأشراف أنفسهم من جهة أخرى .

وبحثنا في الفصل الثالث " المراسلات الشريفية العثمانية حتى إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦ " وتناولنا فيه المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين بشأن رغبة الأخيرين في دخول الحرب العالمية الأولى ، وجهود الشريف حسين للاحالة دون تحقيق ذلك ، وقد حاولنا بيان موقف الشريف حسين وأولاده من الضغوط العثمانية الرامية لاستحصال فتوى بالجهاد المقدس من أمير مكة المكرمة الشريف حسين بن علي ، مبينين ذكاء ودهاء الشريف في كيفية التخلص من هذا الموقف الحرج بالتلويح لهم بولائه للدولة العثمانية واخلاصه في تنفيذ أهدافهم ومنها مشاركته المباشرة في حملة القناة الأولى ، كما أشار الفصل إلى طبيعة المراسلات بعد فشل تلك الحملة ، وكيف كشفت تلك المراسلات عن حقيقة سياسة الاتحاديين اتجاه أشراف مكة خصوصا وعن الأحرار العرب عموما ، مبينين غطرسة وجبروت الثالوث الاتحادي (أنور وجمال وطلعت) في تلك السياسة . واستقصى الفصل المواقف الثابتة للشريف وأولاده والخاصة بضرورة تمتع الحجاز بمكانتها السامية فضلا عن المطالب القومية والوطنية التحررية الأخرى ، حيث تصدى الفصل إلى موقف الشريف وأولاده إزاء الضغوط العثمانية المتكررة بإعلان الجهاد ، ودورها في إنضاج مسوغات أسباب إعلان الشريف حسين ثورته على الاتحاديين ، بعد أن مهد الفصل في إتباع الشريف وأولاده لأسلوب المهادنة مع الاتحاديين في سبيل سحب جميع القادة الحجازيين من تحت أيدي الاتحاديين وأمام عيونهم ومن ثم ليعلنوا ثورتهم في ١٠ حزيران ١٩١٦ .

أما الفصل الرابع " المراسلات الحجازية – العثمانية إبان الثورة العربية ١٩١٦ – ١٩١٨ " ، فقد تتبع أسباب الثورة وأهدافها من خلال المراسلات المتبادلة بين الجانبين ، والتي أدت إلى بلورة الوعي السياسي لدى غالبية العرب والمسلمين في تقبل الثورة ضد الأتحاديين . وتعرض الفصل في بيان ذلك إلى تحليل المنشورات التي أصدرها الشريف حسين والمراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها مع أولاده

اوقادته فضلا عن المراسلات والتصريحات التي كان يتبادلها الشريف وأولاده الاتحاديين . وتعرض الفصل إلى موقف الاتحاديين من الثورة ، وما رافق ذلك استياء رسمي عثماني منها . وزاد هذا الأمر من حدة الصراع بين الأشـ والاتحاديين ، وزعزعة الاستقرار السياسي العثماني في الولايات العربية ، وه ضربة للنفوذ العثماني في تلك الولايات . وغطى الفصل جهود الاتحاديين في ت الأزمة بتقديمهم الصلح مع القادة الحجازيين ، واستعرض الفصل المباحـ الحجازية – العثمانية لتحقيق ذلك . وجرى التعرض في الفصل نفسه إلى تـ الشريف حسين وأولاده بضرورة تحقيق استقلال وحرية العرب وفق نظام لا مرﻛ مع الدولة العثمانية ، إذ عمق ذلك من حدة الصراع بين الجانبين . وكشف الفصل المراسلات الختامية بين الجانبين والتي أعقبها انتهاء العمليات العسكرية للثـ العربية ، التي سجل الاتحاديون اعترافهم في مراسلاتهم بأهمية تلك الثورة ودو الفعال والمؤثر في انهيار الدولة العثمانية وهزيمتها في الحرب.

وتصدى الفصل الخامس إلى " طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حـ والعثمانيين وتطورها ١٩٠٨ – ١٩١٨ " ، إذ تعرضت الفقرة الأولى منه لدر صيغ المراسلات وتطورها ، والتي جاءت على صورتين مباشرة وغير مباشـ فالمراسلات المباشرة جاءت بصيغ متعددة منها ، الفرمانات الصادرة من الباب الـ لأمير مكة المكرمة وشريفها والتي كانت تتجدد كل سنة ، وصيغة المراسـ المتبادلة باليد بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين وأولاده . أو صـ الاتصالات أو المباحثات المباشرة بين مسؤولي الجانبين وهي عبارة عن مراسـ شفهية غير خطية ، وهذه الصيغة من المراسلات تكون في الحالات الاعتيا وعالج الفصل تلك الصيغة في الحالات المستعجلة ، إذ جاءت المراسلات المباشر هذه الحالات بصيغ البرقيات المستعجلة والاتصالات اللاسلكية ، فضلا المراسلات بالنيابة أو الوكالة . أما هيئة المراسلات غير المباشرة فقد صنفنا الـ إلى ثلاث صيغ ، المنشورات صيغة للمراسلات ، والمراسلات من خلال الصحـ واخيرا المراسلات من خلال الوساطات الشخصية . أما الفقرة الثانية فقد عـ

لهجة المراسلات وتطورها ، مبينا ظروف وملابسات تطور اللهجة من حال إلى حال إذ شهدت المراسلات لهجات التودد ، الاحترام المتبادل ، الاستشارة ، التحذير ، التهديد والوعيد ، وغيرها . ونظرا لورود اكثر من لهجة في الفترة الواحدة ، فقد كان من الصعب معالجتها على اساس طبيعة اللهجات ، لذا ارتأينا معالجتها على أساس المراحل التاريخية . وقد بحثها الفصل في ثلاث مراحل ، ما قبل الحرب العالمية الأولى ، وما قبل إعلان الثورة العربية ، واخيرا مرحلة الثورة العربية.

ولخصنا في الخاتمة على ما توصلنا اليه من استنتاجات من خلال متابعة المراسلات المتبادلة بين الشريف الحسين وأولاده والعثمانيين إبان الحقبة التي حددتها الدراسة ١٩٠٨ وحتى ١٩١٨ ، وهذا ما عرفناه في خاتمة الرسالة ، وفي الوقت نفسه اعتمدت الرسالة على مصادر ومراجع متنوعة ابرزها ، المصادر والمراجع العربية التي شكلت العمود الفقري لمادة الرسالة ، لتغطيتها الفترة الزمنية موضوع البحث ، وتأتي أهمية تلك المصادر لأنها كتبت من قبل أشخاص عاصروا الأحداث ، واهمها مؤلفات أمين سعيد " الثورة العربية الكبرى " و " أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين " و " ثورة العرب في القرن العشرين " . وكان لمؤلفات سليمان موسى حضور ملموس في الرسالة : ومنها " الحركة العربية " و "المراسلات التاريخية ١٩١٤ - ١٩١٨ " . إضافة إلى مؤلفات زين نورالدين زين الضرورية لأي باحث يتصدى لدراسة الثورة العربية ، وهي " أسباب الثورة العربية الكبرى " و " الصراع الدولي على الشرق الأوسط " . كما استفدنا من كتاب " العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز " لمؤلفه بكر فائق الصواف ، لانه يتضمن معلومات وتفسيرات مهمة أغنت بعض جوانب الرسالة .

وتم التركيز على المذكرات الشخصية في هذه الرسالة على الرغم من الخطورة في تناولها والتركيز عليها لاسباب قد تكون لدى كاتبيها في حينها مما دفعنا الى الدقة في دراستها لكنها مع ذلك زودتنا بمعلومات غاية في الاهمية قد لا تتوفر في مصادر أخرى وأهمها مذكرات الملك عبدالله بوصفها سجلا حافلا بالتفصيلات الأساسية لدراسة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والدولة العثمانية ضمن فترة الرسالة

فضلا عن مذكرات جمال باشا السفاح التي لا يمكن الاستغناء عنها في دراسة كهذه وهناك مذكرات جعفر العسكري ومذكرات احمد قدري ومذكرات تحسين العسكري ومذكرات فائز الغصين ، وتأتي أهميتها كونها مصادر أصلية صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ، حيث أسهمت في اغناء الرسالة بالعديد من المعلومات المهمة.

كما واعتمدت الرسالة على المصادر الأجنبية ، التي ساعدتنا إلى حد كبير في الكشف عن جوانب خفية للعديد من المراسلات والوقائع السياسية التي يصعب الوقوف عليها من دون الإطلاع على مضامين هذه المؤلفات وابرزها Sultan Abdullhmaid and The Sharifs of Meeca 1850 - 1900 لمؤلفه Btrus Abu - Manneh فضلا عن مؤلفين ضروريين لأي باحث في تاريخ الحجاز ، لكون مؤلفيها مطلعين على الأحداث وكونهما يمثلان جهة مسؤولة في علاقتها بالحجاز وهما Bermond وكتابه Le Hedaz dans La Cuceremondial payot و Hogarth وكتابه Hejaz before World War وكان لكتاب Ernst Dawn المعنون Form ottomanism to Arabsim بصمات واضحة في معالجة الكثير من الأحداث السياسية المتعلقة بعلاقات الأشراف بالسلطة العثمانية منذ فترتها المبكرة.

كما اعتمدنا على بعض الصحف لانها شكلت سجلا غنياً بالتفصيلات للمراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين إذ نقل بعضها صورا لتلك المراسلات لم ترد في أي مكان آخر . وتأتي في مقدمتها صحيفة القبلة باعتبارها لسان حال الثورة العربية والحكومة الحجازية أولا وكونها صادرة عن جهة مسؤولة أو مطلعة على الأحداث ثانيا وكون مصادرها أصلية وموثقة ثالثا ، وكذلك فان أية دراسة عن الثورة العربية ومملكة الحجاز دون الإطلاع على القبلة ، أمرا ليس متعسرا فحسب بل مثيرا للحرج .

كما استفدنا من بعض وثائق الأرشيف العثماني باستنبول المحفوظة في أرشيف المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع للجامعة المستنصرية ، والتي لا

يمكن لأي باحث دونها أن يتصدى إلى دراسة علاقات العثمانيين بالولايات العربية ومنها الحجاز.

أما الدوريات العربية فقد شكلت مادة مهمة من مصادر الرسالة ، وتأتي أهميتها لان بعضها قد عالجت أحداثا خاصة بالحجاز ، مما جعلها تغني الرسالة بالعديد من المعلومات الأساسية المهمة.

وفي الختام لا بد ان اعترف بان هذه الرسالة ما هي إلا محاولة لفهم حقبة تاريخية مهمة من تاريخ امتنا لم يسلط عليها الضوء في الدراسات العربية المعاصرة الا وهي " المراسلات المتبادلة بين العثمانيين والاشراف في مكة ".

اضافة الى ان الحقبة لم تنل نصيبها من الدراسة والتحليل بل ان البعض حين تناولها من نواح اخرى فقد حاول النيل من قيمة الثورة العربية وتناسى بان الاجدر به ان يكون منصفا لفترة مهما اختلفت الاراء فيها الا انها كانت رافداً معبرا عن طموحات أمة عانت الكثير ورأت في الثورة مخرجا لتلك المعاناة .

ونرجو الله العلي القدير ان نكون قد وفقنا في اختيارنا وطرحنا لعل وعسى ان نكون قد ساهمنا من خلال هذه الدراسة باضافة جديدة في حقل المعرفة لبعض التفاصيل عن تاريخ امتنا الماجدة .

والله نسأل التوفيق

الفصل الأول

العثمانيون وشرفاء مكة

حتى تولية الشريف حسين الشرافة عام ١٩٠٨

الفصل الأول

العثمانيون وشرفاء مكة حتى تولية الشريف حسين عام ١٩٠٨

١- إقليم الحجاز وأشراف مكة

٢- العثمانيون ومنصب الشرافة قبيل عام ١٩٠٨

١- إقليم الحجاز وأشراف مكة :

يعد الحجاز ، منطقة قديمة وعريقة مكتسبة عراقتها بوجود الكعبة المقدسة ، ومقام سيدنا النبي إبراهيم عليه السلام ، وانبعاث الرسالة الإسلامية في مكة ، وهي مدينة تحتضنها الجبال بواد غير ذي زرع[١] ، وهي العاصمة الإسلامية – الدينية التي ارتبطت بها جذور الإسلام [٢] .

ومن الناحية الجغرافية ، فالحجاز إقليم مستطيل يشغل الجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية على شاطئ البحر الأحمر ، واغلب أراضيه قاحلة صخرية وعرة تعاني من الجفاف ، بسبب ندرة هطول الأمطار عليها – باستثناء الطائف – ، الأمر الذي ينعكس سلبياً على موارد البلاد المائية مما يؤدي الى شحتها . ويقسم الحجاز الى مناطق أربع [٣] ، على نحو عمودي يمتد فيها خط الحجيج الاستراتيجي الذي تسلكه أربع قوافل هي حسب أهميتها :- قافلة الحج الشامي وتضم حجاج بلاد الشام والدولة العثمانية ، وقافلة الحج المصري وتضم حجيج مصر وشمال إفريقيا ، وقافلة

---

[١] القرآن الكريم ، سورة إبراهيم ، آية ٣٦ قوله تعالى "ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم" .

[٢] للمزيد من التفاصيل عن تاريخ مكة ، انظر ما كتبه محمد بن عبدالله الازرقي ، تاريخ مكة ، بيروت ،١٩٦٤ص ٣٢-٣٧ ، احمد السباعي ، تاريخ مكة ، مطابع قريش ، مكة ١٣٨٥هـ ، ج١ ، ص ١١ .

[٣] ومناطق الحجاز الأربع هي : -

أ – الشقة الساحلية ، وهي رملية منخفضة تتخللها الصخور المرجانية .

ب– حزام جبلي احياناً وينخفض احياناً أخرى .

جـ– هضبة ترتفع الى الشمال وتنخفض في الجنوب .

د– المرتفعات الرئيسية في الشرق .

للتفاصيل انظر سليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى ، الحرب في الحجاز ١٩١٦-١٩١٨ ، عمان ، ١٩٨٩ ، ص ص١٦-١٧ .

الحج العراقي وتضم حجاج العراق وبلاد الشام ، وقافلة الحج اليمني وتضم حجيج بلاد اليمن والهند واندونيسيا[١] ٠

ويؤلف الحجاز مدن وقرى رئيسة[٢] ، أبرزها وأقدسها إسلامياً مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، كما أنها العاصمة التاريخية العريقة لقريش وجذورها وأصلابها ، وقريش قبيلة عربية قديمة بقيت متحصنة بمكة وشعابها أجيالاً طويلة [٣] والواقع انه قلما حظيت مدينة مقدسة في التاريخ بمثل هذا الاستقرار السلالي الواضح ٠

وتأتي أهمية مكة من (الشرفاء) الذين بدأوا حياتهم منها وسكنوا فيها ردحاً طويلاً من الزمن ، والذين اتخذوا امتيازهم وقداستهم من هوية انتسابهم الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ٠ وعدا ذلك فإن منصب الشريف[٤] الأكبر يكتسب أهمية خاصة ومنحت له إمارة مكة المكرمة[٥] .

---

(١) فائق بكر الصواف ، العلاقات بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣-١٣٣٤هـ (١٨٧٦-١٩١٦) ، مكة المكرمة ، ص ٤٩ ٠

(٢) أ- تأتي المدينة المنورة بالمرتبة الثانية بعد مكة المكرمة من ناحية قداستها ، وهي مدينة مسورة تقع في واحة كبيرة ، تحيط بها الجبال من ثلاث جهات ، وتحيط بها عشائر قبلية حرب .

ب- مدينة جدة وهي ثغر مكة ومركز للتجارة الخارجية للحجاز .

جـ- ورابع مدن الحجاز فهي الطائف التي تقع على هضبة مرتفعة ، لذلك يقصد اليها الشريف والوالي لقضاء شهور الصيف ، ومعظم قبائلها من عتيبة وثقيف.

د- قرية العقبة التي تقع على رأس خليج العقبة وفيها ينتهي وادي عربة الكبير ، وفيها قلعة قديمة تخزن فيها الحبوب لتموين قوافل الحجاج بالإضافة الى ما تقدم ، توجد في الحجاز قرى وأماكن أخرى أبرزها : تبوك ، والعلا ، والمويلح ، وصبا ، والوجه ، وينبع البحر ، وينبع النخل ، ورابغ ، والليث وغيرها ، للتفاصيل ، انظر موسى ، الثورة ، ص ص ١٨ -٢٠ .

(٣) محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية ، جـ ١ ، مخطوط في دار صدام للمخطوطات برقم ٤٠١٤١

(٤) كلمة الشريف تدل في اللغة على الارتفاع والعلو ، وتطلق على الشخص الحر الذي له آباء متقدمون في الشرافة ، وقد تطور مدلولها تاريخياً ، فكانت تطلق على أصحاب الجاه ورؤساء =

لقد كان أمير مكة المكرمة وشريفها هو المرجع الأعلى في الحجاز ، وصاحب الكلمة العليا في تصريف أمور باديته[1] ، ويتضح الأمر من تمتع الأشراف في مداخلاتهم بجميع قضاياها المحلية ، سواء ما يخص حياتها الدينية كمركز ثابت للتجمع الإسلامي ، ام حياتها الاجتماعية المتميزة عن غيرها بفعل ذلك التجمع السنوي ، وما يخلفه من آثار اقتصادية على حياتها التي يقف على رأسها " الأشراف " بصفتهم الطبقة المتنفذة بجميع المصالح المحلية تلك ، الى جانب نفوذهم الذي يمتد الى البوادي والبطائح كأطراف ولواحق تابعة لعاصمتهم مكة • كما كانوا مرجعاً أعلى للفصل في الخصومات والنزاعات ، والقضايا المتعلقة بالحجيج كخطوط سيرهم نحو مكة واقامتهم فيها [2] ، بقصد توفير سبل الراحة والامان لهم[3]•

= القبائل وكبار القوم قبل الإسلام ثم صار الانتساب الى آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وأقربائه علامة مميزة لهذا اللقب • وقد ذهبت التفسيرات الصادرة من الآيات القرآنية والأحاديث والروايات التاريخية عدة مذاهب في أحقية أي الفروع من الأسرة النبوية في هذا اللقب ، بيد انه كان يدور في أسرة الرسول دون غيرها ، كالعلويين والعباسيين • أما في الحجاز فكانت العادة أن يسمى أبناء (الحسين بن علي) بالشرافة وحدهم نظراً لأن أجدادهم كانوا حكام مكة ، في حين كان يلقب أبناء الحسين بلقب السيد فقط ، ومع ذلك يتكلمون عن الشريف الأكبر بقولهم سيدنا ، انظر دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة العربية ، مادة شريف ، المجلد الثالث عشر ، ص ص ٢٦٦-٢٦٧ •

= [5] محمد طاهر العمري ، مقدرات العراق السياسية ، المطبعة العصرية ، بغداد ، ١٩٢٥ ، جـ ١ ص٣٠٣ وانظر كذلك :

Rich, schofidd and' Gerald Blake, Arabian Boundoniss : Primary Documents 1853-1853, Vol 2 (Archive Editions) England , 1988,P.608.

[1] أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، جـ١ ، القاهرة ، ١٩٣٤ ، ص ١٠٤ •

[2] سيار الجميل ، العثمانيون وتكوين العرب الحديث من اجل بحث رؤيوي معاصرة ، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٩ ، ص ٤٨١ ، نبيه أمين فارس ومحمد توفيق حسن ، هذا العالم العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ٩٧ •

ومما تقدم يمكننا القول بأن اشراف مكة قد تمتعوا بسيادة شبه مركزية على الحجاز ، إذ حفظ لهم منصبهم الديني سلطة روحية نافذة بحكم إدارتهم المحلية للحرم المكي كسدنة ، كما حفظ لهم مكانتهم الإقليمية بعيداً على السلطتين الزمنية والروحية الكبرى للعالم الإسلامي ، خاصة وإننا نلحظ بأن الأشراف لم يتقلدوا منصب الخلافة الإسلامية ، أسوة بالعباسيين والفاطميين ٠ وأخيراً يمكننا التأكيد بأن منصب الشرافة قد حفظ للأشراف بسلالتهم العربية والمقدسة حتى يومنا هذا ، بل أننا لم نشهد أية سلالة في التاريخ قد احتفظت بامتدادها العرقي على النحو الذي اتصف به أشراف مكة ٠

وعلى الرغم من أن نظام الشرافة قد أضفى على الحجاز نوعاً من الحكم الذاتي ، إلا أنه في الوقت نفسه كان مبعث صراع مرير بين عدة أسر كانت تتطلع الى أن يشغل أحد أفرادها منصب شريف مكة المكرمة وأميرها ، وقد تنافست ثلاثة أسر على إمارة مكة المكرمة في بداية الأمر وهي :-

١- الأسرة الموسوية (بنو موسى)٠

٢- الأسرة السليمانية (بنو سليمان)٠

٣- الأسرة الهاشمية (الهواشم أو بنو هاشم)[١]٠

وقد حكمت هذه الطبقات الأسرية الثلاث مكة للفترة التاريخية ٣٥٨-٥٩٨هـ/ ٩٦٩م-١٢٠٥م ، أي حوالي ٢٤٠ سنة ٠

ويرمز التاريخ الأول (٣٥٨هـ-٩٦٩م) الى خضوع إقليم الحجاز للسيادة الاسمية لدولة المماليك في مصر[٢] ، أما التاريخ الثاني (٥٩٨هـ-١٢٠٥م) فيرمز الى

= [٣] محمد عمر رفيع ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري في المنتقى في أخبار أم القرى تحقيق وتعليق وتعقيب محمد عبدالله مليباري (مطابع الصفا ، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ، ص ١٩٣ ٠

[١] رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٤٠-١٩٠٩ ، القاهرة ، ١٩٧٠ ، ص ١٠٣ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ٠

[٢] للتفاصيل عن حكم المماليك في مصر انظر سعيد عبدالفتاح عاشور ، العصر المملوكي في مصر والشام ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٦٥ ٠

بدء حكم الأسرة الرابعة على مكة وهي الأسرة الادريسية أو القتادية (بنو قتادة) نسبة الى مؤسسها الشريف قتادة ابن ادريس ، الذي حكم مكة المكرمة فترة امتدت زهاء عشرين سنة (٥٩٨هـ-٦١٧هـ/١٢٠١-١٢٢٠م) ، وتداول أبناؤه واحفاده الحكم من بعده حتى سقوط دولة المماليك في مصر على يد السلطان العثماني سليم الأول سنة ١٥١٧ اثر قضائه على (طومان باي) آخر سلاطين الدولة المملوكية[١].

وقد اصبح سلاطين آل عثمان " حماة الحرمين الشريفين " منذ أن قدم بركات بن محمد بن بركات (بركات الثاني) شريف مكة وحاكم الحجاز ولاءه للسلطان سليم الأول واعترف بالسيادة العثمانية على الحجاز ، وكانت نتيجة هذا الاعتراف أن أبقت الدولة العثمانية على نظام الشرافة في مكة المكرمة في آل بركات[٢].

ومما تقدم نلحظ أن بني قتادة قد حكموا مكة المكرمة فترة تاريخية طويلة بين ٥٩٨-١٢٠٩هـ/١٢٠٩م-١٩٢٥ ، أي ٧١٦ سنة ، إذ انتهى دورهم الديني والسياسي في الحجاز في عام ١٩٢٥ ، إذ ضم ابن سعود الحجاز لسلطته في نجد لتسمى (سلطنة نجد والحجاز). ولم ينته دور الأشراف عند ذلك ، بل بدأ دورهم السياسي في حكم كل من العراق والأردن وقبلهما سورية ، ليس كأشراف وامراء فحسب ، بل ملوك وامراء وذلك خلال القرن العشرين .

ويجانب بيهم ، تلك الحقيقة بقوله " استمر الحكم في الحجاز في حوزة بني قتادة اشراف مكة ... وحافظ هؤلاء عليه حتى اخرج الحجاز جمعية من يد الهواشم سنة ١٩٢٤ "[٣].

---

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .

(٢) السباعي ، المصدر السابق ، ص ص ١٧٢-١٧٣ .

(٣) للمزيد من المعلومات ، انظر محمد جميل بيهم ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب ، (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ، ط ١ ، ١٩٥٠ ، ص ٧٨).

٢ - العثمانيون ومنصب الشرافة قبيل ١٩٠٨ :

يعد دخول مصر تحت السيادة العثمانية على عهد السلطان سليم الأول عام (١٥١٧م) ، نقطة تحول هامة في تاريخ الحجاز واليمن ، إذ بسطت الدولة العثمانية نفوذها عليهما كونهما إقليمين عربيين استراتيجيين ، عقائدياً بالنسبة للحجاز واقتصادياً بالنسبة لليمن •

وكان دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية دخولاً سلمياً ، إذ لما دخل السلطان سليم الأول القاهرة وجد بها بعض القضاة ورجال العلم من أهل الحجاز ، إذ كان السلطان الغوري قد اعتقلهم رداً على اضطرابات وقعت في إقليم الحجاز ضد الحكم المملوكي في مصر فاطلق السلطان سليم الأول سراح جميع المعتقلين الحجازيين[١]• وعندئذ وجد اشراف مكة انفسهم ملزمين وهم سدنة المقدسات الإسلامية ، بالإعلان عن مباركتهم للسلطان العثماني سليم الأول[٢] ، بعد أن أرسل الأخير رسالة يدعو فيها الشريف بركات بن محمد شريف مكة المكرمة الى الدخول في طاعة العثمانيين فاستجاب الشريف بركات للدعوة التي تلقاها من السلطان سليم الأول ، وارسل إليه ابنه الشريف أبى نمي الى القاهرة[٣] ، حاملاً كتاب والده الذي أعلن فيه فروض البيعة والطاعة للسلطان سليم الأول[٤] • فضلاً عن ذلك فقد قدم مفاتيح الحرمين الشريفين

---

(١) كان سبب هذه الإضرابات غضب الأشراف في إقليم الحجاز على السلطان الغوري لفشله في إيقاع الهزيمة بالبرتغاليين وإخفاقه في وقف تحول طريق التجارة الشرقية الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وكان هذا التحول في طريق التجارة قد حرم جدة من مواردها الجمركية ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٩ •

(2) Randall Baker, King Husain And The Kingdom Of Hejaz, The Oleander Press, 1979, P.2

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٩ •

(٤) سليمان موسى ، الحسين بن علي والثورة العربية ، ط ٢ ، عمان ، لجنة تاريخ الأردن ، ١٩٩٢ ، ص ١٨ •

رمزاً لولائه[1] ، واعطى السلطان نفسه لقب (خادم الحرمين) اكتساباً لعواطف العرب خاصة والمسلمين عامة[2] ، وبهذا يمكننا القول بأن اشراف مكة ، على ما يبدو ، هم أول من اعترف بالسلطان سليم الأول سلطاناً عثمانياً على المناطق العربية ٠

وقد قابل السلطان العثماني سليم الأول تلك الطاعة بأن أبقى على نظام الشرافة في ولاية الحجاز ، واعترف بولاية الشريف بركات على مكة ، كما عين ابنه أبا نمي شريكاً في الإمارة ، واستمر الأخير في الشراكة حتى وفاة والده عام ١٥٢٥ ، إذ استقل أبو نمي بشؤون إمارة مكة ، وبذلك استمر مبدأ الشراكة في الحكم فترة ليست بالقليلة بين اشراف مكة[3] .

ولما كان شريف مكة وأميرها قد قبل دخول الحجاز تحت السيادة العثمانية واعلن ولاءه وطاعته للسلطان العثماني فقد استحدث العثمانيون ، الى جانب إبقائهم على نظام الشرافة ، نظاماً مدنياً جديداً فأنشأوا في ثغر جدة صنجيقة يقيم فيها وال كانت مرتبته في أغلب الأحيان صنجق وفي أحيان أخرى باشا له ثلاثة أطواخ[4] ٠

---

[1] سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ ٠

[2] موسى ، الحسين ، ص ص ١٨-١٩ ٠ إذ حمل أبو نمي معه مجموعة من آثار الرسول والصحابة عليهم السلام ليضيف عيه لقب خادم الحرمين الشريفين ، بل صار يخطب له بذلك في خطب الجمعة في مصر بقولهم " وانصر اللهم السلطان بن السلطان ملك البرّين والبحرّين وكاسر الجيشين وسلطان العراقين ، وخادم الحرمين الشريفين ، الملك المظفر سليم شاه ، اللهم انصره نصراً عزيزاً وافتح له فتحاً مبيناً يا مالك الدنيا والآخرة ، يارب العالمين ٠٠٠ " ٠ انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، أنيس الصايغ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦ ، ص ٣٨ ٠

[3] احمد بن عمر الزيلعي ، نظام المشاركة في الحكم لدى اشراف مكة (٦٤٧-٩٢٣هـ/١٢٤٩-١٥١٧م) ، مجلة الدارة السنة الثانية عشر ، العدد الرابع ، ص ٧٢ ٠

[4] اطواخ جمع طوخ وتكتب في بعض المراجع بحرف الغاء أي اطواغ وطوغ ، والطوخ مصطلح تاريخي معناه ذيل حصان أبيض معقود على صعدة تعلوها اكدة من نحاس وذهب ٠ وكان كبار رجال الدولة يتميزون بعدد الاطواخ التي ترفع أمامهم في الحفلات والمواكب ٠ إذ كان الباشا الذي يشغل منصب وزير أو والٍ في ولاية كبيرة يحمل ثلاثة اطواخ أما السلطان فكانت تحمل=

وكانت مكة قد ازدهرت اثر رجوع أبى نمي واستقبالها له بعد إتمام مهمته ، فقرأ أبو نمي بيان التفويض على الناس ، وخطب باسم السلطان سليم الأول[1] • ولا شك أن الحجاز قد دشن مرحلة جديدة في تاريخه تحت إدارة الأشراف ، ويتضح الأمر من دخوله سلمياً في نطاق السيادة العثمانية ، واحتفاظه بنظام " الشرافة " فضلاً عن إنشاء "سنجقية عثمانية في جدة " •

ومما بعث على ازدهار الحجاز في ظل الإدارة الشريفية انفراده دون سائر الولايات العثمانية بعدة امتيازات ، كان في مقدمتها إعفائه من تقديم جزية سنوية للدولة العثمانية على الرغم من أن الحجاز كان يتلقى كل عام اعتمادات مالية ضخمة من مصر ، عبارة عن حصيلة الأوقاف الموقوفة على الحرمين الشريفين وفقراء مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وكانت هذه الأوقاف عبارة عن الأراضي الزراعية وغيرها من الأراضي الثابتة التي اوقفها أهل البذل من المصريين زلفى الى الله ، كما قرر السلطان سليم الأول زيادة الاعتمادات المالية المخصصة للحجاز ، واعتبر هذه الاعتمادات من الواجبات المالية المفروضة على مصر كالجزية المقررة عليها للسلطان ، وكان يطلق على أموال الحجاز الصرة ، بينما كان يطلق على خزينة السلطان إسم الخزنة • لذلك كانت علاقة إقليم الحجاز بمصر أقوى من علاقته بالولايات العثمانية الأخرى ، بل أن الباشا العثماني في مصر كان يعتبر في كثير من الأحيان مسؤولاً عن الحالة السياسية والاقتصادية في إقليم الحجاز[2]•

ولم تكن الامتيازات وقفاً على الأماكن بل تعداه الى المواطن في الحجاز فقد أعفى سكانه من التجنيد ، كما اعفوا من جميع الضرائب الشخصية والعقارية ، غير إن الأشراف كانوا يفرضون ضرائب بسيطة على الأغنام والماشية ، كما كانوا

= أمامه سبعة اطواخ ، للتفاصيل انظر احمد عزت عبدالكريم ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١١٢ •

(١) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩ •

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٤٥ •

يقررون ضرائب على الحجاج وقوافلهم[1] والمطوفين والجمالة واصحاب المحفات وكانت الموارد الناتجة في حصيلتها عن كل ذلك كبيرة للغاية ، فأما أن يحتكروها لانفسهم ، أم يتقاسموها مع الوالي العثماني[2] ، الذي كان يقيم في جدة ونتيجة لذلك ازدادت ثرواتهم بشكل ملفت للنظر خلال الوجود العثماني في الحجاز[3] وما كان ليتم ذلك بطبيعة الحال لولا سيادتهم المطلقة على جميع الواردات والأموال التي تستحصلها مكة في كل عام ، إضافة الى الاعطيات الكبرى التي كان السلاطين يمنحونها لكل من مكة المكرمة والمدينة المنورة باسم الفقراء لتوزع عليهم أثناء موسم الحج[4] ، فضلاً عن ذلك فان الدولة العثمانية لم تطبق على إقليم الحجاز نظام الزعامات والتيارات والخاصات ، وهي من مظاهر النظام الإقطاعي العسكري الذي طبقته في العراق وبعض الأجزاء من بلاد الشام ، كما أنها لم تطبق على الحجاز نظام الالتزام الذي طبق على مصر وأجزاء أخرى من بلاد الشام من الولايات أو الأجزاء التي لم تخضع للإقطاع العسكري[5] .

---

(1) حافظ وهبة ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، ط ٥ ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٥٢ .

(2) لما استعاد الأتراك مكة من محمد علي ساروا على نهجه في إقامة والٍ بجانب الأمير الشريف في الحجاز ، للتفاصيل ، انظر رفيع المصدر السابق ، ص ص ٢٠٥-٢٠٦ .

(3) يقول تشايلدز ارسكين عن الحجاز بأن " ذلك البلد لا تضرب فيه ضريبة ولا توقع عليه جزية يعيش أهله على موسم الحج " انظر تشايلدز ارسكين ، فيصل الأول ملك العراق ، ترجمة عمر أبو النصر (المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٣٤) ، ص ٢٤ .

(4) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٨١ .

(5) للتفاصيل انظر محمد أنيس ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤ ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د.ت) ، ص ص ٦٤-٦٧ .

وهكذا احتل أشراف مكة بحكم علاقاتهم بالعثمانيين بمكانة متميزة في الحجاز بشكل خاص ، كما ازدادوا سمعة وتقديراً في العالم الإسلامي بشكل عام(١) ، على الرغم من عدم استطاعتهم إعلان الاستقلال الكامل عن السلطة العثمانية العليا(٢) .

أي أن هناك تحالف إقليمي ، على ما يبدو ، بين أشراف مكة والعثمانيين من اجل بناء مصالح مشتركة سليمة منذ عام ١٥١٧م ، فإذا كان الأشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى ، لغرض الأمن والاستقرار الإقليمي والمحلي فان العثمانيين قد استفادوا من المقارنة الدينية المقدسة لطبقة الأشراف لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الإسلامي قاطبة.

لقد سار حكم الأشراف لمكة جنبا إلى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي يمارسونها ، والتي تعززت من خلال العثمانيين بـ " السلطة الزمنية المحلية " . ويعتبر أشراف مكة هم السلالة العربية الأولى التي اعتمد عليها البلاط العثماني اعتماد أساسيا في الحجاز ، وبصورة خاصة في مكة منذ بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين . وكان الأشراف جزءا مهما من بنية النظام العربي القديم الذي استطاع البلاط العثماني أن يوظفه لصالحه ، وخصوصا إذا كان ذلك يتصل بالأماكن الإسلامية المقدسة. وتكاد العلاقة تكون ثابتة بين الحكام العثمانيين كـ " سلاطين " و "أشراف مكة" ، ما دام هؤلاء الأشراف لم يثيروا أي حقوق سلطوية عربية (كقرشيين عرب) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطات في الإسلام (٣) .

---

(١) Butrus Abu-Manneh, Sultan Abdulhmid And The Sharifs Of mecca 1850-1900, Asian And African Studies , Vol.g No.1, 1973, P.1

(٢) Ernest Dawn G., From Ottomanism to Arabsim, London, 1973, P.4.

(٣) للتفاصيل ، انظر سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٦٩.

لقد ترسخ حكم الأشراف سياسيا نتيجة لجهود الشريف بركات في القضاء على نائب جده حسين الكردي[١] ، الذي كان قد أعلن عصيانه فيها عقب عودة السلطان سليم الأول إلى عاصمته استنبول ، فامر الأخير الشريف بركات باستعادة الموقف وقتل حسين الكردي ، فاجاب بالطاعة ، إذ قبض عليه وأغرقه في البحر[٢] . ولا شك أن ذلك يسلط الضوء على حقيقة نجاح سياسة السلطان سليم الأول مع اشراف مكة واستغلاله القوى السياسية والدينية لصالح عمله من خلال إتباعه الأساليب الإدارية اللامركزية العثمانية . ويمكن القول بان صفة " التحالف والاحترام المتبادل " الظاهرية هي التي كانت تميز علاقة العثمانيين بأشراف مكة والتي استمرت ، على ما يبدو ، حتى القرن الثامن عشر .

فقد شهدت الحجاز حتى منتصف القرن الثامن عشر تنافسا شديدا بين بني بركات وبين أولاد عمهم بني زيد ، نتج عنها أن تسلم ألاخيرين الإمارة في هذه الفترة ، ولم يكن فيهم منصب الشرافة وراثيا بل كان ينتقل بعد موت الشريف إلى أقوى رجل في العائلة نفوذا[٣] . ويفهم من ذلك بأن طبيعة حكم الأشراف كان على

---

(١) كان السلطان الغوري المملوكي قد عين حسين الكردي حاكما على جدة ، للتفاصيل انظر محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية (المطبعة الجمالية ، بمصر القاهرة ، ط٢ ، ١٣٢٩ هـ/١٩١١م) ، ص ٧٦.

(2) David Geotge Hogarth, Hejaz before Word War (falcon, Oleander, 1978) . P.42.

(٣) موسى ، الحسين ، ص١٩ ، شهدت الحجاز أبان القرن السابع عشر حالات الصراع على منصب أمير مكة المكرمة ، فضلا عن النزاعات الأسرية لطبقة الأشراف ، وقد أدى ذلك الصراع إلى انقسامات اجتماعية ، كما أدى في كثير من العهود إلى ولادة شرافات مشتركة انقسم الشرفاء على أنفسهم في هذا القرن بين فئتين سياسيتين منهم شرفاء بني عبدالمطلب وشرفاء بني محسن ، وأدى هذا الانقسام إلى صراع دموي بين أصحاب المطامح والمنافع والمصالح والسلطة ، وفي عام ١٦٣١ دخل شرفاء مكة لاول مرة تحت قيادة الشريف زيد بن محسن في قتال ضد الجيش العثماني الذي قدم من اليمن إلى الحجاز ، فذهب الشريف زيد ضحية الحرب بين الطرفين بعد شرافة دامت قرابة ستة اشهر . فضلا عن ذلك فقد تعرضت –

نمط أسرى – سلالي متنقل من طبقة أسرية إلى طبقة أخرى ، والتي تسمى (العتر الشريفة) ، فحتى القرن الثامن عشر كان حق الانتخاب محصورا قياديا – طبقيا في بني بركات .

لم تكن الدولة العثمانية وبخاصة في القرن الثامن عشر في مركز يسمح لها بالتدخل المباشر في شؤون شرافة مكة المكرمة لأسباب خارجية وداخلية [١] ، ولكن السلطان العثماني كان يتحين الفرص في بعض الأحيان لعزل من يريد عزله من الأشراف ، ويستعين في إجراء العزل بالوالي العثماني في بلاد الشام ، وكان الأخير يذهب إلى الحجاز على رأس قافلة الحج الشامي ، وكانت تحت أمرته قوة عسكرية كبيرة فيقوم في أثناء إقامته في مكة المكرمة ، بعزل الشريف المطلوب عزله ويولي غيره من نفس الأسرة . كما كان يعين أحد الباشوات الأتراك واليا عثمانيا في جدة

= الحجاز إبان القرن نفسه إلى مشكلات اقتصادية وسوء الظروف الطبيعية التي سببتها السيول الجارفة نحو مكة في كثير من السنين ، والملفت للنظر بأنه حتى في اشد حالات الحجاز تعاسة لم يكن التدخل العثماني لحل الأزمات بصورة مباشرة ، بل بقي اعتماد البلاط العثماني على اشراف مكة قويا في معالجة الأزمات ، وعلى الرغم من أن العلاقات السياسية بين الأشراف والعثمانيين أخذت تنخفض اكثر من قرن كامل على ذلك التتابع السلطوي للباب العالي ، إلا أن البلاط العثماني لم يغير من طبيعة العلاقة التاريخية التي ربطته بأشراف مكة ويصحح الأمر لكن العثمانيين لم يغيروا من أسلوب الحكم المحلي لأشراف الحجاز ، وكثيرا ما نجد أبناء أولئك الأشراف يقيمون في العاصمة العثمانية تقربا من السلطان ، أو هربا من أحوال الحجاز القاسية أو طلبا للامتيازات ، للتفاصيل ، انظر سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٧٧.

[١] كانت الدولة العثمانية توجه في القرن الثامن عشر الحروب الهجومية التي كانت تشنها عليها من وقت إلى آخر روسيا القيصرية ، بهدف الخروج من عزلتها البحرية عن طريق الاستيلاء على المضائق العثمانية (البسفور والدردنيل) ابتغاء الوصول إلى البحر المتوسط أو ما كان يسمى المياه الدافئة ، وذلك لان روسيا محاطة بمياه تتجمد لمدة تسعة اشهر من السنة ، كما أن الدولة العثمانية ، تواجه في هذا القرن أيضا حركات المعارضة من بعض ولاياتها بهدف الاستقلال الذاتي عن السيادة العثمانية مثل ظاهر العمر في فلسطين وعلي بك الكبير في مصر ، للتفاصيل انظر محمد رفعت رمضان ، علي بك الكبير ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٣٣-١٣٤ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥١-٥٢ .

ولكن الأخير كان يضطر إلى الفرار أحيانا بمجرد عودة قافلة الحج الشامي إلى دمشق ، ولا يستطيع العودة إلى جدة إلا مع وفد الحج السنوي ، بسبب تصاعد منازعات أشراف مكة المكرمة(١) .

وعلى الرغم من أن نفوذ الدولة العثمانية قد اهتز اهتزازا عميقا منذ بداية القرن الثامن عشر في أنحاء شبه الجزيرة العربية ، فقد انفرد أشراف مكة المكرمة وأهل الحجاز بالولاء لسلطان الدولة العثمانية ، وكان شريف مكة المكرمة يتسلم براءة منصبه في كل عام ويقيم حفلا كبيرا في الحرم المكي ويقوم أحد كبار رجال قصره بتلاوة فرمان السلطان(٢). ويعترف شريف مكة المكرمة من جانبه بالقاضي الذي يعينه السلطان ويبعث به من الاستانه ، ويفخر شريف مكة المكرمة بانه خادم الدولة وخادم الخليفة العثماني(٣).

وكانت فرمانات تعيين أمراء (شرفاء) مكة تصدر عند حصول شاغر لمنصب أمير مكة المكرمة ، بسبب وفاة الشريف الذي يشغله أو عزله أو استقالته . إن الشريف الذي يحل محله يعين من قبل السلطان العثماني بعد انتخابه من قبل الأشراف ، وبناء على تقارير قاضي مكة وولاة مصر والشام وجدة . وكانت السلطات العثمانية ترسل إلى أمير مكة المعين حديثا وثيقة (براءة) أو ما يسمى (منشور الإمارة) المتضمن تعيينه في الإمارة ، وهذا المنشور يبين وظائف الأمير

---

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٢) للمزيد من الإطلاع على الفرمانات العثمانية الخاصة بأشراف مكة انظر ، إبراهيم رفعت باشا مرآة الحرمين أو الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية ، ج٢ (مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، ١٣٤٤ هـ/١٩٢٥). سليمان فيضي ، التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية (المطبعة المحمودية ، البصرة ، (١٣٣١هـ/١٩١٣م) ، ج١ ، ص ١٦٨).

(٣) رمضان ، المصدر السابق ، ص ١٣٤.

الجديد كما يتضمن توصية له بالعمل على أساس العدل والمحافظة على الولاء والتبعية للدولة العثمانية[1] .

وهكذا كانت علامة تعيين الشريف أميرا على مكة المكرمة هي منشور الإمارة الذي يحمل " طغراء " السلطان العثماني ويعطى للأمير الجديد ، وكان الأمير يستقبل بمراسيم عند مجيئه إلى مكة المكرمة . أما إذا كان موجودا في مكة المكرمة فانه يخرج لاستقبال منشور وخلعة الإمارة المرسلة إليه ، ويلبس الخلعة ثم يقرأ منشور الإمارة في مكان معين وبصوت عال أمام الناس معلنا بدء إمارة الأمير الجديد . ومن المعلوم ان المنشور المرسل إلى الأمير الجديد يكتب باللغة التركية ، وبسبب عدم معرفة أمراء مكة المكرمة ، مع استثناء البعض ، باللغة التركية فقد كان السلطان العثماني يرسل لهم كتابين سنويا في موسم الحج أحدهما بالعربية والآخر بالتركية ، وكانت توجد بمعية أمير مكة المكرمة هيئة من الكتاب الذين يشرفون على المراسلات التركية يطلق عليها اسم " ديوان التركي "[2] .

وهكذا تركت المراسلات العثمانية – الشريفية وفرمانات تعيين أمراء (شرفاء) مكة المكرمة بصماتها على حقيقة تمتع إقليم الحجاز بقدر كبير من الاستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية ، ولم يشعروا بوطأة النفوذ العثماني في هذه الفترة ، ومن ثم ظل بعيدا عن تطلعات الأستانة السياسية والعسكرية طالما كان الأشراف يدينون بالولاء للسلطان العثماني ، ولذلك ازداد نظام الشرافة قوة في أثناء القرنين السابع عشر والثامن عشر . وكانت هناك عومل أخرى أسهمت في دعم نظام شرافة مكة

---

(1) للتفاصيل عن فرمانات تعيين أمراء (شرفاء) مكة ، انظر ، إسماعيل حقي أو زون جارشلي ، أمراء مكة في العهد العثماني ، ترجمة عن التركية الدكتور خليل علي مراد ، منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦ ، ص ٣٣-٣٧ ، رفعت باشا ، المصدر السابق ، ص٢.

(2) ويذكر جارشلي بانه بعد إتمام قراءة منشور الأمير الجديد يباشر الدلالون بإعلانه في مكة المكرمة ، وطبقا للعادة الجارية كانت المدافع تطلق ١٩ اطلاقة بالمناسبة ، انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨٩.

المكرمة خلال هذه الفترة ، تمثلت في انحسار الحكم العثماني عن اليم
وانسحاب الأساطيل العثمانية من البحار الشرقية ، واقدام اشراف مكة
فتح ميناء جدة للتجارة الأوربية منذ أواخر القرن السابع عشر[1] .

ومن الجدير بالذكر ان أوضاع الحجاز الاقتصادية قد أصابه
المرحلة التاريخية الثانية (أي بعد ١٦٨٣) مقارنة بما كان عليه الحال
التاريخية الأولى ، ليس فقط نتيجة للظروف المحلية والإقليمية في م
فضلا عن انحسار السيادة المركزية - العثمانية عن بعض الأقاليم الع
في القرن الثامن عشر ، ولكن بسبب موجات الغلاء المفرط وارتفا
الغذائية الذي عمت اليمن ومن ثم بلاد الشام أيضا كما عانت مكة م
المكي لمرات عدة اثر هطول الأمطار وتدفق السيول . ولا ش
الاقتصادية القاسية كانت قد تركت آثارها الاجتماعية ، ومن الطبيعي
إلى ازدياد عدد الفقراء والمعدمين وحدوث نزاعات بين السكان ، أو
طرف القبائل ، وبين بعضها البعض ، ومحاصرة التجارة في البر و
إلى أعمال السطو والعنف ، ولكن من ناحية أخرى ، فقد بقي اشراف
بسيادة شبه مركزية في الحجاز[2] .

ويعد عهد الشريف سرور ١٧٧٢-١٧٨٨ ، من الفترات الشريف
التاريخ المحلي والإقليمي الحديث لكل من مكة والحجاز ، إذ امت
والامان والعدل والرخاء قياسا لما سبقه من عهود شريفية ، نتيجة
الطبيعية التي سادة ، أقليم الحجاز . ومما يميز عهد الشريف سر
اصطدامه غير المباشر بالدولة العثمانية بعد ان حاول الشريف سرور
نفسه لقب السلطان ، وذلك من خلال الألواح الفضية التي علقها في مك

---

[1] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٥٤.

e Arab Rebellion of Amir Gholib of Mecea , (1788-1813) , Middle Eastern
7.No.2. (May, 1917) P. 185.

السلطان سرور. ولكن الدولة العثمانية قمعت تجربة الشريف سرور[١] ، انطلاقا من سياستها الرامية بعدم السماح لأحد من طبقة (الأشراف) ان يعلن نفسه (سلطانا) حتى ولو كان ذلك بطريقة غير مباشرة.

وشهد عهد الشريف غالب بن مساعد ١٧٨٨-١٨١٣ امتداد النفوذ الوهابي إلى الحجاز ، ولا شك ان ذلك يشكل حلقة جديدة من إحداث تاريخ هذه البلاد وطبيعة علاقته بالعثمانيين ، إذ دخلت الحجاز في سنة ١٨٠٣ ضمن أملاك الدولة السعودية بعد مقاومة غير ناجحة من قبل الحجازيين وشريفهم ، وبقي الشريف غالب أميرا خلال هذه الفترة[٢] .

ومع ذلك فقد كان يكاتب محمد علي والي مصر[٣] . وفي الوقت نفسه كان يراسل محمود الثاني ويحذره من أطماع سعود بن عبدالعزيز ويؤكد بان خطوته القادمة ستكون الانقضاض على الشام والعراق . ويبدو ان تخوف شريف مكة وتحذيراته كان لها ما يبررها ، إذ حصل ما كان متوقعا ولكن في الحجاز لا في سوريا والعراق ، إذ أقدم سعود عام ١٨٠٦ على طرد الشريف غالب وتعيين الشريف عبد المعين بن مساعد بدله أميرا على مكة المكرمة ، وإعلانه زوال السيادة العثمانية على الحجاز ، ومن ثم مباشرته بمحاولات توحيد نفوذ الدولة وتوسيع رقعتها وهذا ما يتضح جليا من تحرشاته بالعراق والشام[٤] .

لا شك ان تحركات آل سعود يعد خطرا يهدد سلطة الدولة العثمانية ويهز من مركز السلطان الروحي بصفته خليفة المسلمين وخادم الحرمين الشريفين ، ولذلك كانت الدولة العثمانية شديدة الحرص على استعادة سيادتها على إقليم الحجاز

---

(١) سيار ، المصدر السابق ، ص ٤٨٤.

(٢) M.Abir, Op.cit., PP. 188-191 .

(٣) موسى ، الحسين ، ص١٩ ، أمين سعيد ، ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال القاهرة ، د.ت) ، ص ٢٩.

(٤) منيرة عبدالله العوينات ، علاقات نجد بالقوى المحيطة ١٣١٩ - ١٣٣٢/ ١٩٠٢-١٩١٤م ، ط١ ، ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٩٠ ، ص ٩٩.

فعزمت الدولة العثمانية ، بعد ان أدركت عجزها عن إخراج آل سعود من الحجاز على الاستعانة بوالي مصر محمد علي باشا[1] بالقيام بالمهمة التي فشل فيها كل من والي بغداد ووالي دمشق[2] .

لقد عهد السلطان محمد الثاني إلى محمد علي باشا والي مصر في تجهيز حملة عسكرية على نجد والحجاز في عام ١٨١١ ، على ان يكون واليا عليهما فيما بعد[3] ويبدوا ان عدم قدرة العثمانيين على تشكيل جيش قوي لمواجهة قوات آل سعود وسحقهم من جهة ، وتفاقم الحركة الوهابية على المدن والمراكز الاقتصادية من جهة ثانية ، وبسبب المشكلات الداخلية والخارجية التي كانت تعيشها الدولة العثمانية من جهة ثالثة ، وكانت هذه جميعها وراء العجز العسكري للدولة العثمانية الذي تمثل في عدم قدرتها على مواجهة قوات آل سعود.

ومن ناحية أخرى رأى محمد علي باشا انه في حالة نجاحه في استعادت الأراضي المقدسة من السعوديين ، فانه يوطد مركزه حيال الدولة العثمانية ، وعندئذ

---

(١) ولد محمد علي عام ١٧٦٩م في مدينة كافاله (قوله) بإقليم مكدونيا ، وتنطوي قصة حياته على أساطير وتناقضات ، إلا انه على ما يبدو ، عاش طفولته يتيما مترعرعا في أحضان أسرة غربية ، واشتغل في تجارة التبغ ، وعندما بلغ الثلاثين من العمر التحق بكتيبة البانية ، واظهر في الجيش موهبة وشجاعة ، فغدا قائدا للقوات الألبانية التي دخلت في عداد الجيوش المرسلة إلى مصر ، وتمكن من ترسيخ إقدامه في مصر حتى تم تنصيبه عليها في ١٣ مارس ١٨٠٥ للتفاصيل انظر عبدالرحمن الرافعي ، عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٣٠ ، ص ص ٦٨-٧٣ عبدالرحمن زكي ، التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ص ١٣-١٤ / محمد شفيق غربال ، عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ١٧.

(٢) عجز ولاة بغداد والموصل ودمشق العثمانيين عن مواجهة آل سعود الذين بدأوا بمهاجمة القوافل والمدن على أطراف الصحارى العراقية - السورية ، ورغم ان باشوات بغداد ودمشق قاموا بعدة هجمات إلا انهم لم يتمكنوا من القيام بمهاجمة مضادة ، للتفاصيل انظر صادق حسن السوداني ، العلاقات العراقية السعودية ١٩٢٠ - ١٩٣١ ، دراسة في العلاقات السياسية (دار الجاحظ ، بغداد ، ١٩٧٥) ص ص ٣٣-٣٩.

(٣) موسى ، الحسين ، ص ١٩.

لا تعود الأخيرة تفكر في عزله او نقله ولا تقدم علـى ان تعاملـه معاملـة سـائر الـولاة الآخرين . أما إذا تقاعس عن الحملة فيكون لـدى الدولـة العثمانيـة مـبررا قويـا لعزلـه عن ولاية مصر ، إذ كان من أهدافها إعادة سيادة الدولـة العثمانيـة الـى إقليـم الحجـاز وما يتبع ذلك من استئناف إرسال قوافل الحج الى مكة المكرمة وزيارة مسجد الرسول محمد صلى الله عيه وسلم وكانت هذه الشعائر قد توقفت ، فإذا نجح محمد علـي باشـا في تحقيق هذه الأهداف ، وهي أهداف عثمانية فـان العـالم الإسـلامي سـيعزو الفضـل الـى مصـر والـى واليهـا محمـد علـي فـي أداء الشـعائر الإسـلامية المقدسـة فـي إقليـم الحجاز[١] .

وأمدت الدولة العثمانية والي مصر بالذخائر والأموال[٢] ، كما دعت أمـير مكـة المكرمة الشريف غالب على مناصرة الحملة ، وتحريك الثورات في إقليم الحجاز ضد الوجود السعودي[٣] ، وابتدأت الحملة المصرية عام ١٨١١ حيـث احتلـت فـي تشـرين الأول منه مينـاء ينبـع الـذي اتخـذه محمـد علـي باشـا قـاعدة هجوميـة وقيـادة لعملياتـه الحربية الواسـعة ضـد آل سـعود ، ثـم تقـدم نحـو الحجـاز واسـتولي عليـه برمتـه بعـد

---

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

(٢) العوينات ، المصدر السابق ، ص ٩٩.

(٣) M.Abir , Op.cit., P.197.

سنتين[1] ، ثم توغل في نجد حيث استولى على الدرعية عاصمة السعوديين في ١٥ أيلول ١٨١٨[2] .

ولم يأمن المصريون جانب الشريف غالب ، فأجبروه على اعتزال الإمارة وأرسلوه الى سلانيك ، وعينوا ابن أخيه يحيى بن سرور أميرا بدلا عنه وبقي يحيى في منصبه حتى عام ١٨٢٧[3] . إذ كان محمد علي باشا يقدم مقترحاته للدولة العثمانية بإخراج إمارة الحجاز من بني زيد وتوليه أمير غيرهم من الأشراف[4] . ويبدو ان بوادر عدم الوفاق بينه وبين بني زيد أخذت تلوح في الأفق بعد طرد الشريف غالب وأسرته.

وأثمرت جهود والي مصر محمد علي باشا في توليه الشريف محمد بن عون أميرا على مكة المكرمة ، وبذلك انتقل الحكم الى الفرع الثالث من نسل أبى نمي وهم (بني عون)[5] . وسبب تعيين محمد بن عون انه كان ينافس غالب ويحيى على

---

[1] تجمع اغلب المصادر التاريخية على ان طرد السعوديين من الحجاز كان في كانون الثاني عام ١٨١٣ ، بينما يتوهم الامير شكيب ارسلان ، على ما يبدو ، عندما ذكر بان طرد السعوديين من الحجاز استغرق عشر سنوات بقوله " استولى الوهابيون على الحجاز ، وعجزت الدولة (العثمانية) عن اخراجهم منه فرمتهم بمحمد علي والي مصر الذي جرد عليهم الجيوش ولبث يقاتلهم نحو عشر سنوات الى ان اخرجهم من الحجاز " انظر الامير شكيب ارسلان ، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، وقف على تصميمها وعلق على بعض حواشيها السيد محمد رشيد رضا (مطبعة المنار بمصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٣٥٠) ، ص ١٢٦.

[2] للتفاصيل عن العمليات الحربية المصرية في الجزيرة العربية ، انظر وثائق الارشيف العثماني باستطنبول ، وثيقة رقم ج/ ٤٧ ، رقم البحث ٤٠١٠ ، وثيقة غير مؤرخة ، الصواف ، المصدر السابق صص ٥٩-٦٧.

[3] موسى ، الحسين ، ص ٢٠ ، بينما يذكر الصواف ، بأن أول ما فعله محمد علي فور وصوله الى نجد هو اصدار امره باعتقال الشريف غالب ، الذي خرج لاستقباله ، وارسله اسيرا الى مصر ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٦٣.

[4] ارسلان ، المصدر السابق ، ص ١٢٦.

[5] Hogarth, Op.cit., P42.

الزعامة في مكة ، وكان الأمير محمد بن عون قد انضم الى جيش محمد علي ابان الحملة ، وساعده مساعدة فعلية فحفظ له محمد علي ذلك واقطعه خمسة آلاف فدان في مصر[١].

وكان لوجود قوات محمد علي في الحجاز ، وتأثيراته على هذه الولاية وهي تأثيرات شابهت فيما بعد والى حد كبير تأثيرات الحكم المصري في بلاد الشام ، فقد كسرت قوات محمد علي شوكة القبائل العربية واستفادت الدولة العثمانية من الوضع الجديد ، عندما اتجهت سياستها الى دعم قبضتها لا على الحجاز فحسب بل على شبه الجزيرة العربية[٢] .

أقام المصريون في الحجاز مدة ثمانية وعشرون عاما ، ثم انسحبوا منه في عام ١٨٣٩م ، حيث حلت حاميات عثمانية في المواقع الرئيسية محل الحاميات المصرية ، واصبح أمر شرافة مكة منوطا بالسلطان العثماني[٣] . وهكذا سار الأتراك على نهج محمد علي في إقامة وال بجانب الأمير (الشريف) في مكة المكرمة.

لا شك ان الحياة السياسية في الحجاز قد أشرفت على مرحلة جديدة أخرى تتسم بالتنافس العشائري بين القيادتين الرئيسيتين (بني زيد وبني عون) بهدف الحصول على إمارة مكة من ناحية ، ومحاولات العثمانيين بإقامة حكم مباشر في الحجاز من خلال تعيينهم للولاة والمسؤولين فيه من ناحية أخرى.

ويتضح ذلك من إرسال الدولة العثمانية واليا من قبلها الى الحجاز وهو ناشد باشا فأصبحت السلطة ثنائية بينه وبين شريف (أمير) مكة ، مما أدى الى المنافسة

---

(١) موسى ، الحسين ، ص ٢٠ ، سعيد ، ثورات ، ص ٢٩.

(٢) كان من بوادر التشابه للحكم المصري في بلاد الشام والحجاز ، ان سمح محمد علي لعدد من الرحالة الاوروبين بالتجول في اقليم الحجاز والاقامة فيه بعض الوقت ، ودونوا ملاحظاتهم . وهكذا اسهم حكم محمد علي في تقريب الحجاز للمعرفة الاوربية ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٦٧ ، وللتفاصيل عن عمليات محمد علي العسكرية ، انظر وثائق الارشيف العثماني باستنبول ، رقم الوثيقة جـ/ ٤٧ ، رقم البحث ٤٠١٠ ، الوثيقة غير مؤرخة .

(٣) موسى ، الحسين ، ص ٢٠ .

بينهما ، فالوالي يمثل مصالح الحكومة العثمانية ويقود الجند النظامي . أما الشريف فكان يسعى للاحتفاظ بسلطته في المدن ، وفي حكم القبائل ، والأشراف على شؤون الحج والحجاج . وقد أدى التنافس بين الأمير والوالي ، الى تدخل الدولة العثمانية[1] ، إذ كانت الأخيرة تتدخل إذ حصلت مشادة بين الوالي والأمير على النفوذ والحكم فتحسمها بالطريقة التي كانت تلائم الظروف ، حيث كانت تلجأ الى تأييد الوالي العثماني وتبدل الأمير حينما تكون قوية ، وتغير الوالي حينما تكون ضعيفة[2] . او بمعنى آخر ان العثمانيين احتفظوا بشريف مكة ، إلا انهم جعلوا منه تابعا لها[3] .

وقد حصل تنافس بين الشريف محمد بن عون والوالي العثماني ناشد باشا ، وأدى الى تدخل الدولة ونفي الشريف محمد بن عون الى الأستانة عام ١٨٥١ ، وتنصيب الشريف عبدالمطلب ، من بني زيد مكانه . ولكن الأخير عزل اثر الفتنة التي حصلت في الحجاز عام ١٨٥٦[4]. وإعادة محمد بن عون أميرا لمكة ، وبعد وفاة محمّد بن عون عام ١٨٥٨ ، أقرت الحكومة العثمانية إمارة مكة الى ابنه

---

(١) المصدر نفسه ،موسى ، الحسين ،ص ٢٠ .

(٢) محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة القومية الحديثة ، المكتبة العصرية بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٢٤٧.

(٣) فلاديمير بود يوفيتش لوتسكي ، تاريخ الاقطار العربية الحديثة ، ترجمة الدكتور عفيف البستاني ، دار التقدم ، موسكو ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص ٤٣٣.

(٤) كان الشريف عبد المطلب بن غالب قد نفي الى الاستانة بعد عزله عام ١٨٥٦ ، نتيجة فتنة وقعت بين اهل مكة والعثمانيين وكان سببها تحريم الاخيرة بيع الرقيق في مكة المكرمة ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٧٩-٨٠.

الشريف عبدالله الذي بقي في الإمارة حتى عام ١٨٧٧[١] ، أي خلع في السنة التالية من تولي السلطان عبدالحميد الثاني الحكم عام ١٨٧٦[٢].

خلف ألشريف عبدالله أخيه الشريف الحسين بن محمد بن عون ، ولكن الأخير لم يتمتع بمنصبه طويلا ، فقد لقي حتفه مقتولا بطعنة سكين في جده عام ١٨٨٠ ، وكان عمره اثنين واربعين سنة ، وأطلق عليه اسم الشهيد الشريف الحسين بن محمد[٣] .

---

[١] للتفاصيل انظر ، الشيخ عبدالرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، حققه وعلق عليه حفيده محمد بهجت البيطار (مطبوعات المجمع العلمي العربي ، بدمشق ، ١٩٦٣) ج ٢ ، ص ٩٦٨.

[٢] هو السلطان العثماني الرابع والثلاثون ، والده السلطان عبدالحميد ، ووالدته هي (تيري موجكان) ولد في ٢٢ايلول ١٨٤٢ ، قضى شبابه في استنبول في بيته الصيفي في طرابيا ، وتنقل مع عمه السلطان عبدالعزيز الى فرنسا ومنها الى انجلترا ، وتولى العرش العثماني بعد اخيه السلطان مراد ، للتفاصيل انظر اورخان محمد علي ، السلطان عبدالحميد الثاني حياته واحداث عصره ، بغداد ١٩٨٧ ، ص ٨٣ .

ويذكر علي الوردي بأن اسم والده السلطان عبدالحميد الثاني هي (حاجي) معتمدا في ذلك على كتاب الباحثه الالمانية (آلما وتلين) الحافل بالاخطاء ، وفي اعتقادنا ان المصدر الاول هو الارجح لكونه مصدر تركي. للتفاصيل انظر علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (مطبعة الشعب ، بغداد ، د.ت) ، ج١٣ ، ص١٣ ، آلما وتلين ، عبدالحميد ظل الله في الارض ، ترجمة راسم رشدي ، (دار النيل للطباعة ، القاهرة ، د.ت) ، ص ٢١ .

[٣] قتل الشريف حسين بطعنة سكين في جدة على يد رجل من الافغان تعرض للشريف وهو راكب في موكبه عند دخوله جدة ، ورغم عمليات التعذيب الا ان الافغاني لم يبح بشيء على الاطلاق عن بواعث الجريمة والمتسترين ورائها . والقاتل اسمه فخرالدين وبكامل قواه العقلية ، وقد جرى استنطاقه في مجلس التمييز لولاية الحجاز وفق طلب من الشرفاء الكرام ، وادعى انه من خرسان ، ثم عدل عن ذلك وادعى انه افغاني الاصل " وعندما سأل عن اسباب القتل لم يصرح بشيء بل اكتفى بالقول " ما انا الا نملة قاتلت فيلا ضخما ، ومثل هذا امر خارج عن نطاق العقل ، فلا تحاولوا الحصول على اعتراف مني فلن اعترف بشيء . وان شئتم فاسالوا جبريل وعزرائيل عليهما السلام عن الحقيقة ، اما انا فلن يمكنكم الحصول على اعتراف مني في هذا =

حاول السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٨م) استغلال هذا الحادث لإشعال حدة التنافس على منصب الشرافة في مكة المكرمة فقد اقترح مطر باشا (المندوب العثماني في مصر) على السلطان عبدالحميد الثاني ، بتحويل الشريف من مكة الى استنبول ونقل إدارة إقليم الحجاز بالكامل تحت إدارة ومسؤولية الوالي العثماني في جدة ، كما حذره من الشرافة بقوله إنها " مصدر للمتاعب "[١] .

ويبدو ان السلطان عبدالحميد الثاني كان رجل دولة اكثر حذرا وإدراكا من ذلك المندوب ، إذ رأى ان انقل الشريف الى استنبول لن يكون عملا فيه بصيرة ، لانه لربما يصبح نقطة استقطاب الرأي العام الساخط على السياسة العثمانية ، فضلا عن ذلك فانه سوف يفسر بأنه خطوة أولية نحو إلغاء الشرافة ، الأمر الذي سيثير إزعاجا لدى فئات كثيرة من رعايا السلطان ، ان لم يكن قسما كبيرا من الرأي العام الإسلامي. وهكذا فقد فضل (السلطان) الإبقاء على منصب الشرافة في مكة ، ولكن مع ذلك فقد قرر التعامل مع المسألة بأسلوب مختلف عن أسلوب فترة التنظيمات في عهد السلاطين السابقين[٢].

ان موقف السلطان عبدالحميد من الشرافة يسلط الضوء على حقيقة إدراك السلطان للمكانة المتميزة التي يحتلها الأشراف في العالم الإسلامي ، ولا شك ان لهذه المكانة تأثير قوي وخطير عليه بصفته "خليفة المسلمين وحامي الحرمين الشريفين" ، ومن هنا نلمس بان السلطان عبدالحميد الثاني كان حساسا في مسألة التعامل مع منصب الشرافة.

بعد اغتيال الشريف حسين عام ١٨٨٠ قرر السلطان عبدالحميد الثاني ان يعيد الإمارة الى بني زيد ، وذلك من خلال تعيينه الشريف عبدالمطلب بن غالب في هذا

= الشأن مهما عملتم وحاولتم " للتفاصيل انظر وثائق الارشيف العثماني باستنبول ، وثيقة رقم ٣٩٧٥ ، رقم الظرف ٥١ ، رقم القانون ٧٨ في ١٨ ربيع الاول ١٢٩٨ هـ الموافق ٥ شباط ١٨٨٢م .

(١) Abu-Manneh, Op.cit.,P.5.

(٢) Ibid

المنصب ، وقد سافر عبدالمطلب من الاستانه الى الحجاز في باخرة سلطانية خاصة كلفت الدولة العثمانية ألف وسبعمائة جنية عثماني . كما زود الشريف بنفقات سفر قيمتها ألفي جنية عثماني[1].

لقد كان السلطان في ذلك الوقت حذرا من تعيين الشريف عبدالمطلب وقد حذره الصدر الأعظم محمود نديم باشا الذي كان يتمتع بثقة السلطان من عبدالمطلب ، كونه معروفا من مذكرة كتبت بعد فترة قصيرة من ثورة ١٨٥٥ ، التي كان عبدالمطلب متفقا فيها مع حسين عوني باشا ومدحت باشا[2] ، في عزل السلطان عبدالعزيز ، إذ جاء التقرير بان الثورة تهدف الى " ان الخلافة سوف ترد الى اصلها (ويقصد الى قريش) وبان عبدالمطلب سوف يرتقيها "[3] لقد كان السلطان عبدالحميد يعرف ذلك ،

---

(1) للتفاصيل انظر السباعي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ص ١٦٩-١٧٠.

(2) ولد مدحت باشا في استنبول عام ١٨٢٢ لاب يعمل قاضيا ، وحصل على وظيفة في الصدارةالعظمى وهو لم يتجاوز العشرين من عمره ، ثم ترقى سريعا بعد ذلك في خدمة الباب العالي ، وفي عام ١٨٥٨ حصل على اجازة دراسية لمدة ستة شهور قضاها في اوروبا فزار لندن وباريس وفيينا وبروكسل ، وبعد عودته شغل عدة مناصب حكومية ، وعين في عام ١٨٦٥ على ولاية الدانوب ، واسندت اليه في عام ١٨٦٨ رئاسة مجلس الدولة ، ثم عين حاكما على ولاية بغداد (١٨٦٩-١٨٧٢) وعين في عام ١٨٧٢ صدرا اعظم ، للتفاصيل عن حياة مدحت باشا ، انظر السيد رجب حراز ، الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ١٨٠٤-١٩٠٩ القاهرة ١٩٧٠ ، ص ص ٤٩-٥٣ ، جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٠) ، ص ١٢٩.

(3) وتشير الوثائق العثمانية المحفوظة باستنبول بان الشريف عبدالمطلب قام بتكفير سلاطين آل عثمان مرتين ، وقد اثار ذلك ضجة كبيرة في مكة المكرمة ضد السلطان العثماني عبدالعزيز بمساعدة مؤيدية ، وعمل على " اثارة الناس ضد قوات الجيش السلطاني بدعوى انها قوات نصرانية " ويبدو ان مستشار السلطان هو الذي كتب هذه الوثيقة على حد تعبير الوثيقة نفسها بقولها " ويقول صاحب هذه اللائحة انه يعلم ذلك بحكم عمله في ذلك الوقت مستشارا للصدر =

لكنه أدرك ، على ما يبدو ، ان مصلحته تكمن في إزاحة عبدالمطلب من استنبول لان وجوده هناك قد اثبت إزعاجا للدولة العثمانية ، ومن جهة أخرى كان إصرار السلطان على تولي الشريف عبد المطلب منصب إمارة مكة كونه من عشيرة زيد ويعني ذلك ان السلطان كان يخطط لإثارة التنافس مع عشيرة عون وان تواجه إحداهما الأخرى ، وبهذا تكون الدولة العثمانية هي الفائز الوحيد في النهاية.

ومما يؤكد ذلك فقد اصدر السلطان عبدالحميد الثاني اوامرة الى الشريف الجديد عبدالمطلب لإخضاع بني عون للملاحظة والتدقيق " . ولكننا نلحظ في الوقت نفسه بان العثمانيين لم تكن لديهم النية في إضعاف آل عون ، إذ ان طيلة الاشهر الواقعة بين وفاة الشريف حسين ووصول عبدالمطلب الى مكة ، فان السلطات العثمانية في الحجاز بدت أنها دون شك ضد العونيين ، ولكن لم يكن هناك أي دليل بأنهم عملوا على إجراء التحقيقات على سياسة الشريف الداخلية[١].

وفي ٢٨ حزيران ١٨٨٠ وصل الأمير عبد المطلب مكة ترافقه ثلاث كتائب[٢] من القوات كتعزيزات للحماية في الحجاز ، وفور وصوله الى مكة أسرع بإزالة مؤيدي عشيرة عون من مناصبهم[٣] ، كما اصدر الأوامر بنفي الأشخاص من ذوي النفوذ والذين توجس خيفة منهم على مركزه ، وآثر بالمنافع العامة أقاربه وبعض المقربين إليه فخصهم دون غيرهم باحتكار تجارة الفاكهة والخضر[٤] . والانكى من ذلك ان كبر سنه جعله غير قادر على الأشراف الكامل وبكفاءة على الشؤون اليومية

= الاعظم ، للتفاصيل انظر الارشيف العثماني باستنبول ، رقم الوثيقة ، ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ، الوثيقة غير مؤرخة.

(١) Abu-Manneh, Op cit., pp 7-8.

(٢) مفردها كتيبة وهي فرقة عسكرية مؤلفة من الف رجل.

(٣) Abu-Manneh, Op.cit , p. 8.

(٤) وكان الشريف عبدالمطلب يصدر قرارات يطلق عليها (تقارير) وبمقتضاها تتوقف حرية تداول الفواكه والخضر ويصبح الاتجار فيها محصورا في ايدي بعض التجار من مكة هم جملة تلك التقارير يتحكمون في عرضها وتسعيرها ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٨٠-٨١.

للشرافة ، بل تركت إدارتها في أيد غير ذات خبرة ، إذ تولاها أحد أبنائه الكبار وسكرتيره[1].

لا شك ان تصرفات الشريف عبدالمطلب بن غالب كانت جائرة وأضرت بمصالح الشعب الحجازي ، فأدى الى ردود فعل عنيفة تمثلت بانتشار التذمر في طول البلاد وعرضها ، وتأزمت العلاقات بين الشريف عبدالمطلب وبين ناشد باشا الوالي العثماني ، ورأى السلطان عبدالحميد الثاني ان يتدخل لتسوية الموضوع تسوية سليمة تنطوي على المحافظة على كرامة الشريف وتصحيح الأوضاع الجائرة التي ادخلها ، فقرر السلطان عبدالحميد عزل ناشد باشا ، وعين بدله صفوت باشا في ٣ تشرين الأول ١٨٨٠ ، وزوده بأوامر تقتضي بإلغاء التقارير التي أصدرها الشريف عبدالمطلب بن غالب والسماح للتجار بممارسة نشاطهم بحرية ، الأمر الذي أثار استياء الشريف عبدالمطلب بن غالب من ما أصدره الوالي الجديد وسرعان ما نشب الخلاف بينهما . وازدادت الهوة التي تفصل بين الشريف والوالي ، ووقفت الاستانه على أنباء هذا النزاع ، وأراد السلطان عبدالحميد الثاني ان يعطي الشريف عبدالمطلب فرصة أخرى ، فاصدر فرمانا بعزل صفوت باشا وتعيين احمد عزت باشا الذي وصل مكة المكرمة في ٢٢ تشرين الأول ١٨٨١ ، وكان رجل طاعنا في السن قد قارب التسعين من عمره ، ولكن سرعان ما أطل الخلاف التقليدي بين الشريف والوالي . والواقع ان احتدام التنافس بين الشريف والوالي وحرص كل منهما على الاستئثار بأكبر قدر من السلطة والنفوذ قد أدى الى إهمال مصالح الحجاز ، وكانت السياسة العليا للدولة العثمانية في ولاياتها تقوم على هذا المبدأ ، وهو تقسيم السلطة في الولاية وتوزيع السلطة بين عدة هيئات حتى لا يقوم الوالي او غيره من كبار الموظفين بحركة انفصالية عن الدولة العثمانية[2].

ومن جانب آخر ، ان تعيين الشريف عبدالمطلب في منصب أمير مكة المكرمة ، فضلا عن التصرفات التي قام بها ، أدت الى غضب وإثارة بني عون

---

[1] Abu-Manneh, Op.cit., p. 8.

[2] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٤.

الذين قرروا إرسال وفد الى الاستانه يحمل التماسا الى السلطان موقع من ٤٠٠ مكي[١] ، بهدف التماسه بعزل الشريف عبدالمطلب ونزع الشرافة من بني زيد واعادتها الى وضعها السابق في فرع بني عون ، وكان من بين أعضاء الوفد الحسين بن علي (ملك الحجاز فيما بعد) . ولجأ الوفد الى إثارة السلطان على منافسهم عبدالمطلب فحدثوه طويلا عن صداقة عبدالمطلب للانجليز ولمدحت باشا ، بعد ان نفى الأخير خارج استنبول الى مدينة الطائف بتهمة مقتل السلطان عبدالعزيز[٢] .

وفضلا عن ذلك فقد انتشرت في استنبول إشاعات مفادها بأن البريطانيين كانوا يخططون لإثارة الاضطرابات في الحجاز وذلك بتقديمهم الرشاوى لشيوخ القبائل البدوية وبأنه " تم إرسال مليون جنيه انجليزي في ذلك الوقت بهدف نشر الاضطرابات وحث الناس عليه " . وكانت هناك إشاعة أخرى تشير بأن محمد المهدي الزعيم السنوسي في سيرينايكا Cyrenaica " الذي كانت لديه علاقات صداقة مع الشريف " بأنه يترأس عشرة آلاف من إتباعه وهو في طريقه نحو مكة . كما إن الوالي العثماني صفوت باشا كان منزعجا من هذه الأخبار ، فابرق الى استنبول متهما الشريف عبدالمطلب بن غالب بإقامة علاقات مع السنوسي[٣] .

ومن الصعوبة بمكان معرفة مقدار الحقيقة وراء تلك الشائعات ، وعلى أية حال ، فبعد اشهر قليلة من ظهور تلك التهم كتب الشريف عبدالمطلب بن غالب رسالة الى الباب العالي ، يتهم فيها العونيين بنشر التحريض على الفتنة والتآمر ، وقد أوصت وزارة الحربية للسلطان ، بعد وصول هذه المعلومات ، بأن يرسل مسؤولا

---

(١) Abu-Manneh, Op.cit , p. 9.

(٢) للتفاصيل عن الاتصالات بين الشريف عبدالمطلب بين غالب مع الانجليز ومدحت باشا والتي نقلها وفد بني عون للسلطان عبدالحميد الثاني ، انظر الارشيف العثماني باستنبول ، رقم الظرف ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ، الوثيقة غير مؤرخة ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٨٤-٨٥ ، صايغ الهاشميون والثورة ، ص ٣٥.

(٣) Abu-Manneh, Op.cit., p 9.

عثمانيا موثوقا به للتحقيق في الأمر ، كما يرسل قوة عسكرية لتعزيز الجيش في الحجاز [١] .

وعهد السلطان عبدالحميد الى القائد التركي عثمان نوري باشا بهذه المهمة ، وتوجه الى الحجاز بمرافقة أكثر من ٢٠٠٠ من القوات ، وعين القائد عثمان أول مرة قائد أعلى ، على أن يكون بعد ذلك واليا للحجاز أيضا . وارسل توصية الى السلطان بانه سوف يعمل على تقليص سلطات وامتيازات الشريف ، وكانت توصيته دقيقة ومفصلة دافع فيها عن تحديد سلطات الشريف ، وجاء فيها " يجب ان يتم تثبيت امتيازات الشرافة وان تعرف بالأسلوب الذي يتطابق مع الحقوق المقدسة للسلطنة السامية " التي تعني عمليا تجريد الشريف من كل سلطات حكمه ، وقد أوصى الوالي عثمان بأن الشريف سوف لن يكون له مهام قضائية ، ولن يكون له جيش خاص إلا عددا محدودا من (الضبطية) الذي يعينهم الوالي ، ولن يكون له مسؤولية على شؤون المسجد الحرام وليس له الحق في تعيين موظفيه او الاعطيات في الحجاز ، وان لا يكون له الحق في تعيين نقيب الأشراف ، وليس لاحد ان يعين المحتسب او الشيوخ للروابط او الأقسام المدنية ، وأشار الوالي العثماني ان تلك الامتيازات يجب ان تنتقل الى الوالي بدلا من اشراف مكة ، وبالنسبة لشؤون القبائل فان حق تعيين او طرد الشيوخ يجب ان يتم تسليمه الى الوالي ، ولكن توزيع حصصهم يجب أن يتم بعد التشاور وموافقة الشريف[٢] .

ولقد تم مواجهة التوصية ، على ما يبدو ، باستحسان من قبل الباب العالي ، وقد اصدر السلطان أوامره بان " الشروط والتحذيرات " التي اقترحها الوالي العثماني ، أكدها السلطان بفرمان تقليد للشرفاء في المستقبل من اجل العمل في ضوئها . وهكذا تولى الوالي عثمان كل السلطة في الحجاز[٣] .

---

[١] Abu-Manneh, Op.cit., p. 10.

[٢] Ibid.

[٣] Ibid, p.11

وأمام هذه التطورات يمكننا التأكيد بان نهاية الشريف عبد المطلب بن غالب لم تكن بعيدة إذ عثر في عام ١٨٨٢ بيد أحد رجال البلاط على خمس رسائل تحمل ختم الشريف عبدالمطلب ومؤرخة ٢٠ آب ١٨٨٢م ، وكانت واحدة معنونة الى القنصل البريطاني في جدة وأخرى الى محمد بن رشيد حاكم حائل المستقل والثالثة الى شيخ قبيلة حرب واثنين الى الشريفين القائدين " لحزب زيد " . ان محتويات هذه الرسائل تظهر بأن هناك حركة ثورية يعد لها الشريف عبدالمطلب ، ودون ان يحقق في الأمر سارع الوالي عثمان نوري باتهام الشريف عبدالمطلب بان لديه نوايا ثورية فألقي القبض عليه ، وأعلن عن عزله ، اذ أن التقرير المرسل للسلطان يؤكد بأنه قد كانت لديه النية للقيام بمثل هذا العمل ، ولكن الهيئة التحقيقية العليا التي أرسلت من استنبول أظهرت بان الشريف عبدالمطلب لم يكن له يد في الأمر ، وبان الرسائل يمكن ان تكون مزورة من قبل سكرتاريته ، ولكن ذلك جاء متأخرا[١] ، بعد ان عزل عن شرافة مكة المكرمة وزج في سجن الطائف ، ثم نقل من هناك الى منزله بالبياضية بالمعابده في مكة المكرمة حيث قضى ما تبقى له في الحياة حتى وفاته في ٢٩ أيار ١٨٨٦[٢] .

بعد عزل الشريف عبدالمطلب بن غالب ، عين السلطان عبدالحميد الثاني في عام ١٨٨٢ الشريف عون بن محمد المعروف بـ (عون الرفيق)[٣] ، مكان أخيه عبدالله بن محمد بن عون ، ثم عين الأخير وزيرا في الاستانه وانعم عليه برتبة

---

(١) وثائق الارشيف العثماني باستنبول ، رقم الوثيقة ٧٤ ، رقم الكارتون ١٤ ، الوثيقة غير مؤرخة.

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٦ ، عارف عبدالغني ، تاريخ امراء مكة المكرمة من ٨هـ – ١٢٤٤ ، دار العشائر للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ١٩٣٢ ، ص ٨٣٨.

(٣) الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون هو الابن الاصغر من حسين باشا للشريف محمد بن عون ، وقد تولى امارة مكة وكالة لحين وصول اخيه حسين باشا ، الذي عينته الحكومة اميرا على مكة ، في آب ١٨٧٧ ، وفي شهر ايلول من السنة ذاتها ، ارسل الشريف عون الرفيق الى استنبول ليعمل عضوا في مجلس شورى الدولة وهو بدرجة وزير ، للتفاصيل عن سيرة عون الرفيق قبل توليه الامارة انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨٠.

الباشوية نكاية ببني زيد ، ومكافأة لبني عون الذين نفذوا أمر السلطان بقتل مدحت باشا وهو في سجنه[1] .

ومن الجدير بالذكر ان العلاقات الشريفية – العثمانية قد شهدت مرحلة جديدة على يد الوالي عثمان نوري ، الذي عمل على تقليص امتيازات الشريف بل وتحديدها ، والواقع أن عثمان كان واليا قويا استند على قوة شخصيته وارادته ، فضلا عن القوة العسكرية التي كانت تحت تصرفه ، بهذا تمكن من انتهاج حكم عثماني جديد في الحجاز يقضي بحكمه مباشرة من قبل الدولة العثمانية ، ونال ، كما اتضح ، تأييد السلطان عبدالحميد الثاني.

ولم يكتف الوالي العثماني عثمان نوري بذلك ، بل حاول تقليص الشرافة الى الصفر ، ففي بداية ١٨٨٣ عين نفسه حاميا للمسجد الكبير (شيخ الحرم) في مكة ، فضلا عن منصبه كوالي وقائد أعلى ولا شك ان هذا المنصب الجديد قد أعطاه سيطرته المباشرة على علمائه وعمال حرمه[2] .

وقد أدرك الشريف الجديد (عون الرفيق) ضعف موقعه منذ تعيينه في أيلول ١٨٨٢م أميرا على مكة المكرمة وشريفها[3] . وحاول عون الرفيق ان يبحث عن دعم طبيعي عن طريق مصر ، ولكن بعد سقوط الخديوي اسماعيل وسيطرة البريطانيين على القاهرة لن يستطيع الخديوي ان " يلعب دور حامي الشريف "[4] ، الأمر الذي دفع بأمير مكة المكرمة وشريفها ، على ما يبدو ، الى الابتعاد عن تحدي الوالي عثمان نوري ومجاملته.

وهكذا عمل الشريف بسياسة الأمر الواقع ، وطبقا للتقارير التي اعلنها الوالي العثماني ، اذ امتنع عن كل شيء باستثناء النشاط الشعبي والأكثر تحديدا ، انه أعلن

---

(١) رفيع ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، جارشلي ، المصدر السابق ، ص ١٨١.

(٢) Abu-Manneh, Op.cit., p. 13٤

(٣) البتنوني ، المصدر السابق ، ص ٧٩.

(٤) عبدالعزيز محمد الشناوي ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٦) ، ج٢ ، ص ١٠١٣.

مقابلة العامة في أيام الجمع فقط ، كما سمح للزوار بمقابلته بشكل رسمي ، وامتنع عن البت بأمور القضاء ، وأشار بعض الناس من الطائف انهم ينتظرون لمدة ستة اشهر في مكة دون ان يجتمعوا بالشريف ، وكان عثمان من ناحية قد اظهر احتراما بالغا للشريف وكان يقوم بزيارته مرة في الأسبوع[١] .

والواقع ان العلماء والوجهاء في الحجاز قد استاؤا من السياسة العثمانية ، لانهم كانوا لا يرغبون رؤية الوالي العثماني الذي اغتصب سلطات الشريف ، لانهم يعدون الشريف هو الحاكم التقليدي ، وباستمرار حكمه يتم المحافظة على القيم والتقاليد الحية لديهم . فضلا عن ذلك فقد كان الشريف رمزا لكيانهم الشبه مستقل ، ، وحاميهم من الدولة التي اظهروا خوفهم منها بشكل واضح ، وكان حرمانه من سلطات حكمه ونفوذه من اجل أحكام السيطرة العثمانية قبضتها على الحجاز ، يعد أمرا ذا أهمية بالغة جدا ، وبذا استند اغلب الرأي العام المحلي للحجازيين على مساندة الشرافة[٢] .

ويبدوا ان الوالي عثمان نوري قد أدرك ، او بالوشاية على اكثر الاحتمال ، ردود فعل العلماء والوجهاء الحجازيين الرافضين لسياسته المركزية في الحجاز ، ويتضح الأمر جليا من قوله لنائب القنصل البريطاني بأنه " من الضروري حرمان كل الرجال المؤثرين في مكة وجدة من القوة لفعل الشر "[٣] أي انه يعد رفض الحجازيين لسياسة الظلم " فعل شر " ، لا سيما وان حركات المعارضة برزت بشكل علني من قبل قبائل زبيد ، وبشر ، ومعبد ، وسليم ، وقطع أفراد هذه القبائل طريق القوافل بين جدة ومكة المكرمة في ٤ آب ١٨٨٣[٤] .

---

[١] Abu-Manneh, Op.cit., p. 13.

[٢] Ibid p. 14.

[٣] Ibid.

[٤] وقد جهز الشريف عون الرفيق حملة عسكرية لقتالهم ففروا الى عسفان ، ولا حقتهم قواته حتى اوقعت بهم الهزيمة وادخلهم في طاعته ، للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

وهكذا بدا الوالي العثماني سياسة تعسفية ضد الوجهاء والعلماء ، اذ أرسل ثمانية منهم الى المنفى ، كما حكم على عمر ناصيف[١] (وكيل الشريف عون الرفيق في مكة) بالسجن لمدة خمسة عشر سنة ، لاتهامه بالاشتراك في الاضطرابات التي قامت بها تلك القبائل ، وفي الوقت نفسه فرض الوالي عثمان نوري سيطرته على رواتب واعطيات العلماء والأشراف كوسيلة أخرى بفرض الضغط عليهم ، فضلا عن ممارسة أساليب الضغط عليهم . فضلا عن ذلك التجأ الوالي الى سياسة خبيثة لزيادة حدة التنافس والتناحر بين العشائر الحجازية ، عن طريق منحه الإعانات السنوية الاعتيادية من القمح لعشيرة دون أخرى وهذه الوسيلة مارسها بشكل واضح ضد عشيرة حرب التي سيطرت على الطريق بين مكة والمدينة بينما حاول التقارب من عشيرة عتيبة[٢] .

وهكذا فان الحجاز في عهد إمارة عون الرفيق ، وبفعل سياسات الوالي عثمان نوري ، قد سادها سوء الإدارة ، وفقدان الأمن ، وإثارة الفوضى والفتن ، وتفشى الرشوة والوشاية ، وتململ الناس من كثر ما وقع من جور وظلم[٣] .

ولم يكتف الوالي العثماني بذلك ، بل أراد التدخل في تركيبة المجتمع المكي من اجل فرض سيطرته على شيوخ قطاعاته ، اذ ان مكة كغيرها من المدن الإسلامية التقليدية مقسمة الى قطاعات كان يترأس كل منها شيخ يعين من بين سكانها من قبل الشريف ، وبذا كان الشريف يسيطر على سكان المدينة ، وأدرك الوالي بان هذه أحد أعمدة سلطة الشريف في مكة ، وهكذا فقد أعلن في (مجلس إداري) مكة نيته عن إلغاء نظام الشيخ الواحد ، وتعيين ثلاثة أشخاص بدلا عنه[٤] .

---

[١] وهو رجل ذو ثروة كبيرة ونفوذ وحامل لوسام عال منحه اياه السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر Abu-Manneh, Op.cit., p 14.

[2] Ibid, pp. 14-15

[٣] موسى ، الحسين ، ص ٢٠ .

[١] Abu-Manneh, Op.cit., p. 16.

ولا شك ان هذه السياسات جعلت من عثمان نوري شخصية غير محبذة وغير ذي شعبية ، وقد تركزت المعارضة ضده من قبل علماء ووجهاء مكة ، التي أصبحت اكثر فعالية واكثر تماسكا منذ عام ١٨٨٥ ، اذ أدرك الرأي العام المكي بأن الهدف من وراء سياسات الوالي العثماني يكمن في جمع الضرائب وفرض التجنيد الإلزامي. وفي أعقاب إعلان عثمان عن سياسته الأخيرة في المجلس ، فقد ألصقت لوحات الإعلانات على بوابات الحرم تهاجم الوالي وتشير بانه " ينوي تنفيذ التنظيمات في الأرض المقدسة " ، وان نوايا عثمان باشا لتعيين ثلاثة أشخاص لكل قاطع كانت " لتنفيذ إحصاء السكان لغرض جمع الضرائب وتطبيق التجنيد الإلزامي " ، وقد دعت هذه الإعلانات " أهل مكة لليقظة " . كما أعلنت عن تأسيس جمعية تدعى " الجمعية الإسلامية " هدفها الإطاحة بالوالي " الذي يتصرف مثل القيصر " . وسردت الإعلانات مظالم الوالي العثماني وهددته بالموت ، وفي النهاية أعلنت بأن " الذي يقتل هذا الرجل سوف يدخل الجنة دون حساب "(١) .

وعلى الرغم من هذه التهديدات الا ان أحدا لم يقم بأي عمل عنيف ضد الوالي ولكن الحملة المضادة له أخذت شكلا آخر تمثل بممارسة الضغط عليه عند السلطان ، اذ أرسل الشريف (عون الرفيق) عدة رسائل وبرقيات الى السلطان يتهم فيها الوالي ، بعدم إعطاء قبيلة حرب عطاياهم السنوية كاملة ، وهذه السياسة هي التي دفعت بقبيلة حرب الى منع القوافل من السير الى المدينة ، كما اشتكى من سلوك الوالي اتجاه علماء ووجهاء مكة(٢) .

وفي الوقت نفسه وقع سبعة وعشرون من علماء وشرفاء مكة التماسا (عريضة) الى السلطان اشتكوا فيها من اضطهاد الوالي اتجاههم ، اذ اكدوا " ان العديد من العلماء والوجهاء قد سجنوا وعذبوا واتهموا بانواع مختلفة من التهم الخاطئة دون عدل " . كما اتهموا الوالي عثمان بعدم دفعه الرواتب والعطايا المعطاة

---

(١) Ibid . PP 16-17.

(٢) للتفاصيل عن مضمون اعلان المعارضة ضد سياسة الوالي العثماني انظر :
Abu-Manneh, Op.cit., p. 17.

بشكل معتاد الى أصحاب المقامات العليا ، وانهوا التماسهم (عريضتهم) بمطالبة السلطان بتطبيق عدله . وأشاروا بأنهم ليس لديهم طريقة للتخلص من ظلم الوالي الا الهجرة(1). ومما زاد الأمر تأزما مغادرة الشريف عون الرفيق مكة عام ١٨٨٦ بمرافقة أهل بيته ومؤيديه الى استنبول ، وفور وصوله أرسل الشريف وفدا للسلطان يسأله اما إعفائه من منصبه للشرافة والإمارة على مكة المكرمة ، او عزله للوالي عثمان عن ولاية الحجاز ، معلنا بانه لا يستطيع العودة الى الحجاز طالما ان الوالي فيه(2) .

وفي ضوء ذلك نلاحظ ان الحل النهائي بين رأسي السلطة في ولاية الحجاز لم يتقرر في مكة المكرمة عاصمة الولاية وانما في استنبول عاصمة الدولة العثمانية.

فقد اصدر السلطان عبدالحميد الثاني فرمانا بعزل الوالي عثمان نوري وتعيين حسين جميل بدله في منصب ولاية الحجاز ، ومع ذلك لم يأمن عون الرفيق جانب الباشا العثماني الجديد ، ولم يلبث انِ قامت أزمة عدم ثقة بين الرجلين ، وبات الشريف يتوجس خيفة منه ويضطهد أي فرد يحاول الاتصال بالوالي ، وكثرت الأوامر التي صدرت منه بسجن او نفي كل من حامت حوله شبهة الاتصال بالوالي العثماني ، ولم ينجح أعيان الحجاز وكبار رجال الدين والفكر من بطش الشريف عون الرفيق ، اذ كان من بين هؤلاء الذين صدرت ضدهم أوامر النفي أمام الشافعية ومفتي الأحناف ومفتي المالكية ونائب الحرم وسادن الكعبة الشريفة ، ووصلت هذه الأنباء الى الاستانة ، فامر السلطان بإطلاق سراح المعتقلين والسماح للمنفيين بالعودة الى بلادهم ، كما أرسل لجنة برئاسة احمد راتب باشا لتقصي الحقائق ، واستطاع الشريف عون الرفيق ان يستميل رئيس اللجنة احمد راتب باشا الى جانبه ويكسب وده ، وبالتالي جاءت النتيجة في مصلحة الشريف وتحمل الوالي حسين جميل باشا مسؤولية ما حدث . وفي ضوء هذا التحقيق صدر فرمان (أمر) سلطاني بعزل حسين جميل

(1) رفيع ، المصدر السابق ، ص ٢٠٥ ، عبدالغني ، المصدر السابق ، ص ٨٤٠ .

(2) Abu-Manneh, Op.cit , p. 17.

باشا وتعيين احمد راتب باشا واليا على الحجاز ، وظل عون الرفيق أميرا على مكة المكرمة[١] .

وقد استطاع الشريف عون الرفيق بدهائه السياسي ان يوطد علاقاته بأحمد راتب باشا الوالي العثماني ، ويضع نهاية للمنازعات التي كانت تحدث في معظم العهود ان لم يكن في جميعها بين أمير مكة المكرمة وشريفها وبين الوالي العثماني . وكان هذا التقارب والتواد قد بني على أساس التفاهم المسبق ولقاء المصالح الشخصية بينهما على حساب مصالح أهل الحجاز[٢] .

وهذا ما يعطينا التفسيرات وراء أسباب طول فترة الوالي احمد راتب باشا في منصبه ، اذ استمرت لمدة أربعة عشر عاما (١٨٩٤-١٩٠٨) ، فضلا عن ضعفه مقارنةً بمن سبقه من الولاة[٣] .

وفي ظل سياسة الوفاق والتصالح زاد الشريف (عون الرفيق) من استبداده ولجأ الى طرائق تعسفية استهدفت جمع الأموال بمختلف الطرائق ، وكان الوالي العثماني يتقاسم معه جزءاً من حصيلة هذه الأموال ، وقد تفنن الشريف عون بوسائل ظلمه وطغيانه في الولاية ، الأمر الذي أدى الى ارتفاع أصوات الرفض والاحتجاج اتجاه سياسته من أهل الحجاز[٤] ، حتى وصفهُ معاصروه " بأنه طاغ ومستبد في سلوكه وفاسد ويسيطر عليه الجشع " كما وصف بوصف آخر مفاده " كونه يفتقد للذوق والقدرة الإدارية " ، بل ان الاتهامات وجهت للسلطان أيضا بمحافظته على عون الرفيق كشريف وأمير على مكة المكرمة ، لاسباب " فرض السيطرة المركزية وجباية الأموال "[٤] .

---

(١) الشناوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠١٥ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٨٧.

(٢) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٠

(3) Abu-Manneh, Op.cit , p. 18.

(٤) للتفاصيل عن سياسة الشريف التعسفية ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، صص ٩٠-٩٣ ، فؤاد حمزة ، قلب الجزيرة العربية ، مكة المكرمة ، ١٩٣٣ ، ص ٣١٥.

(٤) Abu-Manneh, Op.cit., p. 19

ويبدو ان السلطان عبدالحميد الثاني كان على دراية تامة بسلوك الشريف (عون الرفيق) ولكنه كان يغض النظر عنه ، لانه كان يرى في ذلك تقليل بشأن وسمعة العائلة الشريفية التي كانت تنافسه في سلطته الروحية سواء في الحجاز او في الإمبراطورية العثمانية او في العالم الإسلامي كافة ، اذ كان الأشراف يحظون بالتعاطف والدعم منهم ، الا ان سلوك الشريف قد أساء الى موقعه وأدى الى البدء في فقدان ذلك التعاطف والدعم . ويبدو ان السلطان عبدالحميد الثاني قد وجد في سياسة وسلوك الشريف عون الرفيق ما يحقق مطامحه في توضيح شرعية خلافته أمام الكثير من المسلمين وبخاصة العرب الذين كانوا على اقتناع تام بعدم شرعية عبدالحميد الثاني بالخلافة ، اعتقادا منهم بان الخليفة يجب ان يكون من قريش . وهكذا تتضح لنا سياسة ودهاء عبدالحميد الثاني في إبقاء الشريف (عون الرفيق) في منصب شرافة وامارة مكة المكرمة ، لانه وجد فيه الجواب الواضح في الرد على المسلمين العرب الذين يرون ان تكون الخلافة (عربية – قريشية) ، لينظروا كيف يتصرف هؤلاء الأشراف المرشحين ، بنظرهم ، لمنصب الخلافة العربية .

وفي المقابل فقد اصدر السلطان عبدالحميد الثاني أوامره ببناء مأوى في مكة للحجاج الفقراء ، وإرسال الأموال في موسم الحج لتوزيعها على الحجاج الفقراء ، كما باشر بتنفيذ سكك حديد[١] الحجاز عام ١٩٠٠ وإعلانه ان الهدف منها هو لجعل

---

[١] صاحب فكرة انشاء سكك حديد الحجاز هو سكرتير السلطان عبدالحميد الثاني (عزة باشا العابد) وقد بوشر العمل فيه عام ١٩٠٠ بعد ان عهد به الى مهندسين من الالمان ، وكان انشاؤه يتعلق بعوامل سياسية وعسكرية ، وخاصة بعد ان سيطرت بريطانيا على قناة السويس ، وذلك لضمان وسيلة فعالة لنقل الجنود والمعدات في اسرع وقت الى جهات الجزيرة المختلفة ، ولتسهيل الاتصال بالحرمين الشريفين ، وقد تم العمل في انشاء الخط من دمشق الى المدينة المنورة ، أي مسافة ١٣٠٣ كيلومتر ، للتفاصيل ، انظر اورخان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ، العوينات ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٣١.

طريق الحج آمنا ومريحا . ولكن المشروع في حقيقته يهدف الى خضوع الحجاز للسيطرة المركزية في استنبول[١] .

كما كانت هناك إعانات تؤخذ من الحجاج المسلمين كافة لتنفيذ هذا المشروع لتسهيل أمر الحجاج ، ولكن الشريف عون الرفيق أمر ان يكون هذا التبرع إجباريا وان يفرض على كل حاج غير معسر ريالا ، فاخذ المطوفون بجمع تلك الريالات من الجميع رغم انه كان من ضمن الحجاج بعض الأعيان والأمراء الذين يقومون بالتبرعات الكبيرة التي تصل الى العشرات من الآلاف ، ولكن الشريف قد شدد أوامره بعدم خروج الحجاج من مكة المكرمة بعد الانتهاء من المناسك قبل دفع تلك الضريبة ، وان يحبس الحجاج جميعهم في مكة المكرمة مدة لا تقل عن سبعة أيام لتستفيد البلاد من بقائهم[٢].

ومن ناحية أخرى ، فقد اشتد التنافس بين الأشراف على منصب إمارة مكة المكرمة اثر وفاة الشريف (عون الرفيق) عام ١٩٠٥ ، وقد تحول تنافس الأشراف الى تنابذ واقتتال الى حد ان أحدهم قتل أخاه وقتل آخر أباه وتحول الأشراف الى قطع شطرنج[٣] في هذه المرحلة ، يتلاعب السلاطين ووزراؤهم في الاستانه بهم بحسب ما يرونه متمشيا مع أمن الدولة الخارجي والداخلي. وكان المرشحون يتنافسون على تقديم الوعود والعهود للسلطات الحاكمة في الاستانه طمعا في ان يظفر الواحد منهم بمنصب أمير مكة المكرمة وشريفها[٤].

ويوصف الأمير عبدالله بن الحسين في مذكراته تلك المرحلة بقوله ، انه كان يحفظ أشعارا حماسية عن الصراع بين عائلته وفروع الأسرة الهاشمية المنافسة

---

[١] محمد عبدالباقي عشماوي ، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية (مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨) ، ص ٥١.

[٢] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

[٣] صايغ الهاشميون والثورة ، ص ٣٤.

[٤] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٧٧.

لهـا[1] ، والتي بالتأكيد كان السـلطان عبدالحميـد الثـاني يغـذي هـذا الصـراع ويوظفـه لخدمة مصالحه المختلفة.

وهكذا فقد إقليم الحجاز علـى عهد السلطان عبدالحميـد الثـاني اسـتقلاله الذاتـي الذي كان متنعما به ، كما فقد منصب الشرافة في مكة المكرمـة خـلال الربـع الأخـير من القرن التاسع عشر الكثير من نفوذه المقدس في نفوس المسلمين بسبب سلوك عون الرفيق . وأصبحت الأمور في إقليم الحجاز تسير وفق فرمانات السلطان العثماني عبد الحميد الثاني من جهة وارادة الوالي من جهة أخرى ، التي كـانت تهـدف الـى تجريـد منصب الشرافة من مكانته وسمعته في إقليم الحجاز بخاصة والعالم الإسلامي بعامة. بل ان هذه المرحلة قادت الى زيادة التنافس والتناحر لنيل منصب أمير مكـة المكرمـة وشريفها بين أحفاد أبي نمي من قتادة مجتمعة على الرغم من انه كان على اشـده فـي هذه المرحلة بين السلطتين القياديتين في الحجاز (بني عون وبني زيد).

[1] يذكر الملك عبدالله ، بقوله " ويذكر في الايام بين بني عون - وهو بيتنا - وبني زيد - وهو الفرع الثاني من امراء مكة - ذاكرات اشعارا حماسية لازال اذكرها " . انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي (مكتبة برهومة ، عمان الاردن ، ١٩٨٩ ، ط١) ، ص ص ٩-١٠.

الفصل الثاني

المراسلات الشريفية - العثمانية

١٩٠٨ - ١٩١٤

الفصل الثانـي

المراسلات الشريفية – العثمانية ١٩٠٨ – ١٩١٤

١ – الحسين بن علي حتى توليه الشرافة.

٢ – إمارة الشريف حسين على مكة.

٣ – الحجاز بين الحسين والاتحاديين .

٤ – تدهور العلاقات بين الاتحاديين والشريف حسين .

١ - الحسين بن علي حتى توليه الشرافة :

ولد الشريف حسين بن علي[١] في الاستانه عام ١٨٥٣م ، خلال امارة الشريف عبدالمطلب بن غالب في مكة ، اذ كان والده وجدة محمد بن عون يقيمان يومذاك هناك[٢] ، وانتقل منها الى مكة مع اسرته وهو في الثالثة من عمره ، وذلك عند اسناد منصب الشرافة الى جده للمرة الثانية عام ١٨٥٦[٣].

وفي عام ١٨٥٨ سافر والد الحسين الى الاستانة أثر وفاة والده محمد بن عون في العام نفسه[٤] ، بينما ظل الحسين في مكة يتلقى تعليمه في مدارس خاصة للاشراف في مكة ، لعدم وجود مدارس عربية آنذاك ، فشغف الحسين في المطالعة والدرس ، وتفقه في امور الدين ، وحفظ القرآن[٥] ، ثم ما لبث ان علم بانحراف صحة ابيه فسافر الى الاستانة واقام فيها الى جانبه حتى توفي عام ١٨٧٠[٦] .

---

[١] الحسين بن علي بن حسين بن عبدالله بن حسين بن ابي نمي (محمد) بن بركات بن حسن بن عجلان ... علي بن ابي طالب ، انظر خير الدين الزركلي ، ما رأيت وما سمعت ، المطبعة العربية ، مصر ١٩٢٣ ، ص ١١١ ، عبدالله ، مذكراتي ، ص ٩.

[٢] جده محمد بن عون عزل عن الامارة عام ١٨٥١ وخشي السلطان العثماني ازدياد نفوذه واتساع سلطانه ، وعلو مكانته فنفي الى الاستانة ، وهناك ولد الحسين بن علي . انظر حكمت عبدالكريم فرحان الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة , (مكتبة دار الثقات ، عمان ١٩٩٠) ، ص ٥٦.

[٣] حسين محمد ناصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، (مطبعة خضير ، مصر ، ١٣٤٩ ، ج١ ص ٣) ، سليمان موسى ، غربيون في بلاد العرب (منشورات دار الثقافة والفنون الاردنية المطبعة الوطنية ، ط١ ، عمان ١٩٦٩) ص ١٦٣ .

[٤] اشتغل والد الحسين في الاستانة في المناصب الحكومية ، ومنها عضوا في المجلس الاعلى ، ثم صار وزيرا وعين عضوا في مجلس الشورى ، للتفاصيل انظر أمين الريحاني ، ملوك العرب بيروت ، ١٩٢٩ ، ج١ ، ص ص ٣-٤.

[٥] فريحات ، الثورة ، ص ٥٦ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص ٣-٤ .

[٦] موسى ، الحسين ، ص ١٧ .

واضطرته وفاة والده للعيش تحت رعاية عمه الشريف عبدالله بن محمد بن عون الذي تولى الشرافة منذ ١٨٥٨ ، فقربه اليه ، وأخذ يعده لتحمل المسؤولية ثم جعل يسيره في المهمات ، اذ سافر في ايامه الى نجد ، وطاف في شرق الحجاز للوقوف على قبائل تلك الانحاء وعشائرها ، واختبر احوال البدو واساليب حياتهم حتى صار وكأنه الصلة الدائمة بين إمارة مكة والقبائل الحجازية وغيرها[١] ، وكان من شدة اعجاب عمه به وحبه اليه أن زوجه من ابنته (عابدية خانم) التي انجبت له اولاده الثلاثة علي ، عبدالله ، فيصل[٢] .

اختلف الذين عرفوا الحسين في تقديرهم لشخصيته فقال بعضهم انه كان يحمل قلبا خفاقا وهو رجل لطيف ، ونبيل مهذب ، وكان حسن المعشر بهيج الطلعة ، رقيق المحيا ، وادابه في السلوك رفيعة وعاداته نفيسة ، يعمل باخلاص وبدون تصنع[٣] .

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٨ ، فريحات ، الثورة ، ص ٥٦ .

(٢) توفيت الشريفة عابديه خانم عام ١٨٨٧ ، فبقي الحسين بضع سنوات دون زواج الى ان نفي الى الاستانة عام ١٨٩٣ فتزوج من فتاة شركسية اسمها مديحة انجبت له بنتا اسمها صالحة عام ١٨٩٤ ، ولكن الزواج لم يدم طويلا ، فتزوج عام ١٨٩٧ من عادلة خانم وهي امرأة تركية حفيدة رشيد باشا الكبير ، فولدت له ابنه الرابع زيد وبنتان فاطمة وسره ، انظر ، موسى الحسين ، ص ٢٤ . ولكن الاستاذ سليمان موسى يناقض نفسه في كتابه الحركة بقوله " وكانت زوجته قد توفيت قبل نفيه باربع سنوات فاتخذ في العاصمة زوجة ثانية من عائلة تركية مرموقة فانجبت له ابنه الرابع زيد وثلاثة بنات . للتفاصيل انظر سليمان موسى ، الحركة العربية سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨-١٩٢٤ ، (دار النهار، بيروت ، ١٩٧٧) ص ٤٦ . ويشاطره الاستاذ أمين الريحاني الرأي في كتابه ملوك العرب ، ج١ ، ص٥٥ والواضح ان الاستاذ سليمان موسى يناقض نفسه في مسألتين ، الاولى ، مسألة النفي ، اذ يشير في كتاب الحركة بأن زوجته قد توفيت قبل نفيه باربع سنوات أي عام ١٨٨٩ ، بينما يشير في كتابه الحسين بانها توفيت عام ١٨٨٧ ، وكذلك يناقض نفسه في مسألة ثانية وهي عدد زوجاته.

(٣) هارولد . ف يعقوب ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة احمد المضواحي ، مركز دراسات البحوث اليمني ، صنعاء (دار العودة بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، ص ٣٠٧) .

بينما قال آخرون بانه كان عنيدا جسورا[١] غامضا عميق الغور شديد التكتم والحذر قليل البوح بآرائه الشخصية[٢] ، ووصفه فريق ثالث انه كان صاحب ارادة طموحا ولكن جميع الذين رأوه وحادثوه اتفقوا على انه كان صاحب شخصية جذابة لا تقاوم وقد وصفه السير رونالد ستورس ، (أول حاكم للقدس) بعد الانتداب البريطاني ذات مرة بانه " بدون شك الرجل الوحيد الذي باستطاعته ان يهز مجتمع لندن من اقصاه الى ادناه " . وكان بالنسبة للانجليز " سيدا للغة الدبلوماسية الملتوية " ، اما بالنسبة للاتراك فقد ظل " لغزا لا يحل[٣] .

ووصفه أمين الريحاني اثر مقابلته بقوله " في محيا الملك حسين سيماء جلال طبيعي لم اشاهد مثله في غيره من ملوك العرب ، بل فيه تتجلى روحانية شرقية قرنت بالتأدب الغربي . ان في حديثه عنصرين من الانس والكياسة ، الاولى اخلاقي نبوي ، والثاني اجتماعي اكتسابي ، فهو رقيق الاديم صافية ، عدل الانف ، دقيقة له جبين رفيع وضاح ، يظهر بكمال بهائه عندما يرفع العقال ويلبس العمامة ، وفي ناظريه نور يشع في حدقتين عسليتين تحيط بهما هالة زرقاء ، وله فوق ذلك ابتسامة ما عرفت اجذب منها للقلوب ، وقد كبرت هذه المحاسن في نظري لانها عارية من مظاهر الابهة والجلال "[٤] .

---

[١] قول الرحالة مسز ستيورت ارسكين ، نقلا عن موسى ، الحسين ، ص ٢٥ .

[٢] موسى ، الحركة ، ص ٤٦ .

[٣] جيمس موريس ، الملوك الهاشميون ، منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر ، بيروت د.ت ، ص ٢١ .

[٤] الريحاني ، ملوك ، ص ٢٧ . واحمد طربين يقول " كان الشريف حسين ، كاتم لا يصرح بما يجول في ذهنه الا نادرا فاذا فعل تبنى افكارا خطرة ومبتكره " انظر احمد طربين ، الوحدة العربية ١٩١٦-١٩٥٨ ، دمشق ، ١٩٦٦ ، ص ١٢٣ . وقد وصفت التقارير التي تلقاها السلطان عبدالحميد الثاني عن الحسين بانه " رجل عميق التدين على حظ موفور من قوة الارادة والصلابة والتفكير المستقل ، وأنه شخص صامت لا يتكلم الا نادرا واذا تكلم افصح عن اراء حصيفة مرتبة ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٨ . بينما يرى محمد حسين الزبيدي في كتابه مولود مخلص باشا ودوره في الثورة العربية الكبرى وتاريخ العراق المعاصر (دار-

لقد عاصر الحسين اوضاع الحجاز الداخلية ذات العلاقة باسرته ، عند انتقال الشرافة منها الى خصومهم من الفرع الهاشمي الآخر المتمثل بآل زيد ، اثر مقتل عمه الشريف حسين بن محمد على يد الرجل الافغاني ، فكان الحسين من ضمن الوفد الذي مثل آل عون في الاستانة سنة ١٨٨١ للتفاوض مع الحكومة العثمانية من اجل استرجاع حقهم في الشرافة على مكة . ومع عدم استجابة الحكومة لرغبتهم في هذه الفترة ، الا انها قامت في عام ١٨٨٢ أي العام التالي ، بخلع الشريف عبدالمطلب بن غالب عميد آل زيد وشريف مكة عن طريق القوة ، لاستبداده في الامور وإمعانه في القسوة والاهمال ، ونقلت الشرافة الى آل عون في شخص الشريف (عون الرفيق ١٨٨٢–١٩٠٥) عم الشريف حسين بن علي[١] .

بيد ان مظاهر استمرار المنافسة على الشرافة في مكة المكرمة لم يقف عند هذا الحد ، وانما تعداه الى نزاع آل عون انفسهم ، فضلا عن نزاعهم التقليدي مع آل زيد. فقد صعب على الحسين ان يرى بعض الاعمال الظالمة التي تقع على عاتق الناس من سياسة عمه (عون الرفيق) ، والتي كان الموظفون الاتراك يشتركون مع رجال عمه في ايقاعها[٢] . الامر الذي دفعه الى اعلان معارضته لسياسة عمه في ادارة الحجاز[٣] . وزاد من التهم ، التي رأينا انها او معظمها على الاقل كان لها اساس من الصحة ، والتي كان يبثها ضد عمه ، وكانت تدور حول اهمال شؤون الامن وابتزاز اموال الحجاج وتقاعسه عن الضرب على ايدي العابثين[٤] ، في وقت وصلت فيه

= الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٩) ، ص ٥٧ ، قوله ، " والدارس لشخصية الحسين يرى انه متصلب الرأي ، عنيد يصر على رأيه بصورة تجعل من الصعب تحويله عنه الى غيره ".

(١) للتفاصيل انظر الفصل الاول.

(٢) موسى ، الحركة ، ص ٤٥ .

(٣) موسى ، الحسين، ص ٢٢ ، حراز ، الدولة ، ص ١١٦ ، حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤.

(٤) الشناوي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠١٥ .

امارة الحجاز من الضعف والفوضى حدا اثار استياء الحجازيين وتذمرهم بسبب تجاهل اميرها (عون الرفيق) امر ولايته وادارتها[1] .

وهكذا فترت العلاقات بين الحسين وبين عمه الشريف (عون الرفيق) . اذ لم ترق للاخير تصرفات ابن اخيه ، فشكاه الى السلطان عام ١٨٩٣ هادفا ازاحته عن الحجاز ، وابدى له مخاوفه من تدخلات الحسين في شؤون الولاية ، وما يلحقه ذلك من خطر على الامن العام ويبعث الفوضى وعدم الاستقرار فيه[2]. وفي الوقت نفسه أخذ جواسيس الاتراك يوالون ارسال تقاريرهم الى السلطان عبدالحميد الثاني بشأنه فوصفوه " بالعناد وبأنه ميال لاذكاء روح القومية والاستقلال وقالوا ان في آرائه خطرا على البلاد اذا هو أثارها في الوقت المناسب " . وأشار بعضهم بصراحة الى طموح الحسين في اعتلاء منصب شرافة مكة المكرمة وامارتها مؤكدين بأن الحسين قد صرح بانه " احق بها من غيرة "[3] .

وفي العام نفسه ، بعث السلطان عبدالحيد الثاني الى الحسين ، يطلب اليه الشخوص مع اسرته الى الاستانة ليحل في ضيافته بعض الوقت[4] ، وجاءت دعوته تحت حجة " قطعة لالسنة السوء ، والاستفادة من خبرته "[5] ، ولم يكن هناك بد من تلبية الدعوة فغادر الحجاز في العام نفسه مع عائلته الى الاستانة[6] ، التي امضى فيها خمس عشرة سنة حتى تنصيبه اميرا علي مكة سنة ١٩٠٨م[7] .

---

(1) حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، عبدالله ، مذكراتي ، ص ص ٢٨-٢٩ .

(2) وهبة ، المصدر السابق ، ص ١٥٢ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص ٢٨ .

(3) موسى ، الحسين ، ص ٢٢ .

(4) الصواف ، المصدر السابق ، ص ٩٧ ، أمين الريحاني ، فيصل الاول (مطبعة صادر ، بيروت ١٩٣٤) ، ص ٢١ .

(5) ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ٤.

(6) موسى ، الحركة ، ص ٤٦ ، ولم تلبث اوامر النفي حتى صدرت بحق الأخرين من كبار رجال الدين منهم " الشيخ عبدالرحمن سراج مفتي مكة المكرمة الاكبر ، والشيخ عابد مفتي المالكية بمكة المكرمة ، والسيد عبدالله الزواوي مفتي الشافعية بمكة المكرمة باخراجهم من الحجاز الى أزمير ، للتفاصيل انظر عبدالله الحسين ، مذكراتي ، ص ١٩، زين نوري الدين زين ، اسباب=

والواقع انها كانت بهدف الاقامة الجبرية وليكون قريبا من عيون الارصاد ولم تكمن للضيافة ، كما اعلن السلطان العثماني . ومما يؤكد ذلك قول الامير عبدالله في مذكراته " لقد كانت اقامتنا باستنبول اقامة جبر واكراه بالرغم من ان السلطان عبدالحميد الثاني ، لما مثل والدي في حضرته يوم وصوله الاستانة قال له انه انما استدعاه لينشئه ويرجو منه ان يخدم الدولة ويخدمه ، وبالرغم من انه عينه عضواً في شورى الدولة ، وامر ان تهيأ له دارا ساحلية في البسفور وتفرش ، فقد كان في الحقيقة ورغم هذه الاعتبارات ، أخذ الى الاستانة نفيا وتغريبا ، بناء على معارضة سياسة الظلم والاعتساف بالحجاز ، واخذ الاموال الطائلة من الحجاج بشتى الاساليب ، تلك السياسة التي اختطها ولاة الحجاز والامير عون الرفيق "[1].

= الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنيه العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ط١ ، ١٩٦٥) ص ٥٦ ويشير سليمان موسى بأن " الشريف حسين أول من صدر الامر بابعاده عن الحجاز) انظر موسى ، الحسين ، ص ٢٢ . ويبدو انه قد توهم لان قبله عدد من الاشراف قد صدر بحقهم ذلك ، بل ان الحسين نفسه ولد في استنبول وقت كانت عائلته مبعدة .

= [٢] هناك اختلاف حول مدة بقاء الحسين في الاستانة فالفترة تشير الى خمسة عشرة سنة أي حتى توليه الشرافة (١٨٩٣–١٩٠٨) وذلك ما اكده ، حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، الزركلي المصدر السابق ، ص ١١٣ ، وهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٣ ، الشناوي المصدر السابق ص ١٨٣ . وهناك ما يشير بانها ستة عشر سنة منهم مؤلفين سليمان موسى ، الحركة ، ص ٤٧ ، الحرب ، ص ٢٢ ، بينما آخرون ومنهم سليمان موسى يذكرون ان المدة سبعة عشر سنة ، انظر موسى الحسين ، ص ٦٣ ، فيليب ناتيلي وكولن سمبسون ، الخفي من حياة لورنس العرب ، ترجمة ايلي لادند وابراهيم العابد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط١ ١٩٧١) ، ص ٦٣ وذكرها ايضا الريحاني ، فيصل ، ص ٢١ ، العمري ، المصدر السابق ج١ ، ص ١٧٦ ، والانكى من ذلك ان انطونيوس يقول بانها ثلاثة عشر سنة ، انظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٧٨ والاكثر غرابة في قول ونجتون الذي يذكر بان الحسين قضى مدة ثلاثون عاما في الاستانة كاقامة جبرية للتفاصيل انظر ريتشارد دنجتون لورنس في بلاد العربية ، تعريب محمود عزة موسى ، (بلامكان ، بلا تاريخ) ، ص ١٤٥ .

[1] عبدالله بين الحسين ، مذكراتي ، ص ١٩ .

كان الحسين في الاربعين من عمره عند وصوله الى الاستانة ، وقد اصبح رجلا واسع الخبرة كثير التجارب ، واقفا على معظم دخائل السياسة الحميدية فتظاهر بالهدوء واحتاط بالحذر ، وكان بطبيعته ورعا تقيا يمتاز باعصاب قوية لا تؤثر فيها العواطف فاستطاع بكل هذه الصفات تضليل جواسيس السلطان ، محاولة منه كسب اطمئنان السلطان فاسكنه الاخير في قصره الكائن في ضفاف البسفور مقدرا منعما ، وعينه عضوا في مجلس الشورى ثم منحه رتبة وزير ، واستمر في ذلك المنصب لحين تركه الاستانة عام ١٩٠٨[١] . الا ان ذلك لم يكن يبعد عن ذهنه طبيعة اقامته ، ومن حيث كونها " اقامة جبر واكراه "[٢] . رغم انها ، وبدون شك ، قد اكسبته الخبرة وسعة النظر في تقدير الامور ، فضلا عن تعرفة عن كثب على اوضاع الدولة العثمانية وطبيعة سياستها[٣] .

وانصرف الحسين اثناء اقامته في الاستانة الى العناية بأولاده والاشراف على تعليمهم على ايدي معلمين خواص في علوم العربية والتركية والعلوم العسكرية ، وفي الوقت نفسه كان والدهم يعمل على اتمامهم القرآن الكريم ، ومن المعلمين الذين اشتغلوا بتعليمهم الملازم الثاني صفوة العوا وهو شاب سوري اقام معهم في القصر ثم الشيخ محمد قضيب البان وأصله من حلب كان يعلمهم العربية ، ثم جيء بالشيخ محمد توفيق ليعلمهم حسن الخط ، ثم وظف الاديب التركي محمد عارف باشا لتعليمهم الادب[٤] .

وعلى الرغم من ذلك الا ان الحسين وابناؤه ، على ما يبدو ، لم يكونوا بعيدين عن الاساليب السائدة في عصر السلطان عبد الحميد ، اذ كان منزله في الاستانة

---

[١] موسى ، الحسين ، ص ص ٢٣-٢٤ ، حمزة ، المصدر السابق ، ص ٣٢٤ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ١٧-٣٠ ، محمد عابدين حمادة ومحمد تيسير ظبيان ، فيصل بن الحسين من المهد الى اللحد ، المطبعة العصرية ، دمشق ، ١٩٣٣ ، ص ٢٥ .

[٢] للتفاصيل عن النص الكامل ، راجع عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ١٩ .

[٣] ارسكين ، المصدر السابق ، ص ٢٨ ، و :

H.St. J, Philby ,Arabia, London , 1930 , P. 214

[٤] عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ،ص ٢٧ .

على حد تعبير ابنه عبدالله " بأنه مأوى احرار الناس من العثمانيين ومتظلمة العرب للمذاكرة فيما هم فيه "(١) . الا ان تظاهره بالحذر واحتياطه بالهدوء فضلاً عن الصفات الاخرى ، هي التي جعلت السلطان وجواسيسه غير قادرين على ان يجدوا عليه مأخذاً طول الفترة التي قضاها في اقامته الجبرية في استانبول(٢).

وعلى كل حال فقد اشار بعض الوزراء العثمانيين على السلطان عبد الحميد اكثر من مرة بتعيين الحسين بن علي اميراً على مكة المكرمة عوضاً عن الشريف عون الرفيق ، ولكنهم لم يجدوا استعداداً لدى السلطان لتعيينه في هذا المنصب . ولما مات الشريف عون الرفيق عام ١٩٠٥ ، رفض السلطان عبد الحميد تعيينه في هذا المنصب الشاغر ، اصراراً على رأيه ، ونقلوا عنه قوله "اني راضٍ بتعيينه اميراً على مكة المكرمة اذا اكتفى الشريف حسين بذلك فقط بل اني اعتقد انه لن يكتفي بالامارة فحسب بل يطمع الى اكثر من ذلك ويهدد يوماً ما عرشي "(٣) .

وعمد السلطان الى تعيين الشريف علي بن عبد الله (ابن اخ الشريف المتوفى) ولم يمض اكثر من ثلاثة اعوام (١٩٠٥-١٩٠٨) حتى اعلن استقالته ولجوئه لمصر خشية من بطش الاتحاديين الذين جاؤوا للحكم في العام الاخير(٤) . اذ خشي الشريف علي بن عبد الله – بحكم صلاته الوثيقة بالسلطان ان يعمد رجال الاتحاد والترقي – الى الانتقام منه ، فغادر الحجاز على عجل وذهب الى مصر لاجئاً سياسياً(٥) . اذ

---

(١) انظر الملك عبد الله ، مجلة الهلال ، القاهرة ، نيسان ١٩٣٩ ، موسى ، الحسين ، ص٢٢ موسى ، الحركة ، ص٤٦ .

(٢) موسى ، الحركة ،ص٤٦ ، عبد الرحمن شهبندر ، فيصل بن الحسين ، مجلة المقتطف المجلد ٨٣ (اكتوبر ١٩٣٣)، ص٢٥٨ .

(٣) العمرى ، المصدر السابق ، م١،ص١٧٧.

(٤) امين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، د.ت. ج٢، ص٤٩

(٥) صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص٣٤، امين سعيد ، اسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين ، دار الكاتب ، بيروت ، د.ت ، ص٤٤ .

كانت الأخيرة في هذه الفترة تحت الاحتلال البريطاني ولم يكن للدولـة العثمانيـة نفـوذ فيها .

عمـد الاتحـاديون ايضـاً الـى عـزل الكثيرين مـن خـواص السـلطان ووزرائـه وولاتـه ، ومن جملتهم الشريف علي بن عبد الله امير مكة ، وعينوا خلفاً له الشريف عبد الاله بن محمد ، الذي كان يقيم في الاستانة ولكنه توفـي وهـو يتـأهب للسـفر الـى الحجاز[1] .

وهكذا فأن اوضاع الحجاز الداخلية ذات العلاقة بأسـرته ، فضـلاً عـن الاجـواء السياسية للدولة اصبحت مؤهلة لأن يجدد الحسين وبقوة مطالبته بحقوقه في امارة مكة المكرمة .

---

(1) Hogarth , Op , cit , p .113 ; Philby , Op . cit ., p. 215

٢- امارة الشريف حسين على مكة المكرمة :

امسى منصب الشرافة شاغراً بوفاة الشريف عبد الاله ، مما فسح المجال لتجدد النزاع التقليدي القديم بين آل عون بشخص الشريف حسين بن علي ، وآل زيد بشخص الشريف علي حيدر بن جابر ، والذي يبدو انه كان انعكاساً للنزاع القائم بين جمعية الاتحاد والترقي من جهة وبين الاتراك المحافظين من جهة اخرى[١] ، وعلى ما اعتقد ، انها جزء من سياسة الاتحاديين الجديدة الرامية الى عزل خواص السلطان ، ومنهم آل عون امراء مكة المكرمة واشرافها ، وهذا ما يعطينا التبرير وراء اصرار الاتحاديين على تولية منصب امارة مكة الى آل زيد وبشخص علي حيدر .

بيد ان الشريف حسين سعى لاغتنام الفرصة وذلك بتقديمه مذكرة الى السلطان عبد الحميد الثاني بوساطة الصدر الاعظم كامل باشا ، يطالب فيها بتعيينه في المنصب الذي شغر بوفاة ابن عمه ، بوصفه اكبر افراد العائلة الهاشمية سناً واحقيته بمقام آبائه ، وقد جاء في مذكرته ما يأتي :

" بناءً على وفاة عمي الشريف عبد الاله بن محمد امير مكة المكرمة ، بعد عزل ابن عمي لشريف علي بن عبد الله بن محمد وخلو مقام الامارة ، ولكوني اسن العائلة الهاشمية واحقها بمقام الآباء ، استرحم جلالة السلطان ان يتكرم بايصالي الى حقي الذي لايخفى على جلالته مع صداقتي واخلاصي "[٢].

---

[١] ونشير الى معلومة يذكرها الباحث ستيل مفادها ، ان الشريف حيدر كان على خلاف مع السلطان عبد الحميد الثاني واستمر لفترة طويلة .بالرغم من طموحه في منصب الشرافة . انظر
George still , Aprince of Arabia , London , 1948 . p . 86
ورغم ان وهيم قد ابدى تحفظه منها ، الا اننا نكون اقل تحفظاً لكون المصادر العربية على حد علمنا ، لم تشر الى ذلك ، الا ان هذه المعلومة قد اكدها ارنست داون .Dawn, Op. cit, p 4

[٢] حول نص مذ كرة الشريف حسين الى السلطان عبد الحميد الثاني ، انظر ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٢٠-٢١ .

وكان الشريف حسين قد ارسل هذه المذكرة مع نجله عبد الله الذي قام بتسليمها الى الصدر الاعظم كامل باشا ، وبعد ان قرأها الاخير قال له : " اقبل انامل والدك واطلب اليك ان تبلغه بأن حقه لايضيع ان شاء الله"[1] .

واردف الامير عبد الله هذه المذكرة ببرقية رفعها على لسان والده الى السلطان[2] ، كما يتضح من قوله : " فكتبت نسخة برقية الى مقام السلطنة " جاء فيها " نظرا لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فإنني انتظر من الاعطاف السنية السلطانية عدم حرماني من حقي وتعييني من مقام آبائي " بوساطة الصدارة العظمى الى الاعتاب السنية ، وبوساطة رئيس كتاب القصر السلطاني الى الاعتاب السنية[3].

وفي ليلة ارسال البرقية ، وردت برقية من رئيس كتاب القصر السلطاني يقول فيها "ان حضور الحسين يوم غد في الساعة الثالثة صباحاً مرغوب فيه لدى جلالة السلطان "[4] .

وتوجه الشريف حسين الى قصر السلطان في الوقت المعين ، فعينه السلطان اميراً على مكة ثم استلم الفرمان السلطاني بتعيينه ، وهذا نصه :

" ... وبناء على ذلك ولوقوع انفصال امير مكة علي باشا اقتضى الحال الى احالة تلك الامارة الشريفة لذات الاشراف ذوي الاحترام ... الشريف حسين باشا – فأهلنا وفوضنا الامارة الشريفة المذكورة الى عهدة اهليته ... ليستقبل الحجاج ذوي

---

[1] عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٢١ .

[2] يبدو ان سليمان موسى قد توهم عندما ذكر بأن الشريف حسين هو الذي ارسل البرقية بقوله" ولم يكتف الحسين بهذا بل ارسل برقية بوساطة ثلاثة عناوين للعرض على السلطان " ، انظر موسى ، الحسين ، ص٢٦ .

[3] حول نص البرقية الامير عبد الله الى السلطان ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٢١، كما يبدو بأن فريحات قد توهم ايضاً عندما اشار بأن مذكرة الشريف حسين هي التي كتب منها الامير عبد الله ثلاث نسخ ، ولم يشر الى برقية الامير عبد الله اطلاقاً للتفاصيل انظر فريحات ، الثورة ، ص٥٨-٥٩ .

[4] عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٢١ .

الابتهاج المتوجهين من سائر ممالكنا الشاهانية ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين مطمئنين . وبعد ادائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق ايضاً يشيعهم ويستكمل اسباب عزيمتهم بكل اعتناء ودقة في الشام . وان يكون الناظر على توزيعهم وتقسيم الصرة الهمايونية المرسلة من قِبل سلطتنا الى اربابها بوساطة المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة ، وان يستجلب الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية وان يهتم في توفيق الامور والمصالح الواقعة والجارية بالعدل والحقانية متحداً مع وزيرنا والي الحجاز"[١] .

ومما سبق ذكره يمكننا القول بأن جهود الشريف حسين واسرته لم تذهب عبثاً بل اسهمت بشكل مباشر في تعيين الشريف حسين لمنصب امير مكة عام ١٩٠٨ .

وتضاربت الاراء في تحديد موقف كل من جمعية الاتحاد والترقي والسلطان عبد الحميد الثاني من تعيين الحسين في منصب امير مكة المكرمة ، اذ يرجع البعض تنصيبه الى الجمعية واصرارها ، رغم معارضة السلطان[٢] ، الذي كان يرتاب من نوايا الشريف حسين واهدافه في فصل الحجاز عن الدولة العثمانية ، بل انهم صوروا شكوك السلطان الى حد خشيته من احتمال تهديده (الشريف حسين بن علي) للعرش يوماً ما ، فضلاً عن اطماعه بالخلافة ، وتربصه الظرف المناسب للادعاء بها . اذ نسب للسلطان تصريح او رأي ادلى به عند تعيين الشريف حسين اميراً على مكة المكرمة اذ قال " لقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين الشريف الحسين اميرا على مكة المكرمة ويا ليته يقنع بأمارة مكة المكرمة

---

[١] حول نص الفرمان السلطاني ، انظر موسى ، الحسين ، ص ص٢٦-٢٧ ، حمزة ، المصدر السابق ، ص٣٢٥ .

[٢] وهيم ، المصدر السابق ، ص٣٥ ، الزبيدي ، مصدر سابق ، ص٥٧ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص٤١ ، ادوار عطية ، العرب ، ترجمة محمد قنديل البقلي (الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط١، ١٩٦١) ، ص٩٢ ، شكيب ارسلان ، تعليقاته على كتاب حاضر العالم الاسلامي ، لنثروب ستوارد ، ترجمة عجاج نويهض ، دار الفكر ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٧١ ، مجلد رابع ، ص٣٨٣ .

وباستقلال العرب فقط ، ولكن سيعمل بدهائه الى ان ينال مقام الخلافة لنفسه "[1] . او يعود تعيينه من قبل الاتحاديين بسبب مكانة الشريف حسين ونسبه الكبير ، او كرهه للسلطان كما يشير (انطونيوس)[2] .

وفي ضوء هذا الرأي يتبين بأن تولية الشريف حسين امارة مكة جاء بناء على رغبة جمعية الاتحاد والترقي .

بينما يخالف آخرون هذا الرأي ، فأعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانو عازمين على اسناد المنصب للشريف علي حيدر ، لولا مقاومة كل من السلطان والصدر الاعظم ، ضمن مساعيهم الرامية الى الحد من نفوذ جمعية الاتحاد والترقي . ولعل في غضب الاتحاديين واستغراب الشريف حيدر لتنصيب الحسين محله ، ما يعزز هذا الرأي[3] ، وربما كان الاتحاديون يميلون الى تعيين الشريف علي حيدر واعتقاداً منهم انه اكثر ميلاً اليهم من الشريف حسين ، هذا بالاضافة الى ان منصب امارة مكة خاص بالاشراف وهو منصب تقليد له صفة خاصة[4] ، ومن الجائز ايضاً ان يستند اصحاب الرأي الثاني ، على الموقف المتعاطف الذي تبادله الشريف حسين مع

---

(1) العمري ، المصدر السابق ، ج١، ص١٧٧، لوتسكي، المصدر السابق، ص٤٣٤ ، امراللواءالركن المتقاعد ابراهيم الراوي ، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث (مطبعة دار الكتب)، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص١١٢ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٩.

(2) اذ يقول انطونيوس ان هناك سببين كان وراء اختيار الاتحاديين للشريف حسين اميراً على مكة هما. شخصيته البارزة الموقرة ، فضلا عن مكانته في المجتمع وسمو نسبه ، كل ذلك اكسبه احترام عدد كبير من المعجبين ، فضلاً عن سبب آخر " هو ما كان معروفاً من كره السلطان له ، اختاره اعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين كانوا في الحكم ليكون شريفاً في مكة ، انظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص١٧٨، ت.أ ، لورنس ، اعمدة الحكمة السبعة ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٣ ، ص١٧ . كما يرى (هاورت) بأن الحسين كان يسعى لتحقيق نصر على ابن سعود لكسب ثقة الاتحاديين الذين الذين عينوه شريفاً على مكة ، انظر
Hawort , D , The Desert King , London , 1964 , P.22.

(3) وهيم ، المصدر السابق ، ص٣٦ ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٢٠.

(4) موسى ، الحركة ، ص٤٨ .

السلطان والصدر الاعظم قبيل سفره للحجاز . فقد اوضح السلطان للشريف حسين مقاومة الاتحاديين له في اقراره للمنصب الجديد ، بقوله" اسأل الله ان يجازي من حال بيني وبين الاستفادة من مواهبك الهاشمية ، وانني لست بالامين على الدولة والملك من هذه الفئة المتقلبة" .وقد بادله الشريف حسين بالاستعداد لما يكفل حمايته (السلطان) ، بل تعهد له في اعتبار الحجاز اول من يدافع عنه ، قائلاً "متى شعرتم جلالتكم بذلك فأول بلد من بلاد العرب تقوم بالواجب المفروض هو الحجاز " ، فشكره السلطان ثم قلده وسام الافتخار[1] .

وكذلك من الجائز الاستناد على الموقف المتعاطف ايضاً بين الصدر الاعظم كامل باشا والشريف حسين عند توديعه للاخير ، فقد سلمه مذكرة اكد فيها صلاحياته في الامارة دون الاكتراث بالدستور الجديد ، اذ جاء فيها : "ان الخطة الحجازية المباركة مربوطة رأساً بمقام الخلافة العظمى ، وانه لايسري اليها ما يخالف الحقوق المقدسة (بمناسبة الدستور الجديد) القائمة بين الامارة الشريفة والسدة السلطانية السنية . فقوموا بواجباتكم السامية على اساس التعامل القويم وفقكم الله للخير . وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لايحتاج الى تأكيد"[2] . ولا شك ان هذه المذكرة تحث الشريف حسين على ضرورة تنفيذ واجباته طبقاً للقانون التقليدي والروابط التي تربط امارة الحجاز بالسلطة العثمانية ، ولا شك ان هذه تعد النقطة الاولى للنزاع بين السلطان والاتحادين الذين يرغبون في تغيير سياسة الدولة القديمة.

واخيراً قد يكون ايضاً للنفرة الموجودة بين السلطان وعلي حيدر ، فضلا عن علاقة الاخير بعدة اصدقاء من جمعية الاتحاد والترقي وترحيبه بالثورة ، اثرها في موقف السلطان وابعاده (علي حيدر) عن امارة مكة المكرمة[3] .

---

[1] عبد الله بن الحسين، مذكراتي ، ص ص٣٠-٣١ .

[2] المصدر السابق ، ص٣١ ، موريس ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

[3] Dawn , Op . cit ., pp .4 -5.

وعلى الرغم من هذا التضارب فهناك امر لاشك فيه هو ان الاتحاديين كانوا اصحاب السلطة الفعلية ، وهذا ما اكده السلطان في آخر حديث له مع الشريف حسين قبيل سفر الاخير ، اذ وصفهم " الفئة المتغلبة ".

فتعيين الحسين او غيره هي من صلاحياتهم ، واذا ما افترضنا تمتع السلطان بقوته في هذه الاونة ، فمن الطبيعي ان يكون في غنى عن القضايا الثانوية ، بقدر اهتمامه في ازاحة الاتحاديين واسترداد مكانته . وعلى اية حال فأن السياسة التي انتهجها الاتحاديون في الحجاز ، تتمثل بقيامهم بعزل الوالي احمد راتب عن الحجاز لتباطئه في ولائهم وتنفيذ سياستهم ، كما ان الشريف علي بن عبد الله قد فرّ ، كما تقدم الى مصر للسبب نفسه ، فضلاً عن اصدار الاتحاديون اوامرهم لتأكيد سياستهم في الحجاز وانتخاب مبعوث عن كل (٥٠) شخصاً لتمثيل الحجاز في مجلس المبعوثان[١] ، ويشكل هذا دليل واضح على ان الاتحاديين كانوا يتمتعون بصلاحيات واسعة في تعيين وعزل من يريدون وبالضرورة ان يكون منصب الشريف الحسين كأمير على مكة المكرمة من اجراءاتهم .

---

[١] للتفاصيل ، انظر السباعي ، المصدر السابق ، ص ص١٨٤-١٨٥ ، وهيم ، المصدر السابق ص٣٧.

٣ – الحجاز بين الحسين والاتحاديين :

استقبل الشريف حسين بعد وصوله الى جدة في تشرين الثاني ١٩٠٨ من قبل اشراف الحجاز ومشايخ القبائل ، وبعد إقامته ثلاثة ايام ، واصل سفره الى مكة فاستقبله فيها وكيل الامارة ووالي الحجاز وقائده المشير كاظم باشا ، وكثيرون من الاشراف والشيوخ[١] .

ومن الجدير بالذكر ان حزب الاتحاد والترقي بجدة انتخب وفداً للسلام على الشريف حسين وقد استقبله رئيسه عبد الله القاسم بالكلمات التالية " جئنا نرحب بالامير الدستوري الذي يؤمل من سيادته ان يضرب صفحاً عن الاحوال الادارية القديمة ، وعن الظلم الذي كان يرتكبه الشريف عون الرفيق والشريف علي ، تبعاً للأدارة المستبدة وارضاء للسلطان . وان البلاد اذ تحيي سيادة الامير فأنها تحيي فيه الامير الذي عرف روح العصر والتجدد المطلوب للعمل تحت الدستور االذي هو نبراس السلامة "[٢] .

وقد انتهز الشريف حسين الفرصة لتأكيد سياسته في جوابه ، " حقاً لقد حظيت بمقام اسلافي وآبائي على الشريطة التي بايع بها الشريف ابو نمي السلطان سليم الاول . وان هذه بلاد الله لاتقوم فيها غير شريعة الله المشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي حريصة على الاحتفاظ بحقها " ، ولا شك ان رد الشريف حسين على الوفد كان رداً صاعقاً ، متسماً بالجرأة والشجاعة ، ويبدو انه كان مستاء جداً من سياسة الاتحاديين في الحجاز إذ هددهم من مغبة الاستمرار في سياسة التدخل في شؤون الحجاز الداخلية بقوله " فليذهب كل منكم ليشتغل بما يخصّه ... واياكم من قال وقيل ما يقولون " ، واعلن بوجههم سياسته الرامية الى حقه في حكم الحجاز

---

[١] تشير معظم المصادر الى ان تاريخ وصول الحسين جدة في شهر تشرين الثاني من عام ١٩٠٨ ومنهم ، موسى ، الحسين ، ص٢٩ ، ولكن في كتابه الاول الحركة العربية ،ص٤٩ ، يشير الى تاريخ ٣ كانون الاول ١٩٠٨ .

[٢] حول نص كلمة وفد الاتحاديين ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٣٧ .

بنفسه بدون تدخل الاتراك الغرباء بقوله " وان السلطان الآمر بالدستور الذي تذكره يفتخر هو واسلافه بأنهم خدام الحرمين الشريفين ، وليس الخادم بالملك"[1] ، وهكذا اظهرت كلمة الشريف حسين اصراره على ضرورة المحافظة على استقلال الحجاز الذاتي وحرصه على المحافظة على حقه التاريخي .

لقد اثار رد الشريف حسين استياء اعضاء وفد الاتحاد والترقي الامر الذي دفعهم الى الابراق الى مسؤوليهم في الاستانة والى مراكزهم يقولون فيها : "بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بدستور ولا يتجدد"[2] فكان هذا ايذاناً ببداية الخلاف العلني بين الشريف حسين وجمعية الاتحاد والترقي الذي دفعهم الى عداوة الشريف من جهة ، وتصميمهم مهما كلف الامر على تطبيق سياستهم المركزية على الحجاز من جهة اخرى .

وهكذا اظهر الشريف حسين منذ وصوله الحجاز نزعته المعارضة للسياسة المركزية ، التي هدف الاتحاديون تطبيقها في الحجاز كغيره من الولايات الاخرى وشرع يسعى ، يدفعه طموحه ، لتثبيت مركزه وسيادته في البلاد[3].

---

(1) المصدر نفسه ، ص٣٧ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص٤٥ .

(2) عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص٣٧-٣٨ .

(3) لقد بدأ الشريف حسين بهمة ونشاط منذ اليوم الاول لوصوله ، بل انه ارسل برقية يعين فيها نائبه في المدينة المنورة وهو ما يزال في عرض البحر ، وعقد مجلساً عاماً في مكة المكرمة " قبل ان يضع ملابس الاحرام" . وسرعان ما قبض على زمام الامور في الحجاز بحزم وجرأة لم تتوافر في اسلافه ، اذ اخذ يتصل بجميع طبقات الشعب يستمع الى خلافاتهم ويحل منازعاتهم بنفسه . قد بذل جهوداً كبيرة لكي يسود الامن في البلاد ، وقد كان حريصاً على الفصل بنفسه في جميع القضايا مهما كانت صغيرة وخاصة بين البدو ، حتى اجمعت قلوب الناس على احترامه وسماع كلمته والامتثال لزعامته . وكانت الطريقة التي اتبعها الشريف حسين للحد من شوكة الوالي وعدم تمكينه من توثيق علاقاته بالاهلين ، انه كان " لا يترك واحداً من الاهالي يتقاضى في قليل او كثير الا عنده سواء في ذلك الاحوال الشخصية والحقوق المدنية " ، وهكذا تمكن الشريف حسين من توطيد نفوذه في الحجاز وكسب ولاء الاهلين وثقتهم سواء منهم البدو والحضر ، كما تمكن من بسط نفوذه على قبيلتي عتيبة وحرب اكبر قبائل الجزيرة العربية . =

لقد بدأ الشريف حسين عمله بوضع حد لتدخل اتحادي مكة وانصارهم في شؤون الحكومة ، اذ كان لهم نفوذ ومقام في دوائرها ، " فشكوا منه وضجوا من اعماله وتصرفاته ورموه بحب الاستبداد والسيطرة وشنوا عليه غارة من الصحف " ولكن الشريف لم يأبه لذلك ولم يحمله على تغيير سياسته ، عندئذ رأى المركز العام لجمعية الاتحاد والترقي استغلال مناسبة الحج[1] ، بمهاجمة الشريف حسين عن طريق امير الحج الشامي عبد الرحمن باشا اليوسف[2] ، الذي اعلن في عام ١٩٠٩ ان الطريق البري بين المدينة المنورة - دمشق غير مأمون ، وانه يخشى اعتداء القبائل لاضطراب الامن ، لذا يرى الرجوع بمحمل الشام بطريق البحر من جدة الى سواحل الشام ، وعارض الشريف حسين تنفيذ هذا الاقتراح ، لأن معناه عجزه عن حماية الامن وتوطيده في داخل الحجاز ، لان مكانة الامير تعتمد بشكل اساسي على ضمان امن الحج ، وتعهد الشريف حسين بتأمين وصول الحج براً عن طريق المدينة المنورة - دمشق ، تاركاً الامير عبد الرحمن باشا اليوسف وحاشيته يسافرون بحراً من جدة الى دمشق ، وقد انتدب الشريف حسين اخوه الشريف ناصر وابنه عبد الله لايصال موكب الحجيج من مكة الى المدينة المنورة فدمشق ، فأعطى الشريف بذلك برهاناً واضحاً علىكفايته وسيطرته على القبائل[3].

للتفصيل، انظر ، موسى ، الحركة ، ص ص٥٠-٥٢ ، وهيم ، ص ص٣٧-٣٨ ، ناصيف المصدر السابق ، ج١ ، ص٨ .

[1] وقد حدث ذلك في موسم الحج الاول بعد تولية الشريف حسين الامارة ، انظر موسى الحركة ، ص٥١ .

[2] وهو من اعضاء حزب الاتحاد والترقي ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٤٢ .

[3] عبد الله الحسين ، مذكراتي ، ص ص٤٢-٤٣ ، سعيد ، الثورة ، ص١٠٤ -١٠٥ ، موسى الحركة ، ص٥١ ، اذ تمكن الحسين من اخضاع القبائل ومنها قبيلتي حرب وعتيبة التي تهدد طرق الحجيج الى مكة ، للتفاصيل انظر سعيد، اسرار ، ص٣٥ .

وهكذا فشلت اهداف الاتحاديين في شخص عبد الرحمن اليوسف ، والتي كانت ترمي الى اظهار عدم كفائة الامير الجديد في ضمان الامن في الحجاز وابعاد مسؤوليته الرئيسة منه ، وهذا بلا شك يسبب له خسارة كل نفوذه على القبائل.

ونظراً لأن مكانة امير مكة تعتمد بشكل اساسي على ضمان امن الحج ، فأن العثمانيين ركزوا على ذلك ، وعملوا على فصل المدينة المنورة عن ولاية الحجاز فوردت برقيات على الامير حسين بن علي من وكيله بالمدينة ، تتبئه بأن محافظ المدينة علي رضا باشا الركابي اقام حفلة كبرى وانبأ وكيل الامير بأن "لا صفة له بعد الآن". كما وردت برقيات للامير حسين من الشرفاء ورؤساء العشائر تستنكر هذا الفصل وتعترض عليه، فكتب الامير عبد الله الى الصدر الاعظم ابراهيم حقي باشا ، يسأله عن " مسؤوليات الامارة فيم بعد ، عن قوافل الحجاج والزوار ؟ هل هي كما كانت الى مدائن صالح الى محل معين بين الحرمين "[١].

ثم قابل الامير عبد الله والي الحجاز كامل بك واستفسر منه عن مسألة فصل محافظ المدينة عن الولاية ، وتسائل الامير ، هل يعني ذلك ان مسؤوليات الامارة هناك قد الغيت ، فأجابه الوالي بالفصل رسمياً ، بعد ان اطلعه على برقيتي الصدر الإعظم ، واكد الوالي بأن الامر اتخذ وبدون اخذ رأيي " . وبعد ساعتين من انتهاء المقابلة ورد جواب الصدر الاعظم على الامير عبد الله يقول فيه: " ان ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكك الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية . واما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها ، فهي كما كانت من مكة المكرمة الى مدائن صالح "[٢].

ويتضح مما تقدم ان امير مكة المكرمة (الشريف حسين) اصبح بموجب فصل المدينة المنورة مسؤولاً عن الحجيج في مكة المكرمة ، واما زيارة الحجيج لقبر

---

[١] حول نص برقية الامير عبد الله الى الصدر الاعظم ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ص٤٩ .

[٢] حول رد الصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص٥٠ .

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة فقد اصبحت من صلاحيات الحكومة لعثمانية ، وهذا بلا شك سابقة خطيرة على واجبات منصب الشرافة في مكة.

واظهر جماعة الاتحاد والترقي في الحجاز مرة اخرى معارضتهم لأميرمكة المكرمة الشريف الحسين بن علي ، وذلك عندما انتخب الامير عبد الله والشيخ حسن الشيبة بصفتهم نائبين عن مكة في البرلمان العثماني الاول ، فقد رفعت هذه الجماعة برقيات الى البرلمان استنكرت فيه انتخابهما ، على اساس ان الامير عبد الله لم يكن راشداً وان الشيخ الشيبة لم يحسن القراءة والكتابة بالعربية والتركية ، ولكن ذلك لم يغير من نتيجة الانتخابات[١] .

وبعد وصول الوالي الاول فؤاد باشا عام ١٩٠٩ للحجاز ، فأن الصراع بين امير مكة الشريف حسين والاتحاديين اصبح مريراً وقد بلغ الصراع قمته عندما اتهم الوالي اقرباء الشريف حسين والمندوب في الطائف بمحاولة تدبيرهم ثورة ضد الحكومة ، الامر الذي دفع بالشريف حسين الى ارسال برقية استنكر فيها هذا الاتهام ، الذي لا يتعدى اكثر من اشاعة صنعها الوالي ، الامر الذي دفع بالحكومة الى استدعاء الوالي وقائد الجندرمة . وفي نهاية العام نفسه ضاق الحسين ذرعاً من تصرفات الوالي واصبح لا يطيقها[٢] ، الامر الذي دفعه الى ارسال شكوى للحكومة تم بموجبها عزل الوالي[٣] .

ومن الجدير بالذكر ، ان الدولة العثمانية كانت تجعل بجانب الشريف امير مكة والياً من قِبلها من الرجال العسكريين والاداريين ، وكان يعهد اليه الجيش النظامي والمحاكم وادارة الاحوال ، او بتعبير آخر بيده كل مصالح الحكومة النظامية ، ومقره

---

[١] حول تقص البرقيات ، انظر لورنس ، اعمدة ، ص٤١٧ ، Dawn, Op. cit , P.8 ، احمد نوري النعيمي ، اثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، ١٩٨٢ ص١٥٤ .

[٢] Dawn , Op . cit ., p.8.

[٣] موسى ، الحركة ، ص٥٢ .

الحميدية بجانب الحرم الشريف ، وقد بنت الدولة هذا المقر لمن تبعثه من الولاة وتوابعهم على الحجاز[1].

ومن جهة اخرى ، كانت الدولة العثمانية تهدف الى دعم سلطانها في الحجاز عن طريق انشاء سكة حديد الحجاز . وقد واجه هذا المشروع مقاومة عنيفة شنتها القبائل الحجازية ، لادراكها بان انشاء السكة سيلحق بهم خسائر مادية كبيرة ، فقد كان اولئك البدو يتولون نقل الحجاج والزوار المتجهين الى المدينة المنورة من موانيء البحر الاحمر الشمالية ، وخاصة ينبع ، ويتقاضون مبالغ كبيرة من المال لقاء تلك الخدمة ولقاء توفير الدلالة والحماية لهم[2]. مما اضطرت الحكومة العثمانية بعد ان اثبتت فشلها في حماية خط سكة حديد الحجاز ، الى سياسة التفاهم مع القبائل واوكلت المهمة الى بحري باشا متصرف المدينة المنورة والشريف حسين امير مكة المكرمة ، اذ تلقى الاخير رسالة من الباب العالي يدعوه فيها للقيام بمهمة التوفيق بين القبائل والسلطات الحكومية لتسوية القضية . وتشير التقارير الواردة للباب لعالي بأن " بدو الحجاز قد جلبو للسكينة بأجراءات الشريف الحكيمة ، ففخذا قبيلة حرب الكبيران – المسروح وبنو سالم ، اللذان كانا يهاجمان سكة القطار قدّما خضوعهما وضماناتهما طبقاً للصلات العربية معلنين انهما لن يهاجما سكة القطار بعد ذلك[3].

وهكذا كانت الضمانات المادية التي قدمها الشريف حسين للقبائل ، كانت وراء التعهدات والضمانات التي قدمتها في المقابل القبائل للشريف حسين ، والتي بلا شك كانت كافية لهدوء الموقف حول سكة الحديد حتى عام ١٩١٦[4] .

---

[1] ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص٧-٨ .

[2] ادرك البدو من خط السكة ، ان اكماله يجعل اولئك الحجاج والزوار سيسلكون طريق حيفا او دمشق ويركبون من هناك القطار الى المدينة المنورة ، للتفاصيل عن مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز حتى فترة الشريف حسين ، انظر خالد حمود السعدون ، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز ، اسبابها ، تطورها ، خلال عامي ١٣٢٦هـ و ١٣٢٧هـ

[3] السعدون ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

[4] المصدر نفسه ، ص٥٥ .

وهكذا ادرك السلطان عبد الحميد الثاني فشله في مد سكة الحديد الى مكة[١] لأنها كانت احد اهدافه في استعادة التوازن في الحجاز لصالح استنبول بل نلحظ بأن التوازن استمر لصالح الشريف حسين اثر تفاهمه مع القبائل وتهدئتهم على اساس عدم استمرار مد خط السكة الى مكة .

ولعل ذلك التحفظ هو الذي جعل الشريف حسين بن علي وسلفه علي بن عبد الله لأن يبذلان جهوداً جدية في التوسط لدى القبائل واقناعها بعدم معارضة مد السكة ومع ما هو معروف عن نفوذ اشراف مكة المكرمة بين تلك القبائل ، وهذا النفوذ هو الذي مكن الشريف حسين من اقناع تلك القبائل عام ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م ، بالكف عن المقاومة ، وربما كان تحركه في هذا السبيل قد جاء في النهاية نتيجة قناعته بأن السكة لن يقدر لها بعد ذلك الوصول الى مكة المكرمة . ويلاحظ هنا ان اشرف مكة وغيرهم من القوى المحلية المجاورة رغم تحفظها على سكة حديد الحجاز فأنها لم تقم بجهد حربي او تحرك سياسي مكشوف ضدها[٢] .

وعلى الرغم من ذلك فان الشريف حسين قد اظهر اخلاصه للدولة العثمانية اذ لم يتردد ابداً في الاستجابة لطلبات الباب العالي في محاربة كل من حاول القيام على الدولة او الانفصال عنها ، من اجل ذلك قاد الشريف حسين حملتين عسكريتين الاولى سنة ١٩١٠ نحو نجد لمحاربة ابن سعود الذي انتزع ارض عتيبة من العثمانيين ، وكانت النتيجة ان اعطى ابن سعود للشريف حسين وثيقة خطية تتضمن اعترافه بسيادة الدولة لعثمانية ، واعتراف بتبعية عتيبة للشريف[٣] .

ولنا ان نتسائل هنا عن موقف الحكومة العثمانية خلال تلك الحملة وهو موقف لم يكن واضحاً ، على ما يبدو ، حتى لابن سعود نفسه . ويمكن القول انه من غير

---

[١] Abu - Manneh , Op . cit ., 21.

[٢] السعدون ، المصدر السابق ، ص٥٦ .

[٣] حول حملة شريف مكة على القصيم سنة ١٩١٠ ، انظر . Haworth , Op . cit ., p . 22
اذ يشير الى ان الحسين كان يسعى لتحقيق انتصار على ابن سعود لكسب ثقة الاتحاديين الذين عينوه شريفاً على الحجاز

المعقول ان تتم حادثة من هذ النوع دون علم الحكومة العثمانية ، كما انه من غير المتوقع ان يقدم امير مكة المكرمة الشريف حسين التابع للحكومة على عمل من هذا القبيل دون حصول مراسلات مع حكومته ، ليتم اطلاعها على الامر ، وعلى هذا ارجح ان يكون الامر تم بعلم الحكومة العثمانية ، ان لم يكن بمباركتها ، ولعل ذلك الخاطر قد طاف بذهن ابن سعود ، فضمن رسالته الى الشريف حسين قوله " بأنه ليس نزاع مع الحكومة العثمانية ، وان اهل نجد الذين اختاروه حاكماً لهم يعترفون بسيادة السلطان عليهم "[1] .

ويجدر بنا ان نسلط الضوء على الدوافع التي دفعت الشريف حسين للاقدام على حملته تلك ، فإذا استثنينا الغرض بأنها تمت بتوجيه من الحكومة العثمانية فيمكننا القول بأن اول هذه الدوافع هي رغبته في تحقيق نصر مهم ، يظهره امام الحكومة العثمانية بأنه الزعيم المنفذ في كل شبه الجزيرة العربية والذي يستطيع ان يحقق بحملة صغيرة ما عجزت عنه جيوشها وجيوش حليفها ابن الرشيد[2] ، ولا شك ان ورقة التعهد التي حصل عليها من ابن سعود قد حققت له هذه الغاية .

وفي عام ١٩١٠ ، استشار العثمانيون الشريف حسين امير مكة المكرمة بشأن الثورة التي قام بها الامام يحيى في اليمن ، فنصحهم الشريف حسين ان يتفقوا مع الامام يحيى على اية شروط تكون مقبولة لديه ، كي لا يضطرون لمواجهة ثورة اخرى في المستقبل وفي الوقت نفسه كتب الشريف حسين الى الامام يحيى باسم الرابطة الاسلامية على ضرورة الاتفاق مع الدولة العثمانية . وعمل الاتراك بنصيحة الشريف حسين وعقدوا اتفاقية مع الامام يحيى في آب ١٩١١ ، اعترفوا فيها برئاسته

---

(١) فتوح عبد المحسن الخترش ، العلاقات السعودية – اليمنية ١٩٢٦-١٩٣٤ ، (منشورات ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٣) ، ص٥٢ .

(٢) للتفاصيل عن العلاقات بين حائل والدولة العثمانية ، انظر جبار يحيى عبيد ، التاريخ السياسي لأمارة حائل ١٨٣٢-١٩٢١ ، اطروحة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٧ ص١٢٣ .

في صنعاء والجبل . وظل الامام وفياً لهذه الاتفاقية حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى[١] .

كما استنجدت الدولة العثمانية في عام ١٩١١ بالشريف حسين للقضاء على الشيخ محمد الادريسي[٢] امير منطقة عسير[٣] بسبب شقة عصا الطاعة واعلانه عدم الولاء والطاعة للسلطان العثماني واعلانه انفصال اقليم عسير عن السلطة العثمانية اذ استطاع الادريسي ان يجمع حوله القبائل وان يتحصن في ابها عاصمة اقليم عسير ، وان يتزعم للقيام بثورة عسير ، فانتهز فرصة وقوع الانقلاب العثماني عام

---

[١] موسى ، الحركة ، ص ص٥٢-٥٣ .

[٢] ولد محمد بن علي بن احمد بن ادريس في منطقة صبيا في عام ١٨٧٦ م ، ونشأ فيها وظل حتى عام ١٨٩٤ ، حيث توجه الى مكة المكرمة ، واقام بها مدة ستة اشهر ، ثم قصد مصر لتلقي العلوم في الازهر الشريف ، واقام بها ست سنوات . وفي خلال اقامته في مصر التف حوله بعض المسلمين من دعاة السياسة الايطالية واظهروا الصداقة والمحبة وانتسابهم الى طريقة جده السيد احمد بن ادريس (احد علماء الصوفية المحققين) حتى استمالوه اليهم واصبحوا موضع ثقته : ثم بدأوا يثيرونه على الدولة العثمانية ويصفونها له بأنها دولة ظالمة ومجحفة بحق اهل اليمن ، ولا بد ان يزول ظل هذه الدولة من هذه الولاية وتعود الى اصحابها. " فأنتم احق بأوطانكم " . وقد لقي هذا الكلام من الادريسي اذناً صاغية وجالت في ذهنه فكرة محاربة الدولة العثمانية . الامر الذي دفعه بالعودة الى مقره الاصلي صبيا واخذ يبث الدعايا لنفسه ويتحين الفرص المناسبة لتنفيذ رغباته ، للتفاصيل ، انظر الصواف ، مصدر سابق ص١٤١ ، الريحاني ، ملوك ، ص٢٩٨ ، شريف عبد المحسن البركاتي ، الرحلة اليمانية (المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر ، دمشق ،ط٢ ، ١٩٦٤) ص ص٦-١١ .

[٣] متصرفية عسير جزء من ولاية اليمن التابعة للدولة العثمانية وتقع في جبال السراة ويتبعها ست قائم مقاميات منها في السراة اثنتان وهما "النماص" الواقعة في شمال "ابها" ، وشرقي " القنفذة "والثانية قائم مقامية "غامد" ومركزها "رغدان" شمال "النماص" والاربع الاخرى واقعة بتهامة عسير ، للتفصيل انظر مؤلف مجهول ، خصائص اليمن ، مخطوط محفوظ في دار صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم ٢٤٦ .

١٩٠٨ واعلان الدستور ، وما تبع ذلك من انشغال حكومة الانقلاب بالمشكلات الداخلية والخارجية[١].

ويذكر البركاتي " لما خاف دولة امير مكة من استفحال امر الادريسي ... خاطب الدولة العليا في ان تلفت انظارها الى هذا الثائر الباغي " . " فرأت الدولة العليا ان تلقي فك هذا المشكل على كاهل دولته ، لما عهدته فيه من الهمة التامة في توطيد دعائم الامن ، والعزم الماضي في قمع الثائرين ، وقطع دابر المفسدين فاصدر أمير المؤمنين امره الشاهاني الى دولته بالتوجه لفك حصار ابها ، واستئصال شأفة الادريسي " ، فتمثل الشريف حسين للامر[٢].

تمكن الادريسي من تكبيد القوات العثمانية خسائر جسيمة في اثناء حصاره لقواتها في مدينة ابها ، الامر الذي دفع بالدولة العثمانية الى الاستنجاد بالشريف حسين ، الذي كان هو الآخر يتحسب من امتداد خطر الادريسي الى الحجاز فارسل الشريف الرسل الى الادريسي لغرض التفاهم معه ، ووعده بتنفيذ مطالبه ، إلا ان الادريسي رفض ذلك واصر على مواصلة الحصار ضد القوات العثمانية[٣].

اعد الشريف حسين حملة على عسير ، لمحاولة فك الحصار عن القوات العثمانية المحاصرة في مدينة ابها ، وارسل برقية الى ولديه فيصل وعبدالله لقيادتها اذ كان الاخير عضواً في مجلس المبعوثان في استانبول[٤] . ولا شك ان موقف الشريف حسين قد زاده احتراماً وتقديراً من الدولة العثمانية ، وهذا ما كان يبغيه من اظهار سمعته ومكانته وابراز سمعة ولديه عبد الله وفيصل .

---

[١] محمد احمد بن عيسى العقيلي ، المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ ، ج٢ القاهرة ، ١٩٦١ ، ص٩١ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص١٤١ .

[٢] للتفصيل انظر البركاتي ، المصدر السابق ، ص١١ .

[٣] سعد كاظم حسن ، الملك فيصل الاول ودوره في الثورة العربية رسالة ماجستير مقدمة الى معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٨٨ ، ص٣٣ .

[٤] يشير الملك عبد الله الى ذلك في مذكراته " وكنت يومئذ في المجلس النيابي ، فطلبني واجازني المجلس ، لالتحق بالامير في الحجاز ، الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص٧٨ .

وقبل تحرك الحملة ، القى الشريف حسين خطاباً في اعيان مكة واشرافها قال فيها انه " يسافر مع اولاده وقبائله بأمر جلالة السلطان ، لتضحية نفسه في سبيل بلاده ووطنه وسلطانه ، الذين نذر نفسه لخدمتهم "[١] .

وتحركت الحملة في ١٦ نيسان ١٩١١ ، بقيادة الامير فيصل ، فوعده الاتراك بتسليم اقليم عسير له في حالة نجاحه في الحملة والقضاء على الادريسي[٢] . وتقدمت الحملة في تهامة وتمكنت في تموز من فك الحصار عن ابها ثم استولت على القنفذة وتوقفت فيها ، بسبب الظروف الطبيعية والمناخية الصعبة وقلة المياه وانتشار امراض واوبئة ومنها الحمى ، التي اصيب بها قائد الحملة الامير فيصل[٣] . وبعد ذلك عادت الحملة الى الحجاز بينما ظل الادريسي صامداً على موقفه ضد الدولة العثمانية ومعتصماً في المناطق الجبلية في عسير[٤] .

وكان الشريف حسين قد خطب في مدينة ابها خطاباً ، بذكرى اعلان الدستور دلل فيه على شدة اخلاصه للدولة العثمانية إذ قال للمحتفلين : " اعلموا علم اليقين انه لولا وجود هذه الدولة العثمانية وشدة اعتناء خلفائها بالامة الاسلامية .... لاختطفتكم الدول الاجنبية اختطاف الذئاب للغنم المنفردة "[٥].

ويبدو ان سبب عودة الشريف حسين الىالحجاز قبل تصفية ثورة الادريسي انما يعود الى الخلاف الذي نشب في ابها بين الشريف ومتصرف عسير سليمان شفيق باشا بسبب رفض الاخير الى الائتمار بما يشير الشريف ، وكانت من اسباب الخلاف الفضائح التي شاهد الجنود والضباط الاتراك يرتكبونها في عسير من اطراف القرى

---

[١] موسى ، الحركة ، ص٥٣ ، العقيلي ، المصدر السابق ، ص١٠٣ .

[٢] البركاتي ، المصدر السابق ، ص١٤ ، توفيق علي برو ، العرب والترك في لعهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤ ، معهد البحوث ولدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص٢٤٧ .

[٣] للتفاصيل ، انظر الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص ص٧٩-٨١ .

[٤] موسى ، الحركة ، ص٥٤ ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٦١ .

[٥] موسى ،الحركة ، ص٤٥ .

وقتلهم الابرياء والتمثيل بالموتى ، كل ذلك كان سبباً في عودة الشريف الى الحجاز من جهة ، وبداية تفكيره في الانتفاضة على الاتراك[1] .

وفي آذار ١٩١٣ عادت الحملة الى عسير لكن دون ان تشترك مع الادريسي في معارك فاصلة[2] ، إذ حاول الشريف ان يتوسط بين الادريسي والدولة العثمانية ولكن بذور الارتياب في اهداف الشريف اخذت تنمو في نفوس الاتراك ، فرفضوا الوساطة ومنذ ذلك الحين اخذ موقفهم منه يتشدد ويغدو اكثر صلابة[3] . ونستدل على ذلك من رسالة بعث بها الشريف حسين الى اخيه ناصر (عضو الاعيان) في الاستانة وقد طلب منه ان يبلغها الصدر الاعظم ، إذ جاء في رسالة الشريف ما يأتي : " يا سيدي ودهم يخسفوا بنا الارض رغماً عما نحن قائمون لهم به من الخدمات المهمة . ما هو من جهة الامارة . لا. لا يا سيدي ، بل لمقام الخلافة التي هي الان الوحدة الاسلامية ... لكن يا اخي كان يقتضي إذا سمعت مثل هذا تروح لحضرة الصدر او مستشاره وتقول له بلغنا كذا وانا متأسف بانكم تسعون في خروج الحجاز من ايديكم. وهو الان اول ولاية في الخضوع والسكوت . ويلزم تعلمون ان الدولة ليست محصورة في الترك بل لنا النصيب الاعظم في الشورى وحق الرأي فيما يتعلق بأساسها . فما نراه اصلح نعمل به وما نراه مضر ومخالف بمنافعها فنرده بالمراجعة لهم فيه ، ما هو لكسب شهرة او منفعة ذاتية بل لخدمة جماعة المسلمين ... خلاصة يا أخي انت ما ارسلناك تصير اعيان ، انت من طرفي اذا سمعت مثل هذا تروح تستوضح الصدارة والراية عن مثل هذه المواد وتعرضه عليها ... "[4] .

---

[1] موسى ، الحركة ، ص ص٥٤-٥٥ ، عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص٦٢-٦٥ سعيد ، الثورة ، ج٣ ، ص١٥٠ .

[2] موسى ، الحسين ، ص ص٣١-٣٢ ، الاملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص ص٨٠-٨١ .

[3] الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار ، ص٧٨ .

[4] موسى ، الحركة ، ص ٥٦ ، ان موقف الشريف حسين كان متفقا مع موقف الزعماء العرب الاصلاحيين الذين كانوا ينادون باللامركزية ، وبان تنال الدول العربية قسطا كبيرا من اسباب الحكم الذاتي ، لذلك لنرى خمسة وثلاثين من الاعضاء العرب في مجلس المبعوثان يوجهون =

وقد اشيع في الحجاز اشاعات نبأ هزيمة الجيش العثماني وان الشريف قد قتل وقد نشر هذه الشائعات الشريف ناصر بن محسن ، أحد بني غالب ، وقد ابلغ الشريف حسين بذلك ، وفي اليوم الثاني لوصوله الى الطائف جاءه الوالي حازم بيك على رأس وفد لاستقباله كان من بينهم الشريف ناصر ، وعندما شاهده الشريف امر باخراجه فاجابه " الوالي : عفوا يا سيدي فانه قد جاء معي ".

اجابه الامير صادا : وان كان قد جاء معك ؟!

فقال الوالي : انا ممثل السلطان ، هذه المعاملة تحقير للسلطان نفسه ... فاجاب على الفور : هل تركتم ناحية من السلطان لم تحقروها ؟ انا ممثل السلطان هنا لا أنتم..."[1] .

وبعد ثلاثة أيام وردت برقية من الصدر الاعظم تأمر امير مكة المكرمة الشريف حسين بالاعتذار عن قضية الشريف ناصر ، جاء فيها : " لقد بلغت المسامع السنية التي وقعت من ذاتكم الهاشمية على الشريف ناصر بن محسن الذي هرع لاستقبالكم مع عطوفة حازم بك والي الحجاز ، وان الرغبة السلطانية منصرفة الى استدعاء الشريف الى مقامكم السامي وتلطيفه وارضائه "[2] .

فأجاب الامير حسين بأن ناصرا كان قد نشر إشاعة ، يمكنها ان تكون هدفا لخلق ثورة ، وما جاء في برقية الامير حسين قوله " بما ان الاسباب الموجبة لما نال الشريف ناصر بن محسن من زجر واخراج لا يتعلق بي شخصيا فانا لا ارى ان علي

= للشريف حسين المذكرة التالية : " نحن نواب العرب في مجلس المبعوثان " نقرك على امارة مكة ، ونعترف لك دون سواك بالرئاسة الدينية على جميع الاقطار العربية ، لانك الان خلاصة بني الرسول صلى الله علية وسلم . واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهز به عند الحاجة ". انظر سليمان فيضي ، في غمرة النضال : مذكرات سليمان ، بغداد ، ١٩٥٢ ، ص ٨٧ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٧ .

[1] الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ص ٧٦-٨٧ .

[2] حول برقية الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٧ الملك عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧١ .

اظهار الندم على ما فعلت . وان ما اشاعه الموما اليه من اخبار اضمحلال القوى التي كانت معي لم يقصد منه الا ايجاد حركة ثورية هنا ، فهو يستحق ما لقي مني . وقد بلغني الخبر من مكتوبي الولاية ، ثم جاء به الوالي وهو يعرف ذلك ، وفي هذا من المداهنة والفساد ما ليس من خلقي "[1].

ولكن الباب العالي لم يقتنع بجواب الامير حسين ، اذ جاء الرد على الفور من الصدر الاعظم يقول : " ان الباب العالي لا يستطيع غض النظر عن كسر الرغبة السنية التي تبلغتموها بالبرقية السابقة ، والتي نؤيدها بهذه مؤكدين انتظار جلالة السلطان النتيجة "[2].

اما الامير حسين فلم يهتز او ينسحب من موقفه ، اذ على الفور ابرق للباب العالي برقية جوابية جاء فيها : " انني بعد ولي العهد في المكانة : ولا اظن ان الرغبة السنية تقصد الحط من هذا المركز القديم . والباب العالي الذي لا يستطيع غض النظر عن نفوذ الذات السنية ، كيف يواجه هذه التهمة الشائنة الى رجل لم ينقض بعد غبار السفر عن رجله في مجد السلطان ؟ وان الباب العالي حر في ما يجب ان يفعله "[3].

واستمرت القطيعة بين الباب العلي والامارة طيلة شهر رمضان وفي ليلة العيد زار قائد الجند رمة عثمان بك الامير علي الابن الاكبر للامير حسين ، واخبره بان الوالي حازم بك امر بزيارة الامير حسين والاعتذار له . فتم ذلك كما اراد[4] . وابرق

---

(١) حول برقية الامير حسين للصدر الاعظم ، انظر الملك عبدالله بن الحسين الآثار ، ص ٨٧ عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٢ .

(٢) حول برقية الصدر الاعظم للامير حسين ، الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٨ ، الملك عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٣ .

(٣) حول برقية الامير حسين للصدر الاعظم ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ٨٨ عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٧٢ ، وقد صدرت الاوامر للوالي ان يصالح الشريف وان يتم الصلح في احتفال عام وان يقبل الوالي رداء الحسين دليل على خضوعه لقداسة مذهبه انظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

(٤) Daw, Op cit., PP. 12-13

الامير حسين الى الصدر الاعظم سعيد باشا الذي حل محل الصدر الاعظم ابراهيم حقي بضرورة متابعة الحادثة من خلال البرقيات المتبالة ، بقوله " ارجو ان تلاحظوا البرقيات المتبادلة بين الصدر والامارة ، من تاريخ كذا ، الى تاريخ كذا ، وبها تفاصيل الحادث "[1].

وعلى الرغم من ذلك ، فان الحكومة العثمانية اخذت تخطط لازالة امير مكة المكرمة الشريف حسين على اعتبار ان الاخير كان يخطط للثورة ، وقد خلق الاجتماع الذي انعقد بين الامير عبدالله واللورد كتشنر المقيم البريطاني في القاهرة عام ١٩١٣ تأكيدا لتخمينات الصحافة العثمانية ، اذ اصبح واضحا بان المسؤولين الاتراك الكبار متأكيدين بان الشريف حسين قد بدأ التقرب للبريطانيين من أجل المساعدة ، ولا شك ان هذه التقارير تبدو انها قائمة على الشائعات والشكوك[2] ولكن في حقيقتها لا تخلوا من حقيقة ان الشريف حسين كان يعد العدة في الخفاء في الانفصال عن الاتراك وما تكليفه لابنه عبدالله بالاتصال باللورد كتشنر الا لهذا الغرض.

---

[1] حول برقية الامير حسين للصدر الاعظم سعيد باشا ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ص ٨٨ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٧٣ .

[2] حول لقاء كتشنر – عبدالله ، انظر موسى ، الحركة ، ص ص ٦٦–٧٤ .

٤ – تدهور العلاقات بين الاتحاديين والشريف حسين :

عندما شعر الاتحاديون بازدياد نفوذ الشريف حسين ، وعلو مكانته ، وقوة شخصيته ، وصعوبة انقياده وعدم تردده في مناقشة الحكومة والسلطان ، والتعبير عن ارائه في القضايا التي تهم الدولة العثمانية عامة والحجاز خاصة ، وبذلك ما كشفت عنه مراسلاته العديدة ابان تلك الفترة ، توجسوا منه الخيفة وقرروا التخلص منه والقضاء على استقلال الحجاز النوعي ، واصروا على تطبيق قانون الولايات الجديد لعام ١٩١٣[١] ، من أجل تعميم سياسة تتريك العرب[٢].

والواقع ان هذا الاتجاه الجديد قد وضح بعد انتهاء الحرب البلقانية ١٩١٢–١٩١٣[٣] إذ اتجهت نية انور باشا[٤] وزير البحرية ، وجمال باشا[٥] وهما من اقطاب

---

[١] هدفت الحكومة العثمانية من وراء هذا القانون تأكيد سلطاتها المركزية في ولايات الدولة العثمانية ، مما أثار لها المشاكل في هذه الولايات ، حول تفاصيل القانون انظر برو ، المصدر السابق ، ص ص٤٧١–٤٨٠ .

[٢] فريحات ، الثورة ، ص ٦٥ ، سليمان موسى ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق ، اسانيد (دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٦) ، ص ٢٠٥ .

[٣] محمد انيس ورجب حراز ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٢٠٨ .

[٤] ولد انور باشا في استانبول عام ١٨٨٢ ، من اب موظف في سكك الحديد ، وهو خريج الكلية الحربية في استانبول ، انضم لحركة تركيا الفتاة ، وهو من اشهر الضباط الاتحاديين ، الذين رفعهم الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨ ، خدم كملحق عسكري في برلين ثم ضابط ميدان . عاد الى استانبول ليقود الحملة ضد حكومة الباب العالي ، تقلد عام ١٩١٤ منصب وزارة الحربية ووكالة قيادة الجيش قبل ان يبلغ الثالثة والثلاثين من عمره ، للتفاصيل انظر

Bernard Lewis , The Emergece Of Modern Turky , Royal Institute International Affaris , U.S .A , 1968, P . 217 .

وابراهيم صالح شكر ، قلم وزير ، تاريخ ما اهمله التاريخ من حوادث ، المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق ، عرض خالد محسن اسماعيل (مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠) ص٩٣.

[٥] ولد جمال باشا في استانبول عام ١٨٧٢ من عائلة عسكرية ، وهو خريج الكلية الحربية وأحد مؤسسي جمعية الاتحاد والترقي ، تولى بعد انقلاب عام ١٩١٣ منصب الحاكم العسكري=

الاتحاديين ، الى الغاء نظام الشرافة بهدف التخلص من قوة عربية لها نفوذ ديني وادبي كبير في جميع ارجاء لعالم الاسلامي[1].

وفي نهاية عام ١٩١٣ وقع اختيار الاتحاديين على ضابط الباني من منتسبين جمعيتهم ليكون والياً على الحجاز ، وقائداً عاماً للقوات المرابطة في هذه الولاية[2] الا وهو وهيب باشا المعروف بصرامته وتحمسه لمباديء جمعية الاتحاد والترقي وجمعوا بيده السلطتين التنفيذية والادارية[3] ، بعد ان زوده بقوة عسكرية تتألف من سبع كتائب[4] مشاة ، وكتيبة واحدة من المدفعية[5] ، مع تعليمات باضعاف ما للشريف حسين من نفوذ ومقاومة ، والقبض عليه اذا استوجب الامر ، والغاء امتيازات الحجاز المحلية التي يتمتع بها منذ السابق بسبب وضعه الاقتصادي والجغرافي والديني وجعله ولاية عادية ، وذلك عن طريق تطبيق قانون الولايات الجديد ، الذي ينص على ان يدفع اهالي الحجاز الضرائب كغيرهم من سكان الولايات الاخرى ، بعد ان

= لاستانبول ، ثم اصبح وزيراً للحربية وقائداً عسكرياً في سوريا ابان الحرب العالمية الاولى وهناك نكل بأحرار العرب واعدم عدد كبير منهم ، ولذا لقب بالسفاح ، للتفاصيل انظر شكر المصدر السابق ، ص٧٦ ، جعفر العسكري ، مذكرات جعفر العسكري ، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صفوة ، (دار السلام ، لندن ، ١٩٨٨) ، ص٥٤ ، هامش ٢.

(١) الصواف المصدر السابق ، ص١٥٨ ، حسن صبري الخولي ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في الانصف الاول من القرن العشرين ، (دار المعارف بمصر ، القاهرة ،١٩٧٣) ج١، ص١٢٧ .

(٢) في كانون الثاني ١٩١٤ وصل وهيب باشا الى الحجاز ، انظر علي فؤاد كيف غزونا مصر ترجمة نجيب الارمنازي (دار الكتاب الجديد ، القاهرة ١٩٦٢) ص ٧٨ .

(٣) احمد قدري مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى (مطابع ابن زيدون) ، دمشق ، ١٩٥٦ ص٣٥ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص٥٤ .

(٤) مفردها كتيبة ، وهي الفرقة العسكرية المؤلفة من ١٠٠٠ رجل .

(٥) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص ٥٨ ، موسى ، الثورة ، ص ٢٤

كانوا معفيين منها منذ امد طويل وتنفيذ التجنيد الاجباري على ابناء الحجاز ، فضلا على المباشرة في مد خط سكة الحديد من المدينة الى مكة[١] .

ويورد الفريق غالب باشا نص التعليمات التي اعطيت لوهيب باشا في مذكراته : " اننا نعلم ان الشريف حسين عمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطة العثمانية ، ولهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف علي حيدر (من آل زيد) بدلا عنه . فعليك حين وصولك الى مكة ان توجد خلافا بين مقامي الولاية والامارة لنتمكن من تحقيق هذا الهدف "[٢] .

يتبين مما تقدم بان الاتحاديين قرروا انتهاج سياسة جديدة في الحجاز ، وهي مظهر لسياسة الحكم المركزية التي قرروا تطبيقها في ارجاء ولايات الدولة كافة وهذا ما كشفته التعلمات التي زود بها وهيب باشا ، القاضية باشرافه على شؤون ولاية الحجاز الادارية والعسكرية والمالية كافة ، وان يترك للشريف حسين السلطة الدينية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ولا شك ان هذه التعليمات التي يحملها وهيب باشا والسياسة المركزية التي حرص الاتحاديون على ادخالها في الحجاز تهدف القضاء على كل ما للشريف حسين من نفوذ وامتيازات .

ومن الطبيعي ان يفسر تعيين الوالي الجديد تغيرا في السياسة العثمانية خصوصا وان الشريف حسين كان يحتفظ بعلاقاته الودية ببعض الولاة السابقين فتحتم النزاع مع الوالي الذي لم يمض على مقدمه عدة ايام . وبعد ان تيقن حسين من

---

[١] سعيد ، الثورة ، ص ص ٥٢-٥٥ ، تحسين العسكري ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية (مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦) ، ص ١٠٧ ، موسى ، الحركة ، ص ص ٧٤-٧٦ ، انطونيوس المصدر السابق ص ٣٠٣ ، محمود زايد ، احداث الثورة العربية الكبرى من اعلانها الى دخول فيصل دمشق ، دراسات في الثورة العربية الكبرى (منشورات الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) ، ص ٦٨ .

[٢] موسى ، الحسين ، ص ٥٢ .

نوايا الدولة خاصة وانه كان يطلع على المراسلات المتبادلة بين الوالي والاستانه احيانا[1] .

رفض الشريف حسين هذا الوضع الجديد الذي اراده الاتحاديون لولاية الحجاز ، وعارض في فرض التجنيد الاجباري في ربوع الحجاز وقال ، ان مثل هذا النظام غير عملي ولا يمكن تطبيقه على القبائل الحجازية[2] .

والواقع ان الرفض لم يقتصر على الشريف حسين واتباعه فحسب ، بل عم اكثر سكان المدن الرئيسه وولد جوا من الفوضى ، حيث انقطعت المواصلات بين الساحل والداخل وبين مكة والمدينة . وهاجمت القبائل البدوية القوات التركية ، كما حاصرت النقاط العسكرية بين جدة والمدينة ، وامتنع سكان الاودية المحيطة بمكة من جلب الخضار والفواكة والسمن والاغنام اليها . وتجمهر أهل مكة حول دار الحكومة ينادون بعدم تغيير امتيازات الحجاز وعدم تمديد خط سكة الحديد ، واثناء ذلك جاء الشريف حسين الى الوالي فهتفت الجماهير تأييدا له[3] . ودخل الشريف على الوالي وقال له : " ها انت ترى رغبة الشعب الحجازي في التمسك بحقوقه القديمة وبالشروط التي بويع بها السلطان سليم الاول بالخلافة . فان احببت عدم اعتبار هذا وكانت في

---

(1) وهيم ، المصدر السابق ، ص ٣٩ ، كان للشريف بعض الرقباء والجواسيس الذين كانوا يوافونه باخبار وهيب وصور برقياته الرمزية واجوبتها من الحكومة ، انظر حمزة ، المصدر السابق ص ٣٢٩ ، موسى ، الحسين ، ص ٥٢ ، الراوي ، المصدر السابق ، ص ١١ .

(2) الصواف ، المصدر السابق ، ص ١٥٩ ، ويبدوا ان خيرية قاسمية قد حملت الامر اكثر مما يتحمل بقولها ان الشريف حسين اصطدم مع الوالي العثماني حينما عزم الاخير علىتطبيق نظام الولايات الجديد في الحجاز " واصبح معروفا ان للشريف مطامع تفوق شرافته وامتيازاتها وكان ذلك بمثابة انذار له بالعزل من منصبه " ، في حين ان الحقيقة تشير العكس تماما ، للتفاصيل انظر خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠ (دار المعارف ، القاهرة ١٩١٧) ، ص ١٥ .

(3) موسى ، الحسين ، ص ص ٤٧-٤٨ ، موسى ، الحركة ، ص ص ٧٦-٧٨ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٤ ، حكمت عبدالكيم فريحات ، السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية لكبرى ١٩١٦-١٩٢٠ ، (دار المراتب الجامعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧) ، ص ٧٦.

يدك اوامر من الدولة بتطبيق قانون الولايات على هذه البلاد وسلخ امتيازاتهـا ، فأرنـا هذه الاوامر التي لم تأتي منها من الباب العالي أي اشارة . واذا كان المقصود اجراء تبديل في الامارة ، فهذا انا سأبقى هنا الى حين تأتي الباخرة التي سأسافر بها الى جدة لئلا يقع ما تستند تبعاته الي ".

وهنا نلاحظ بان الشريف حسين قد قدم نصيحة للوالي بالكف عما جاء من اجله ، وضرورة احتفاظ الحجاز بحقوقه القديمـة ، وفي الوقت نفسه ابرق الشريف حسين الى الاستانه مؤكدا طلبه هذا ، وشكواه للاوضاع القلقه السائدة في الحجاز[1].

ولكن الوضع استمر على حاله ، وانتشرت الفوضى بتزايد عمليات السطو والنهب التي شرعت قبائل البدو بممارستها في الطرق المؤدية الى المدن ، واضحت هذه الحوادث تتكرر يوما فآخر . وادرك الوالي خطورة الوضع ، فقدم اعتذاره للشريف حسين آملا في تسوية الامر ولو وقتيا ، الا ان الامير تجاهل ذلك رغم توجيه نجله فيصل لتأديب البدو الذين كانوا سببا للاضطرابات في جهات جدة[2] ، وابلغ الشريف الحكومة في اسطنبول انه لا يتحمل مسؤولية ما يحدث في الحجاز[3] .

ادرك وهيب باشا عجزه عن فتح الطرق القائمة بين المدن الرئيسية وتأمينها من القبائل البدوية ، الامر الذي وجد نفسه مضطرا للعمل في ازاحة الشريف حسين عن منصبه ، وقد فاتح حكومته لاسعافه بقوات اضافيه لتنفيذ المهمة ، واستجابت الحكومة لتقرير الوالي ، وشرع طلعت باشا لتنفيذه لولا تدخل الصدر الاعظم سعيد حليم[4] في الامر ، وتحذيره من مغبة هذه الخطوة ، واقترح ارسال جماعة من ذويه لتحذير الشريف من جهة وتنويره بنظرة الحكومة بشأن السياسة التي تتبعها في الحجاز من جهة ثانية ، الا ان فشل هذه الاساليب الاخيرة دفع بانور باشا هذه المرة للتدبير في

---

(1) حول نص برقية الشريف حسين ، انظر موريس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٥-٢٦ .

(2) وهيم ، المصدر السابق ، ص ٤٠ ، موسى ، الحركة ، ص ٧٧ .

(3) موسى ، الحركة ، ص ٧٦ .

(4) سعيد حليم هو حفيد محمد علي باشا ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٨ .

خلع الشريف حسين ، وذلك بارسال فرقة عسكرية من ازمير تتولى هذه المهمة[١] . ولكن تدخل الصدر الاعظم مرة ثانية على اساس ان هذا العمل سوف يكون له أثر عكسي في الحصول على القرض المطلوب من فرنسا[٢] ، لكن الازمة هدأت أثر وصول برقية من الصدر الاعظم سعيد حليم للشريف حسين ، يؤكد فيها عدم الاخلال بحقوق الامارة وامتيازات الحجاج ، وان الحكومة لا تلح في الوقت الحاضر على مد الخط الحديدي ، ولم تلبث الاحول ان هدأت بعد ان تليت البرقية في المسجد واحيط الناس علما بمضمونها "[٣].

وهكذا رأى الاتحاديون ان من حسن السياسة مهادنة الشريف حسين بنفس الوقت حتى تحين لهم الفرصة لعزله من الشرافة وتوليه الشريف علي حيدر من آل زيد بدله[٤] ، رغم ادراكهم بان الشريف حسين عمل على توطيد نفوذه بين قبائل الحجاز حتى طوعها لنفسه كقوة سياسية في شبه الجزيرة العربية[٥] ، ويبدو ان النزاع

---

[١] وهيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص ٧٦ .

[٢] تعهد فرنسا باقراض الحكومة العثمانية مبلغ (٣,٥٠٠,٠٠٠) ليرة ، انظر وهيم ، المصدر السابق ، ص ٤١ ، ويتحدث الشريف علي حيدر في مذكراته ، عن خلاف نشأ بين الصدر الاعظم سعيد حليم من جهة ، وبين طلعت وانور من جهة اخرى ، حول السياسة التي يجب ان تنتهجا الدولة حيال تصرفات الشريف حسين ، ويذكر ان طلعت وانور اتفقا على ارسال حملة عسكرية الى حجاز للفتكاك بالشريف حسين ، ولكن سعيد حليم حال دون ذلك محتجا بان عملا كهذا سيثير مشاكل داخلية وخارجية هم في غنى عنها . هذا بالاضافة الى معارضة كثيرين من الوزراء في اية خطوة تتخذ ضد الشريف حسين ، انظر موسى ، الحسين ، ص ٥٣ .

[٣] حول برقية الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٨٥ ابراهيم الشريفي ، الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها (الدراسات الدولية ، مؤسسة العرب ، لندن ، ط١ ، ١٩٨٤) ، ص ١٧ .

[٤] الخولي ، المصدر السابق ، ص ١٢٧ .

[٥] عطية ، المصدر السابق ، ص ٩٢ .

بين الشريف حسين والاتحاديين حتى هذه اللحظة ، كان نزاعا داخليا ينحصر في دائرة العلاقات بالدولة العثمانية ووضع ولاية الحجاز فقط[١] .

وإبان ازمة عام ١٩١٤ حول تطبيق قانون الولايات في الحجاز ومد السكك الحديدية من المدينة الى مكة ، فقد سافر الامير عبدالله الى استنبول للاشتراك في جلسات مجلس المبعوثان الجديد في دورته الاولى التي ستفتح في ١٤ ايار ١٩١٤ وهناك تباحث مباشرة نيابة عن ابيه حول الخلاف القائم بينهما حول تمديد سكك الحديد ، اذ اجرى مباحثات مع الصدر الاعظم ووزيري الداخلية والحربية[٢] .

ساد لقاؤه مع الصدر الاعظم سعيد حليم الود المتبادل ، وعلى ما يبدو ، ان الصدر الاعظم كان من المتعاطفين مع الشريف حسين (آل عون) لقاء ما قدموا من الخدمات اثناء تقدم محمد علي لفتح الجزيرة والقضاء على الوهابيين[٣] . وهذا ما يتضح من اللقاء الذي جاء فيه : " وان ابي يقرئك السلام ، ويقول انه لا ينتظر ان يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه واجداده في عهد صدارة سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير ، صديق البيت . قال : ولم ؟ ان كل الامور سويت وقد رضى الامير عما عرضناه عليه ، وانا ارجو ان تراني غدا في الباب العالي وفي الساعة الرابعة بعد الظهر ، بعد ان تقابل وزير الداخلية طلعت باشا[٤] ووزير الحربية انور باشا قبل الظهر" ، ولكن الامير رد السلطان ردا عبر فيه عن احترامهم وتقديرهم الذين ورثوه والذي لا يمكن ان يهتز وهذا ما يتضح من قوله " انا لا اذهب اليهما ، وانا مبعوث مكة ، ولا علاقة لي بهما ، لانني لست بالموظف ، وان كانت هنالك أي رغبة سامية منكم ، فأنا انتظر الدعوة منهما بعد تعيين الوقت ، وقد

---

[١] زايد ، المصدر السابق ، ص ٧٠ .

[٢] موسى ، الحركة ، ص ص ٧٨-٧٩ .

[٣] للتفاصيل راجع الفصل الاول .

[٤] ولد طلعت باشا في ادنه في عام ١٨٧٤ من عائلة فقيره ، وقد تعلم الفرنسية في مدرسة الاتحاد اليهودية ، واصبح رئيسا للكتاب في ولاية سلانيك . ومأمورا للبريد وعضوا في الخزانة العامة . ووزيرا للداخلية/، للتفاصيل ، انظر ، النعيمي ، المصدر السابق ، ص ١٠٦ .

عرفتهما في انهما لا يقابلان من يزورهما بدافع من نفسه . فقال : تأتيك الدعوة . فخرجت "[1] .

وأمام ذلك لم يكن امام الوزيرين بد الا توجيه دعوة للامير عبدالله بالمقابلة[2] .

وقد اوضح الامير عبدالله خلال اجتماعه مع طلعت باشا خلاف والده مع الحكومة العثمانية ورده الى الادارة السلطانية الرامية الى أضعاف مركز والده من خلال اضعاف مكانة الحجاز واخضاعه للاجراءات المتبعة في الولايات الاخرى خلافا لما يراه والده من الحفاظ على القديم ، مؤكدا (عبدالله) هدف والده في خدمة الدولة ، وضرورة اسنادها له . ويصف الاميرعبدالله مقابلته مع طلعت باشا بقوله :

" قال لي : انحلت الازمة بالحجاز ، فأعلمني ماذا جرى ؟ قلت : لا علم لي بما جرى ، لانني كنت بمصر ، والتفصيلات هي عندكم ؟ ولكن الذي اعلمه اجمالا هو ان ما حدث ليس الا نتيجة طبيعية لسياستكم ، انتم الاتحاد والترقي ، وسياسة الشريف . قال : كيف ؟ قلت : انتم تريدون اخراج الحجاز من صبغته الخاصة الى ولاية عثمانية ، يجري فيها ما يجري في سواها ، وسياسة الشريف سياسة محافظة تريد ابقاء كل شئ على ما كان عليه . وظن هو ان غاية ما ترجوه الدولة هو استتباب الامن وسلامة المواصلات وأمن الحجاج . وانتم مع ارادتكم لهذه الاشياء تريدون كما قلت آنفا جعل الحجاز خاضعا لقانون الولايات ، ولو جعلتم الشرافة تخدم الدولة في الحجاز ، وعلى تأسيس روابط الاخوة الاسلامية الحقيقة بين العالم الاسلامي وبين دولة الخلافة ، لعلمتم ان مكة هي القلب النابض لهذه السياسة

---

[1] حول نص مباحثه الامير عبدالله للصدر الاعظم سعيد باشا ، انظر ، عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص ص ٨٧-٨٨.

[2] للاطلاع على ابلاغ طلعت باشا وانور باشا للامير عبدالله بالمقابلة انظر ، المصدر نفسه ص٨٨ .

وان الشريف هو المنظم لهذا القلب وشرايينه ، وان فائدة الدولة من مظاهرة الحجاز لها أكثر بكثير مما ترجونه من تطبيق قانون الولايات عليه "[١] .

وهكذا كان الشريف حسين يعمل من أجل المحافظة على مكانة الحجاز ، فضلا عن انه يطمح في استعادة الخلافة من الاتراك ، ومما كان يقوي هذا الاعتقاد عند الاتراك معارضة الشريف حسين مد خط سكة الحديد بين المدينة ومكة ، لئلا يزيد من سيطرة الاتراك على الحجاز[٢].

ولا شك ان هذا الامر لم يغب عن بال طلعت باشا ، اذ اكد عليها في مباحثاته مع الامير عبدالله بقوله : " لمَّ يمانع والدك في بناء الخط الحديدي" ، فرده الامير عبدالله ان معارضة الشريف تعود الى الاضرار التي سيلحقها المشروع بالقبائل التي ترتزق على مزاولة مهنة النقل في هذه الطرق بواسطة الجمال ، وعملهم ايضا كأدلاء ومطوفين اثناء موسم الحج . اذ نص قول الامير عبدالله على ما يأتي : " لم يمانع والدي في ذلك . ولكن نسيتم ان الاسباب الموجبة التي دعت السلطان عبدالحميد الى بناء هذا الخط ، كانت ترمي الى غير ما تبنون انتم عليه سياستكم . هو كان يظن ان في تجربة كهذه دعاية عظيمة لشخصه ، وكان يود كما تعلمون ان يومي ايماءه خفيفة الى روسيا بان الخطوط الحديدية العسكرية هي الاشارة الى نواحي الخطر العدائي وان في بناء هذا الخط الى الجنوب مع خط بغداد – الذي اعطى امتيازه الى الالمان – الاشارة الى ان الخطر متوجه على الدولة العثمانية من الناحية الانكليزية لامن ناحية روسيا ، وان اغفال مد السكك الحديدية الى شرقي الاناضول هو الاستخذاء للروس وعدم الرغبة في تهييج عواطفه . والذي يهم الشريف اليوم يجب ان يهمكم انتم ايضا الا وهو بناء سياسة اسلامية مركزها الحجاز والامين عليها الشريف. واتمام هذا الخط يعني ايجاد اشغال تدعو اليها الذين يحيون اليوم بممارسة صناعة النقل على الجمل في الحجاز وتعليم الحجاج الطواف وكيفية زيارة المصطفى (ص)

---

[١] للتفاصيل حول نص مباحثة الامير عبدالله مع طلعت باشاالخاص بسياسة الاتحاديين تجاه والده الشريف حسين ، انظر ، المصدر نفسه ، ص ص ٨٨-٨٩ .

[٢] الراوي ، المصدر السابق،ص١٣.

وليست هذه الوسائل معدومة هناك . هذا ما عجز الشريف عن تفهيمكم اياه وعجزتم عن فهمه "[1] .

وعلى الرغم من صحة تبرير الشريف حسين واهميته ، فان موقفه انما جاء لكون المشروع نذير شؤم يهدد بزوال شرافته ، اذ ان ايصال خط سكة الحديد سيسهل بالتاكيد أي جهد تركي لاخضاعه ، ولا يعد تبريره لموقفه اكثر من كونه محاولة لعرقلة الجهود الرامية لتنفيذ المشروع وابعاد الحجاز عن أي سيطرة مباشرة[2] .

ومن جهة أخرى ، اجرى الامير عبدالله في الوقت المحدد مقابلة مع انور باشا ، الذي بدأ الكلام مهددا :

" ما هذا ؟ نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالا ، لنضيفهم على اعدادنا ، والحجاز يقتل فيه رجال الامن ، كما وقع على مدير الجندرمة والدفتردار ولكن الحمد لله كما علمت قد انتهت الازمة. فنرجو منك السعي لدفع كل اثر سيء في قلب والدك ، من نحو الاعتماد عليه من الدولة ، فانه في منتهى درجات الاعتماد والحرمة ".

فأجابه الامير محملهم مسؤولية ما جرى في الحجاز بقوله : " وأما ما وقع في الحجاز ، فما الذي تظنه ان يقع من رجل كوهيب بك ، يرسل الى بلاد مقدسة لها قديمها وحقها ، فيريد الاعتداء على ذلك القديم وذلك الحق ؟ لقد ارسلتم هذا الرجل ليقع ما حدث "[3] .

والواقع ان حكومة الاتحاديين كانت مصممة على مد سكة الحديد الى مكة ، اذ قابل في اليوم التالي الامير عبدالله وزير الداخلية طلعت باشا ، فقابله طلعت باشا بالقول :

---

[1] للتفاصيل حول نص مباحثات الامير عبدالله مع طلعت باشا ، بشأن موقف الحسين من مد سكة حديد الحجاز الى مكة ، انظر عبدالله بن الحسين، مذكراتي ، ص ص ٨٩-٩٠.

[2] Dawn , Op. cit., P. 21

[3] للتفاصيل حول محادثة الامير عبدالله مع أنور باشا ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ص ص ٩٢-٩٣.

" اسمع ، انه لا يهمنا تغيير الولاة في كل شهر ، ولكن الذي يهمنا هو انشاء الخط الحديدي من المدينة الى مكة ، ومن ينبع الى المدينة ، فان قام والدك بمسوولياته في هذا الباب ، عملنا له كل ما يريد . وان رفض فلا وداد ولا بقاء ، واليك شروط للشريف : ثلث دخل الخط يصرفه كما يشاء، وله الامارة مدى الحياة ومن بعده لاولاده . وستوضع تحت امره القوة الكافية لتأمين التنفيذ ، وستصغي الدولة الى مشاريعه في هذا الباب ، وستضع تحت يده ربع مليون من الجنيهات ينفقها على العربان . سافر في أول باخرة بهذه الاقتراحات ، ونحن ننتظر الجواب ، فأن رضي وبلغنا الرضا ، فسافر انت الى المدينة المنورة لتجد هناك شيخ الاسلام خيري أفندي ينتظرك لتباشرا وضع اساس الخط ، وان رفض فلا عتب"[1] .

وهكذا نلاحظ بان كلا من انور وطلعت باشا ، ورغم الوعد التوفيقي الصادر عن الصدر الاعظم بتأجيل المشروع ، أمسيا اكثر اصرارا على تنفيذ المشروع . وقد ابدى طلعت للامير عبدالله ، وبحضور الصدر الاعظم ، استياءه من اوضاع الحجاز ، واصراره على مد الخط الحديدي الى مكه والى الحجاز كافة ، منذرا بالعواقب المترتبة على مخالفة الاوامر . كما كشفت لنا هذه المحادثة بان طلعت باشا وزير الداخلية قدم الشروط الاربعة الانفة الذكر مقابل موافقة الشريف على تمديد الخط وتعاونه مع الحكومة في تسهيل المصاعب المتوقع قيامها نتيجة لذلك ، وطلب وزير الداخلية من الامير ان يعود الى الحجاز ويعرض هذه الشروط على والده ، فان قبل كان به " وان رفض فلا عتب " ، ولا شك ان في هذا القول تهديدا واضحا من الحكومة العثمانية ، اذ انها في حالة رفض الشريف ستتخذ الاجراءات التي تراها مناسبة . اما بشأن الشكوى التي رفعها الامير عبدالله ضد تصرفات الوالي واعتدائه

---

[1] للتفاصيل حول محادثة الامير عبدالله مع طلعت باشا ، انظر المصدر نفسه ، ص ص ٩٣-٩٤.

على صلاحيات الشريف ، فقد قال وزير الداخلية ان الحكومة لا تبالي بان تغير الولاة شهرا بعد شهر ، وان ما يهمها هو تنفيذ السياسة التي تضعها[١].

وفي اليوم التالي للمحادثة التي جرت بحضور الصدر الاعظم ، غادر الامير عبدالله استانبول حاملا الشروط لعرضها على والده في الحجاز[٢].

ولم يوافق الشريف حسين امير مكة المكرمة على شروط الاتحاديين واعتبرها " رشوة "[٣] ، فابرق الى الصدر الاعظم يقول فيها انه لا مطامع شخصية له ولكنه يود ان يبعث بابنه عبد الله مرة اخرى حاملا معه اقتراحات يعتقد ان تمديد خط السكك بموجبها يمكن ان يتم بدون ان يلحق الضرر بموارد العشائر وسكان البلاد المقدسة الاسلامية ، اذ نصت برقيته على ما يأتي : " وصل ابني عبد الله ونقل الي التنسيبات والمقررات العلية من الصدر الاعظم بخصوص تمديد الخط الحديدي الحجازي الى مكة المكرمة . ليس هنالك ما يستحق التفكير في ما يخصني ، وانا متنعم بنعم الخلافة . وانني سابعث بابني المومى اليه وهو حامل ما يلوح لي عن امكان اتمام هذا الغرض السامي ، بدون ان يمس مدار معيشة العشائر وسكان البلاد المقدسة الاسلامية ، بأول فرصة "[٤] .

وفي ٢٧ حزيران ١٩١٤ [٥] وصل الامير عبد الله الى استانبول حاملا معه برقية والده الشريف حسين الجوابية المتضمنه مقترحاته ليعرضها على الصدر الاعظم ، التي قال فيها :

---

[١] انظر موسى ، الحركة ، ص ٧٩ ، موسى ، الحسين ، ص ص ٤٨-٤٩.

[٢] عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٩٤.

[٣] Dawn , Op . cit , P 21.

[٤] حول برقية الامير حسين الى الصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص ٩٥ .

[٥] توصلنا الى هذا التاريخ اعتمادا على قول الامير عبدالله في مذكراته " وكان قبل وصولي بيوم ، قتل ولي عهد النمسا وزوجته بسراجيفو، الذين قتلوا في٢٨ حزيران ١٩١٤، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٩٨،وموسى، الحركة ، ص٨٦.

" انا خادم الخليفة ولست بمعارض فيما يبدي جلالته عمله واني مستعد للتنفيذ حالا . ولكن اذا كان اتمام بناء الخط وتأمين ولاء العشائر ومعاشهم هو ما يريده جلالته وتريده الحكومة ، فلذلك وسائل لا تقتضي ربع المصرف الذي بينه لي عبد الله ، وهي – أي الوسائل – اللازمة لايجاد المشاريع التي تأتي بعد التفكير مع لجنة اترأسها انا – أي الشريف نفسه – ومن المناسب ان يكون فيها صاحب الدولة والسماحة شيخ الاسلام او أي وزير من الوزراء . وان كانت الرغبة منصرفة الى اقامة الانشاء تحت أي شرط يكون فينبغي توظيف فرقة عسكرية بكاملها على طريق السكة واشغال المياه والقرى بين المدينتين . ثم بعد ذلك تكون البداية في العمل "[١] .

فأجابه الصدر الاعظم سعيد حليم باشا ردا على برقية الشريف حسين بقوله " ليس بعد هذا ما يقال ، وساستدعيك لنجتمع مع طلعت باشا[٢] ، ولكن الاخير ابلغ الصدر الاعظم ، نتيجة لتصاعد الازمة التي نشأت بسبب مقتل ولي عهد النمسا ، الى ضرورة تأجيل مشروع تمديد خط السكة الى مكه[٣] .

وخلاصة القول ان امير مكة المكرمة الشريف اتبع خلال الفترة ١٩٠٨–١٩١٤ سياسة تقوية سلطات امارته مكة وتعظيم مقاطعاتها ، ودعما لهذه السياسة فان الشريف حسين ، على ما يبدو ، التجأ لاستخدام الاسلام كايديولوجية سياسية ، وكان ينوي التعاون مع الحكومة العثمانية من اجل تنفيذ برنامج رابطة (جامعة) اسلامية فعاله . وعلى الرغم من ذلك فان سياسة الاتحاديين المركزية كانت تعمل بشكل معاكس لطموحات امير مكة المكرمة الشريف حسين ، وبذا كان الصراع بين الامير والاتحاديين نتيجة حتمية . اتضح فيها فشل الاتحادين في اضعاف نفوذ الشريف

---

[١] حول نص برقية الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، انظر عبد الله بن الحسين ، مذكراتي ص ص ٩٧–٩٨.

[٢] حول جواب الصدر الاعظم ، انظر المصدر السابق نفسه ، ص ٩٨.

[٣] موسى ، الحركة ، ص٨١، عبدالله بن ا لحسين ، مذكراتي ص ص ٩٨–١٠٢ .

حسين او ازاحته . ولعل ذلك يرجع بالدرجة الرئيسة الى مشاكل الدولة الخارجية (نجد ، اليمن ، البلقان) التي اضطرتها الى التساهل مع الشؤون الداخلية ، فضلا عن المقاومة التي كان يبديها سكان الحجاز ، وبالذات القبائل ، لسياسة الاتحاديين الجديدة ، ثم مكانة الشريف حسين لدى بعض الشخصيات التركية القديمة (المحافظة) وتعاطفها معه[1] ، في وقت كان فيه الاتحاديون عاجزين في الاستغناء عن هذه الجماعات كليا ، وهذا ما كان يدركه الشريف حسين جيدا . وما سكوت الدولة عنه ، احيانا إلاسكوتا مؤقتا وامهال منها لا اهمال ، اذ دفعهم عجزهم الى تبني سياسة المهادنة الوقتية مع الشريف حسين لحين ان تتحين الفرصة لعزله عن الشرافة .

فضلا عن ذلك فقد كشفت المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والاتحاديين رغبة الاتحاديين في فرض السلطة المركزية على ولاية الحجاز ، بشموله بقانون نظام الولايات ، الا ان الشريف حسين لم يرحب بذلك واعلن معارضته ، وبالذات فيما يتعلق بانشاء السكك الحديد بين المدينة المنورة ومكة المكرمة ، اذ اكد في مراسلاته الهدف الحقيقي للاتحاديين من اصرارهم على تنفيذ مدّ السكك الى مكة المكرمة ، اذ يتمثل باحكام سيطرتهم على مقر حكمه ومعقل نفوذه ، الذي اغاظهم منعته وقوته وهذا ما اكدوه في مراسلاتهم ، التي اكدت صراحة الى ضرورة عزل الشريف من منصبه ، ولكنه كان امنع من ان يخاطروا بعزله عزلا سريعا ، كما فعلوا بسابقيه ، الامر الذي دفعهم الى مضايقته والحد من تصرفاته وحركاته بل ووضعه كما نلمس من المراسلات ، هو واولاده تحت المراقبة الدقيقة ، وهذا الدور اوكلوه الى

---

[1] ويذهب الى هذه الحقيقة سليمان موسى باستغرابه عن موقف الشريف حسين من الدولة وموقفها منه ، وتسائله لماذا لم تعزله من منصبه ، اذ قال والواقع ان المتطرفين كأنور وطلعت وجمال كانوا يرغبون في عزله مهما كانت النتائج ، ولكنهم لم يتمكنوا من اقناع الصدر الاعظم سعيد حليم باشا باتخاذ هذه الخطوة ، ولما كان يتمتع به من نفوذ عند المعتدليين من الترك وعند اغلبية العرب . وقد شنت عليه (الصدر الاعظم) صحف الاتحاديين جملة اتهمته فيها بحب الاستبداد وعدم رعاية مصالح الدولة ولكنه لم يأبه لاقوالهم ، انظر ، موسى ، الحسين ، ص ٤٩ .

احد منتسبيهم من الاتحاديين هو الضابط وهيب باشا الذي يتولى ولايـة الحجـاز وقـائد جيشها الاعلى .

وكـان مـن الطبيعـي ان تـترك هذه السياسـة بصماتها علـى تدهـور العلاقـات وتطورها من سيء الى اسوأ نتيجة تدهور الامور ، وهذا مـا ظهـر جليـا فـي اسـلوب ولهجة المراسلات ، وهكذا تلبدت اجـواء العلاقـات بيـن الشـريف حسـين والاتحـاديين بالغيوم ، واستمر الموقف على هـذا النحـو لان غيـوم الحـرب العالميـة الاولـى كـانت تتجمع سريعا في السياسة الدولية واصبحت الحرب وشيكة الوقـوع ، وهـذا مـا تلمسـه في آخر مراسلة بين الاتحاديين والشريف والصـادرة مـن ابـرز اقطابها طلعـت باشـا تؤكد على ضرورة مجاملة الشريف حسين وعدم اثارته والنزول عند رأيه فـي قضيـة السكة ، ولا شك ان الاتحاديين ارادوا الاستفادة من الشريف كورقة رابحة تسندهم في دخولهم الحـرب ، وذلـك باعلانـه الجهـاد لتعبئـة الشـعور الاسـلامي بجانبهـا (الدولـة العثمانية) ، نظرا لما للشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين ولكنهم في الوقت نفسه انتظروا على مضض حتى تحين لهم الفرصة المناسبة لعزلـه عن الشرافة وتوليه غيره ولكن شيخا مثل الشريف حسين لم تغب عنه اسرار سياسـية المهادنه الوقتية التي التجأ اليها الاتحاديون ، بل بات أشد حذراً واكثر يقظة في ترقـب ومتابعة أية محاولة يقوم بها الاتحاديون ، الذين وصفهم فـي بعـض المراسـلات بـأنهم ألد أعداء العرب ، منذ أن رأي بعينه جرائمهم ضد ابناء شعبنا في عسير .

وهكذا تعد التطورات التي حصلت بين العثمانيين (زمن الاتحـاديين) والشـريف حسين على درجة كبيرة من الاهمية ، لا لكون العلاقات بين الطرفين قـد سـاءت بعد مجيء الاتحاديين عام ١٩٠٩ ، ولكن لأن كثيراً من التطورات قـد حدثـت خـلال هـذه الفترة ، حتى انعكست آثارها على طبيعة العلاقة بين الطرفين حتى عام ١٩١٤ .

الفصل الثالث

المراسلات الشريفيّة - العثمانية

حتّى إعلانُ الثورة العربيّة الكُبرى عام ١٩١٦

الفصل الثالث

المراسلات الشريفية – العثمانية حتى اعلان الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦

١ – الحسين ودخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى.

٢ – الحسين بين اعلان الجهاد وحملة القناة الاولى.

٣ – المراسلات بعد فشل حملة القناة الاولى.

٤ – الحسين بين الضغوط العثمانية والمطالب الوطنية

١ – الحسين ودخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى :

في بداية آب ١٩١٤ اندلعت الحرب العالمية الاولى[١] ، والتي تنبأ بسمارك[٢] بها قبل ثلاثين عاماً ، بأن نشوبها أمر لا مفر منه[٣].

وليس من شأننا الخوض في الاسباب والاحداث التي قادت الى اندلاع الحرب العالمية الاولى ، فمن المتفق عليه ان السبب المباشر لاندلاعها كان ثانوياً ، فاغتيال ولي عهد النمسا والمجر وزوجته في صربيا لم يكن سوى محرك لمطامع الدول الاوروبية لتوسيع رقعة ممتلكاتها الاستعمارية إلا أن ما يهمنا في هذا الصدد موقف الدولة العثمانية من الحرب .

---

[١] من الصعب وضع تاريخ دقيق لبداية الحرب العالمية الاولى ، ففي ٢٨ حزيران ١٩١٤ اغتيل ولي عهد النمسا والمجر ، وفي ٢٥ تموز ١٩١٤ هددت حكومة النمسا والمجر سحق مملكة صربيا ، وفي ٣٠ تموز اعلنت روسيا النفير العام ، وفي اليوم التالي وجهت المانيا آنذاراً الى روسيا ، وفي الاول من آب اعلنت المانيا النفير العام وفعلت فرنسا مثلها . وفي مساء اليوم نفسه اعلنت المانيا الحرب على روسيا ثم على فرنسا في ٣ آب ، وفي اليوم التالي قررت بريطانيا دخول الحرب الى جانب فرنسا وروسيا ، وهكذا خلال الاسبوع الاول من شهر آب عام ١٩١٤ دخلت اغلب دول اوروبا في الحرب . للتفاصيل انظر خليل علي مراد وآخرون دراسات في التاريخ الاوروبي الحديث والمعاصر ، الموصل ، ١٩٨٨ ، ص ص٢٣٤–٢٣٥ أ.ج.ب تايلر ، الصراع على السيادة في اوروبا ١٨٤٨–١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويؤئيل يوسف عزيز ، الموصل ، ١٩٨٠ ، ص ص ٥٨٣–٥٩٥ .

[٢] ولد بسمارك في نيسان ١٨١٥ وفي بلدة شونهاوسن باقليم براندنبرك ، نواة مملكة بروسيا الحديثة وهو ينتمي الى اسرة نبيلة وكان والده ضابطاً في الجيش البروسي ، درس في جامعة كوتنكن وتخرج فيها محامياً في سنة ١٨٣٦ ، ثم اصبح عضواً في البرلمان (الدايت) سنة ١٨٤٧ ، ثم عمل في السلك الدبلوماسي ، حيث عمل سفير لبلاده في فينا وروسيا وفرنسا وكسب من مناصبه هذه خبرة سياسية افادته في توليه منصب المستشارية في بروسيا ، انظر مراد ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ .

[٣] احمد نجيب واحمد قاسم ، التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص٢٥٠ .

أبلغ الشريف حسين بوساطة ولديه عبدالله وفيصل[1] ، ان الاتحاديين يعتزمون دخول الحرب الى جانب المانيا ، فبعث الحسين الى السلطان محمد رشاد برقية في آب ١٩١٤ ، محذراً فيها من مغبة الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء القوية والتي تحيط بأراضي الدولة العثمانية مشيراً الى ضعف الدولة بعد الحرب البلقانية ومستعرضاً فيها حالة اوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها ، اذ قال في برقيته :

" تعلمون جلالتكم أن الحرب البلقانية قد انتهت على ما انتهت عليه ، وأن الدولة الآن في حاجة الى تجهيزات واستكمالات حربية لم تتم الى الآن وأن في الدخول الى جانب المانيا الخطر العظيم ، حيث اسلحة الدولة كلها من المانيا وكذلك عتاد هذه الاسلحة ، وأن العامل بالطوبخانه العثمانية لا تكفي امداد الجيوش بالعتاد اللازم ، ولا تستطيع امداد الجيوش بما يمكن أن تخسره من مدافع وانواع الاسلحة الاخرى . عدا هذا فالاقطار المترامية الى الجنوب من جسم الدولة ، كالبصرة واليمن والحجاز ، هذه البلاد المحاطة من كل ناحية بقوات مستعدة من الدول المعادية البحرية ستصبح في احراج المواقف ، وربما اتكلت الدولة في الدفاع عن حمية اهلها وهم ليسوا منظمين ولا مسلحين بالشكل الذي يستطيعون معه مقابلة جيوش اوروبا المنظمة . وانني استحلف جلالتكم بالله ان لا تدخلوا الحرب وان تعلموا بأنني اعتقد في كل من يرى الحرب الى جانب الالمان عدم التمييز أو الخيانة الكبرى "[2] .

---

[1] في شهر آب ١٩١٤ عاد عبدالله وفيصل من الاستانة الى الحجاز ، انظر موسى ، الحركة ص٩٥، وذلك لانهما انتخبا ومنذ عام ١٩١٢ مندوبين عن مكةً وجدة ، انظر Baker,Op.Cit, P.41.

[2] حول رسالة الشريف حسين التحذيرية للسلطان محمد رشاد ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص ص ١٠٣-١٠٤ .

وكرر الشريف الحسين التحذير نفسه الى والي الحجاز وهيب باشا ، عند زيارته للشريف بالطائف[1] ، لغرض ابلاغه بأن وزيري الداخلية والحربية يرغبان في استطلاع رأي الشريف في اعلان الحرب ضد روسيا وبريطانيا ، فقال الشريف أنه لا يرى الاجابة شفاهاً على سؤال شفوي بل يود أن يوجه اليه السؤال كتابياً حتى يعطي عليه جواباً مكتوباً . كما قال " ولكني أقول لك كجندي شريف اني لست بالخائن حتى أشير على الدولة بأن تدخل هذه الحرب التي لا ناقة لها فيها ولا جمل ، ونحن محاطون هنا بالدول العظمى البحرية ، والتي ستشغلكم جيوش روسيا وجيوش الانكليز بمصر مع انكم غير متصلين بحليفتكم المانيا من البر ، وصربيا معادية ورومانيا معادية " . فأجابه الوالي بالقول : هي ورقة زرقاء نريد أن نقذف بها على ميز المسير (أي مائدة القمار) ، الامر الذي أثار غضب الشريف الذي هتف بعبارة ذات معنى كبير اذ قال : " عجيب أبا الامة تقامرون "[2] .

وهكذا ابدى الشريف حسين رأيه بصراحة تامة للقائد وهيب باشا ، بأن الدولة العثمانية لا تستطيع المحافظة على بلاد العرب ما دامت البحرية الانكليزية قوية وفي حالة عداء مع الدولة العثمانية ، واكد له وجهة نظره بأن هذه الحرب هي حرب المانية تهم الالمان وحدهم دون العثمانيين .

وبعد اربعة وعشرين ساعة تلقى الشريف حسين برقية من الصدر الاعظم وبرقية من وزير الحربية يسألانه عن رأيه في دخول الحرب الى جانب المانيا وعما اذا كان باستطاعته تأمين الهدوء في عسير واليمن اذا دخلت الدولة الحرب ، فأحالهما

---

[1] يبدو ان فريحات قد توهم عندما قال بأن الشريف حسين قام بزيارة الوالي العثماني وهيب باشا انظر فريحات ، الثورة ، ص٨٨ . لان اجماع المصادر تشير الى العكس من ذلك تماماً ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص١٠٤ ، موسى ، الحركة ، ص٩٥ ، زين ، اسباب ص٥٧ ، موسى ، الحسين ، ص٤١ .

[2] حول نص اجابة الشريف حسين حول سؤال وزير الجاخلية والحربية ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص١٠٤ ، قد رى القلعجي ، جيل الفداء : قصة الثورة العربية الكبرى ونهضة العرب ، (دار الكتاب العربي ، عمان ، الاردن ، ١٩١٧) ص١٣٩ .

الشريف على رسالته السابقة ثم نصحهما بعدم دخول الحرب ضد روسيا وفرنسا وبريطانيا لأن عملاً كهذا " خرق عظيم وخيانة للامانة ، وان البلاد باجمعها لا ترضى عن حرب ضد هذه الدول ، وانهم وان كانوا عزموا على هذا ، فقبل نشوب الحرب يجب عليهم ان يزودوا الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك العمل للفرقة العسكرية بعسير وكذلك بالحجاز ، وانه يجب الاسراع في هذه المدة بخزن المؤن في الولايات لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، وان لم تفعلوا هذا فهم سيضعون هذه البلاد في احرج مركز قد يفضي بهم الى ما لا تحمد عقباه "[1] ولم تتضمن اجابة الدولة عنه ، اكثر من شكرها لنصائحه وبأنها قد فكرت بكل شيء[2] .

ويبدو ان الشريف حسين قد التجأ الى استخدام الاساليب المزدوجة في تحديد موقفه النهائي من فكرة دخول الدولة الحرب ، فهو يجمع ، كما يتضح ، بين رفضه لدخول الدولة الحرب ، وبين الدعوة لاتخاذ الترتيبات والاحتياطات العسكرية والاقتصادية لتقليص خطورة الحرب في الجزيرة العربية ، والتي عبر عنها احد الباحثين بالقول بأن " هذه الاراء من السداد والحكمة بحيث ترينا مقدرة هذا الشريف من ادراك وفهم التيارات السياسية وقتئذ "[3] .

---

(1) حول نص الرسالة الجوابية التي بعثها الشريف حسين الى الصدر الاعظم الاعظم ووزير الحربية في آب ١٩١٤ ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص١٠٤-١٠٥ ، وهناك من يشير بأن رسالة الحسين كانت سرية ، المصدر السابق ، ص ١٨ . ويبدو على حد علمنا بأنه لم يشر الى سرية الرسالة الا الشريقي فقط . وهذا ما يؤكد قولنا بأنها لم تكن سرية والذي يدعم قولنا اكثر قول الشريف في رسالته الجوابية الاخيرة للصدر الاعظم ووزير الحربية والتي جاء فيها " بأنه قد قدم رأيه ونصيحته الى جلالةً السلطان بعريضة خاصة مفصلة " .

(2) حول نص جواب الباب العالي للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص١٠٥ .

(3) طه شريف ، الاحداث العربية في تاريخها الحديث ، سلسلة اخترنا لك (٥١) ، القاهرة ، د.ت ص٥٢ .

وهكذا نلاحظ بأن أمير مكة الشريف حسين لم يحبذ فكرة احتمال دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا ، ويبدو ان ذلك يعود لجملة عوامل : منها أن موقف الشريف هذا يدل على خوفه على الدولة العثمانية لشعوره أن مصيره ومصير أغلب بلاد العرب مرتبط بمصير الدولة . وقد برر الحسين عن خوفه مما يصيب الكيان الاسلامي من هذه الحرب فيما لو اقدمت الدولة العثمانية على الاسهام فيها ، اذ " سيكون الضرر منصباً على الديار الحجازية ... وستنصب ويلات الحرب على سواحل البلاد المقدسة بما تلقيه البوارج الحربية من القنابل والآلات المدمرة فتخرب البلاد وتهلك العباد "[1] ، ومنها عدم ثقته بالاتحاديين فضلاً عن عدم اطمئنانه لقيادتهم تجاهه سواء ربحت الدولة العثمانية الحرب أم خسرتها[2] كما أن لمفاوضاته التي كان يجريها نجله عبدالله نيابة عنه مع السلطات الانجليزية في هذه الفترة ، تشير الى أن نيته متجهة الى الثورة على العثمانيين ، وتطلعه متوجها المساعدات التي يقدمها له الانكليز[3] .

ويبدو ان موقف الشريف حسين الرافض لفكرة ترجيح دخول الدولة العثمانية الحرب بجانب الالمان قد ازعجت الاتحاديين ، وذلك يتضح من قولهم ، " بأن الشريف لا يعبر فيما قاله عن الرأي العام في البلاد " ، وعندئذ التجأوا الى مجلسي المبعوثان والنواب ، الذي يضم اكثرية مؤيده للاتحاديين وصلت بفعل الضغط والتزوير ، الذين اعلنوا موافقتهم على الحرب واعربوا عن ثقتهم بالحكومة ، ومن هذا اعتبر الاتحاديون أن الامة بأسرها تؤيد الحكومة في سياستها الخارجية[4] .

---

(1) فائز الغصين ، مذكراتي عن الثورة العربية ، مطبعة الترقي ، دمشق ، ١٩٥٦ ، ص٢٩٣ .

(2) سليمان موسى ، لورنس والعرب ن وجهة نظر عربية (عمان ، ١٩٦٢) ، ص٣٠ ،

(3) سليمان موسى ، المراسلات التاريخية ١٩١٤ – ١٩١٧ ، المجلد الاول عمان ، الاردن ١٩٧٣ ، ص١٧ .

(4) للتفاصيل ، انظر جمال باشا السفاح ، مذكرات جمال باشا السفاح ، ترجمة علي احمد شكري (دار البصرى ، بغداد ، ١٩٦٣) ص٢٣٢ .

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٤ اشتركت الدولة العثمانية في الحرب ، الامر الذي اثار الانجليز ودفعهم الى ضرورة فتح باب المفاوضات مع الشريف حسين واستغلال التوتر القائم بينه وبين الدولة العثمانية ، فقد اصدر كتشنر في تشرين الاول ١٩١٤ الذي عين وزيراً للحربية عند اندلاع الحرب ، اوامره في الاستفسار عن موقف الشريف حسين اثر دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا[١] ، فأبدى الشريف على لسان نجله عبدالله ، رغبته في التعاون مع بريطانيا شريطة حمايتها مصالح العائلة مع تعهد خطي بذلك[٢] ، فلم تمانع بريطانيا ، وابلغت القاهرة في ٣١ تشرين الاول موافقتها على هذا التعهد ودعمها للعرب ضد أي اعتداء خارجي ، وعدم التدخل في شؤون الحجاز الداخلية ، واستعدادها للوقوف الى جانب الحسين عند مبايعته بالخلافة[٣] .

ولا شك أن هذه المراسلات بقيت سرية على الجانب العثماني حتى أعلان الثورة عام ١٩١٦ ، على الرغم من مراقبتهم ، على ما يبدو ، لمقابلات عبدالله – كتشنر في القاهرة ، الذين ابدوا شكوكهم واعلنوا عدم ارتياحهم منها ، بل وابلاغهم ذلك للامير عبدالله ، وذلك ما نستنتجه من قوله " غير أن استنبول أوعزت الينا أن

---

[١] برقية من اللورد كتشنر الى ممثل بريطانيا في القاهرة ، لندن ، ١٩١٤/٩/٢٤ ، الوثيقة (١٣) انظر موسى ، المراسلات ، ص ص٢٣-٢٥ .

[٢] برقية من عبدالله الى ستورس ، مكة المكرمة ، ١٩١٤/١٠/٢٠ ، الوثيقة (١٥) ، المصدر نفسه ، ص ص٢٥-٢٦ .

[٣] راجع نص البرقية في ، زين نورالدين زين ، الصراع الدولي على الشرق الاوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان (دار النهار ، بيروت ، ١٩٧١) ، ص٣٢٧ ، موسى ، الثورة ، وثائق اسانيد ، ص ص١٥-١٦ .

ولا شك ان هذه الاتصالات قد توجت بالمراسلات التي دارت بين الشريف حسين وهنري مكماهون التي ابتدأت في ١٤ تموز ١٩١٥ حتى ١٠ آذار ١٩١٦ ، وقد كتب الكثير عنها ومنها ، موسى ، المراسلات وثيقة (٢٠) وما بعدها ، وزين ، الصراع ، ص٢٨١ وما بعدها موسى ، الحسين ، ص ص٧١-١٠٤ .

مثل هذه المقابلات غير مرغوب فيها لأن الباب العـالي غـير راضٍ عنهـا ، ولا سيما وأنه ينظر نظرة ريبة وحذر الى المؤامرات العربية في الحجاز وسوريا "[1] .

---

[1] زين نورالدين زين ، نشوء القومية العربيـة (دار النهـار للنشـر ، بيروت ، ١٩١٨) ، ص١٨ هامش ١٧ .

٢- الحسين بين اعلان الجهاد وحملة القناة الاولى :

اعلنت الحكومة العثمانية ، وقبل أن ينقضي الشهر الاول على دخولها الحرب الدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها . اذ اصدر شيخ الاسلام ، وهو صاحب ارفع منصب ديني في الدولة الفتوى بذلك . وجاء في هذه الفتوى أن الجهاد هو فرض على جميع المسلمين في العالم ، ومن بينهم مسلمي بريطانيا وفرنسا وروسيا وطالبت الفتوى المسلمين بالاتحاد لمحاربة هذه الدول الثلاث لانها عدوة الاسلام واكدت الفتوى ايضاً على المسلمين محاربة صيغ الدول التي قد تتحالف بعد ذلك مع هذه الدول الثلاث . ومضت الفتوى تقول أن على المسلمين أن يمتنعوا عن تقديم أية مساعدة لبريطانيا وحليفاتها في عملياتها الحربية الهجومية ، سواء على الدولة العثمانية أو على الدول الصديقة لها وهي المانيا والنمسا والمجر . أما النقطة الاخيرة في الفتوى التي اصدرها شيخ الاسلام فقد اكدت على أن الامتناع يجب أن يكون تماماً في جميع الاحوال والظروف حتى ولو كانت عقوبته (الامتناع) الاعدام[١] .

وكان من الطبيعي ، والدولة التي تبذل هذا النشاط الاعلامي والدعائي المكثف والواسع في ارجاء العالم الاسلامي من الهند شرقاً الى ساحل المحيط الاطلسي غرباً ، ان تطلب من أمير مكة المكرمة الشريف حسين أن يدلي بدلوه في هذا المجال ، فيصدر اعلاناً بالجهاد الديني والسياسي في ارجاء العالم الاسلامي ، نظراً لما للشريف من مكانة دينية فريدة مستمدة من نسبه ومنصبه معاً ، فهو من حفدة

---

[١] للتفاصيل عن فتوى شيخ الاسلام ، انظر الصواف ، المصدر السابق ص١٨١ ، محمد كامل الدسوقي ، السياسة الدولية وفلسطين (دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦) ص١٧٩ ؛ مكي ، شبيكة ، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١) ، ص٢٢٤ ، حامد مصطفى ، الجهاد في الاسلام ، ماضيه وحاضره ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤٨) ، ص ص٦٠-٦١ .

الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن قيمة منصبه على المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة . وبذا فان سلطة الشريف لا تقتصر بحدود الحجاز فحسب ، بل تأثيراتها تمتد في ارجاء العالم الاسلامي ، ولا شك بأن هذا المقدار من التبرير يسلط الضوء على أهمية اصدار اعلاناً بالجهاد الديني من الشريف ، كما يعطينا القول بأن تقديرات العثمانيين كانت دقيقة وصائبة في اصرارها للحصول على ذلك .

وفي ضوء ذلك ، اخذت حكومة الاستانة تمطر الحسين بسيل من البرقيات والرسائل حملت تواقيع كبار شخصياتها ، من الصدر الاعظم وانور باشار وطلعت باشا ، يطلبون منه ، وبألحاح أن يصدر اعلاناً بالجهاد الديني ، والاسهام فعلياً في الحرب[1] . كما ارسل احمد جمال باشا ، الذي عين قائد للجيش التركي الرابع في بلاد الشام عند اندلاع الحرب ، رسالة يستحثه فيها ان يصدر اعلاناً صريحاً بالدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها على غرار ما سبق أن صدر عن السلطان العثماني وعن شيخ الاسلام وكبار العلماء ، ويطلب فيها ارسال راية النبي محمد صلى الله عليه وسلم الى دمشق ليأخذها الجيش الرابع من قبيل التبرك في زحفه المرتقب على مصر عبر شبه جزيرة سيناء وقناة السويس . كما تضمنت رسالة جمال مطلباً ثالثاً من الشريف ، تتضمن تحشيده (الحسين) جيشاً من القبائل الحجازية وضمه الى الجيش الرابع المرابط في سورية والموكلة اليه مهمة الهجوم على قناة السويس[2] .

---

[1] حول برقيات اصدر الاعظم وانور وطلعت باشا ، انظر ، جلال يحيى ، الثورة العربية القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ص١٣٥-١٣٦ ، انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٢٤ ؛ صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها (منشورات مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت) ، ص١٦١ .

[2] حول نص رسالة جمال باشا للشريف حسين ، انظر محمود صالح منسي ، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ط٢ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، الصواف ، المصدر السابق ص ص١٨٠-١٨٤ .

وأمام هذا الموقف الحرج سلك الشريف حسين مع الاتراك سلوكاً يدل على المهارة الفائقة التي تمثلت في ردوده على مطالبتهم اياه بتأييد الدعوة الى الجهاد فعمد الى تغليف ردوده بالحماس الديني والاطناب والغموض في العبارات ، بهدف التهرب من اصدار الاعلان ، وحاول بدهائه أن يسوق للدولة اعذاراً تبدو في ظاهرها قوية ولكنها كانت في حقيقة أمرها تبريرات تخفي وراءها سراً دفيناً هو الا يندفع في تحديد موقف مؤيد للاتحاديين من جهة ، ولا يسمح لهم باستدراجه الى تحقيق هدفهم المنشود في اصدار الجهاد الديني من جهة أخرى . اذ وردفي رسائله الجوابية " أنه يؤيد من اعماق قلبه الدعوة الى الجهاد ويضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يكلل بالنجاح جهاد المسلمين في الدفاع عن دينهم ، ولكنه يرى أن اقدامه على اصدار بيان علني يدعو فيه المسلمين الى الجهاد أمر ينطوي على مخاطر" ، ومضى الشريف يقول ، بأنني اذا اعلنت بصراحة تأييدي للجهاد ، فأن الخليفة يدرك أن الاسطول البريطاني سيملأ سواحل الحجاز ويحاصرها وقد يقصفها بمدفعيته ، فيدفع أهل البلاد عن طريق الخوف والمجاعة الى الثورة ، وذكر الشريف بأنه سيعمل حتماً على تجنيد الرجال للدفاع عن قضية الدولة العثمانية وأنه يبتهل الى الله ان يبارك قادة الجهاد وأن يحقق النصر لقضية يتطلع اليها جميع المسلمين بقلوبهم[١] .

وتظاهر الشريف حسين للاتحاديين بالموافقة على طلباتهم ، اذ اخذ يقترح من حين لآخر تعديلات لهذه الطلبات " لم تخطر لهم على بال ". فأمر بأن تستخرج راية رسول الله صلى الله عليه وسلم – أي قطعة القماش التي عرفت بهذا الاسم – من مقرها في المدينة في موكب رائع ، وان ترسل في احتفال مهيب الى دمشق ليتبرك بها الجيش الذي كان يوشك ان يصل مصر . وكان الشريف يهدف من اتخاذ هذه

---

[١] حول نص رسالة الشريف حسين ، انظر موريس ، المصدر السابق ، ص٣٨ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص/ص٢٢٤-٢٢٥ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص١٣٦ .

الخطوات ما يكفل حشد جيش من المجاهدين من أهل الحجاز ، وارسل ابناءه ليشرفوا على هذا التجنيد ليكون وجودهم دليلاً على اهتمام والدهم (الشريف حسين) بالامر(١) .

وإذا كان شريف مكة المركة واميرها الحسين بن علي قد لجأ الى سياسة التغرير بالاتراك ، فان الاخيرين بدورهم لجأوا الى خداع الجماهير ، إذ حاول الاتحاديون ان يغطوا امتناع الشريف عن اعلان الجهاد بحملات اعلامية عريضة ونشيطة مضللة فصدر عن حكومة الاستانة أن الشريف الحسين قد بارك الدعوة الى الجهاد التي اصدرها جلالة السلطان الخليفة . كما طلبت حكومة الاستانة من خطباء المساجد والوعاظ ان يعلنوا هذا النبأ بدون تحفظ في خطبة الجمعة في جميع مساجد الشام والعراق . وقد تكرر اعلان هذا النبأ في ثنايا خطب الجمعة اسبوعاً بعد اسبوع وشهراً بعد شهر . لا سيما وان الجماهير ، على ما يبدو ، اثر مشاهدتها نقل الراية قد نقر في اذهانها بأن شريف مكة المكرمة وأميرها الحسين بن علي مؤيداً للدولة العثمانية قلباً وقالباً في استنفار المسلمين للجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها دفاعاً عن الاسلام والاماكن المقدسة . والانكى من ذلك ان الصحف العثمانية قامت بدور مؤثر في هذه الحملة الاعلامية المضللة ، ففي بيروت صدرت صحيفة " الاتحاد العثماني " والتي جاء فيها : " لقد نشرنا احسن نقلاً عن مصادر رسمية أن الامير عبدالله أبن شريف مكة قد تطوع للعمل في سبيل الجهاد ، ومعه فرقة كبيرة من رجال القبائل الحجازية ، وبوسعنا الآن أن نؤكد أن شريف مكة قد أعلن الجهاد في جميع انحاء الحجاز ملبياً في ذلك رغبة الخليفة . وأن القبائل يستجيبون من كل ناحية

---

(١) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٢٥ ، وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية – الساسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠-١٩٢٠ (معهد الانماء العربي ، بيروت ، ط١ ١٩٧٦ ص٢٥٩) .

لهذه الدعاية باسلحتهم الكاملة " . كما نشرت في بغداد صحيفة موالية للاتحاديين تسمى " صدر الاسلام " مثل هذه البيانات الاعلامية المضللة[١] .

وعلى الرغم من ذلك ، فأن موقف الشريف حسين قد اثار غضب واستياء الاتحاديين ، فشرعوا يسعون لعزله وليخلفه أميراً آخر لمكة يكون موالياً لـم . وصدرت الاوامر الى وهيب باشا والي الحجاز سراً لاعتقاله بحيث لا يثير اعتقاله ثائرة القبائل[٢] ، وعلى ما يبدو ، اذ تعذر ذلك فسيتم عزله عن طريق استدعائه الى سوريا وبالفعل وجهوا اليه دعوة رقيقة لزيارة دمشق بحجة اجراء مباحثات مع جمال باشا . كما صدرت الاوامر الى الصحافة بأن تنشر أن الشريف وافق على تلبية دعوة جمال باشا وانه يزمع السفر الى دمشق تعبيراً عن ولائه واخلاصه للدولة . ولكن الشريف حسين الذي عاش في الاستانة اكثر من خمس عشرة سنة كان يعرف تماماً معنى هذه الدعوة ، وما يمكن أن تسفر عنه من نتائج قد تؤدي بحياته أو على أحسن الفروض تنتهي باعتقاله عدة سنين[٣] .

ومن جهة أخرى ، فأن الشريف حسين قد اعلن موافقته على الاشتراك في الحملة العثمانية على قناة السويس . ويذكر جمال باشا بأنه طلب من الشريف حسين أن يعزز فرقة الحجاز بقوة مساعدة بقيادة احد ابنائه أو أن يتولى هو قيادة الحملة

---

(١) الصواف ، المصدر السابق ، ص١٨٨ ، وقد اشارت بعض المصادر الى ما جاء في صحيفة " الاتحاد العثماني " لكنها اضافت الى ما جاء فيها عبارة " وقد فهمنا الآن أن شريف مكة قد اعلن بتاريخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ الدعوة الى الجهاد في جميع انحاء الحجاز تلبية لرغبة الخليفة ". انظر شرف ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ص٢٢٦-٢٢٧ .

(٣) الصواف ، المصد السابق ، ص١٨٩ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص١٧٣ .

القادمة من الحجاز ، من نظاميين ومتطوعين ، فأجاب الشريف أنه سيرسل نجله الاكبر (الامير) علي على رأس المتطوعين ليرافق وهيب والقوات النظامية[١] .

وعلى ما يبدو ان الشريف حسين اراد ان يغض النظر عن المواقف الباردة التي كانت بينه وبين الاتحاديين عموماً ، ورأى الاتحاديون من جانبهم أن يتجاوزوا الشكوك التي كانت تساورهم في درجة اخلاص الشريف . وعندما ابلغ " انهم يتشرفون بتفويض قيادة التجريدة اليه ، اجاب أن الافضل عنده ان لا يبرح مكة ليدافع عن الخطة الحجازية اذا اعتدى عليها الخصوم "[٢] .

ولا شك ان رد الشريف حسين الودي قد احدث ارتياحاً كبيراً لدى السلطات العثمانية ، فاصدرت اوامرها في الحال بارسال كميات كبيرة من الاسلحة الى الحجاز ، كما ارسل السلطان مبلغاً من المال الى الشريف حسين لانفاقه على هذا الجيش ، وعندئذ بادر الحسين الى تجنيد المتطوعين[٣] .

وقد تم الاتفاق على ان يتولى (الامير) علي ابن الشريف الحسين قيادة هؤلاء المتطوعين ، ويقود وهيب باشا الجنود العثمانيين المرابطين في الحجاز ، وينضم هؤلاء واولئك الى الحملة التي قررت الدولة العثمانية تنفيذها بقيادة جمال باشا الى

---

[١] العميد الركن شكري محمود نديم ، حرب فلسطين ، شركة النبراس للنشر والتوزيع ، بغداد ط٤ ، ١٩٧٤ ، ص٥٤ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص١٦٧-١٦٩ ، موسى الحركة ، ص١٠٤ ، الغصين ، المصدر السابق ، ص٢٠٥ ، فؤاد ، المصدر السابق ، ص٧٨.

[٢] موسى ، الحركة ، ص١٠٥ ، نديم ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

[٣] حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

مصر للهجوم على قناة السويس[1] ، وغادرت هذه القوات الحجاز في كانون الثاني ١٩١٥[2] .

وقد وقع في ذلك الوقت حادث ادى الى تدهور العلاقات بين امير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي ، وبين الدولة العثمانية ، اذ سقطت اثناء الطريق من مكة المكرمة الى المدينة المنورة محفظة الاوراق السرية الخاصة بالوالي العثماني وهيب باشا ، الذي ائتمنها عند السيد محمد نائب الحرم ، لثقته به[3] .

وانقسم الباحثون في مسألة تفسير فقد الحقيبة الى قسمين : فهناك من يرى بأنها سقطت قضاءً وقدراً ولم ينتبه مؤتمنها لسقوطها[4] . في حين يرى البعض الآخر بأن الحادث كان نتيجة تدبير مسبق ، مبررين ذلك الى أن الشريف حسين قد لاحظ تغييراً ملموساً في موقف وهيب باشا منه (أي الشريف حسين) ، واعتقد الأخير بان هذا التغيير جاء نتيجة تعليمات سرية ارسلتها حكومة الاستانة الى وهيب باشا ، فعندئذ بعث الشريف حسين العيون لرصد تحركات الوالي العثماني ، وبينما كان هذا الاخير في طريقه الى المدينة المنورة " فقد احدى الحقائب من بين امتعته "[5] . والتي ، على

---

(1) الصواف ، المصدر السابق ، ص١٩٩ .

(2) عبدالمنعم مصطفى ، لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠) ، ص١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص٥٢ ، بينما يشير سليمان موسى في كتابه الحركة العربية ، ص١٠٥ الى ان القوات غادرت في ١٥كانون الاول ١٩١٤ .

(3) مصطفى ، لورنس ، ص١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص٥٢ .

(4) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١٠٥ .

(5) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ، بينما تذكر جريدة الاستقلال البغدادية بأن " فيصل كان يعلم ان وهيب باشا يخفي في حقيبته تقارير بتشوية اعماله واعمال والده لدى السلطة العثمانية التي كانت بيد الاتحاديين فبعث بأحد اتباعه للحاق بوهيب باشا لانتزاع منه الوثائق " وفعلا تمكن من ذلك . للتفاصيل انظر جريدة الاستقلال البغدادي ، العدد ١٩٦٧ ، ١٣ ايلول ١٩٣٣ .

ما يبدو ، بان العيون الذين كلفهم الشريف بالامر قد تيقنوا من أهمية ما تحويه هذه الحقيبة قبل أخذها.

واطلع (الامير) علي على ما فيها من مراسلات سرية كانت تدور بين حكومة الاستانة وبين والي الحجاز وهيب باشا . وكانت هذه المراسلات تحتوي على تعليمات تستهدف الفتك بالشريف وانجاله والقضاء على ما كان يتمتع به اقليم الحجاز من استقلال ذاتي ، كما اطلع على وثائق تتضمن الخطط والتدابير لتنفيذ هذه المؤامرة ولكن الذي حال دون تنفيذهانشوب الحرب العالمية الاولى وانهماك الدولة العثمانية فيها[1] .

وقد انفردت جريدة الاستقلال البغدادية بنشر هذه الوثائق ، التي تعد ذات قيمة كبيرة جداً لأنها لم تستخدم في جميع المصادر المتوفرة تحت ايدينا ، وهي تسلط الضوء على ارتكاز الاتحاديين على الوالي وهيب باشا لتنفيذ سياستهم ضد الشريف حسين ، بجانب المراقبة الدقيقة للاخير من قبل الاتحاديين وواليهم وهيب ، فقد كان وهيب يمطر مسؤولية في الاستانة بالرسائل المتعلقة بتحركات الشريف حسين ومما جاء في رسائله الى طلعت باشا قوله " بسبب زيادة قوة الحكومة فالامير اليوم في مركز دقيق ، وقد بدأ يحرض القبائل على سفك الدماء بين مكة وجدة . قبل أن تقع الحوادث ، ارجو أن تخبروا الصدارة العظمى أن فرمان تعيين الشريف يفرض عليه تأمين الطرق والمحافظة عليها "[2] ، وكان انور باشار يؤكد في رسائله الى وهيب بضرورة المراقبة الدقيقة في الحجاز ، اذ جاء في احدى رسائله " بخصوص بعض الاحوال نلفت نظركم الى الدقة وبخاصة بعض الاحوال التي تهم امارة مكة التي

---

[1] للتفاصيل عن مضمون اوراق وهيب باشا السرية ، انظر ، مصطفى ، المصدر السابق ص١١٨ ، موسى ، الحسين ، ص٥٢ ، قدري ، المصدر السابق ، ص٤٥ ، محمد صبيح بطل لا ننساه ، عزيز علي المصري وعصره (المكتبة العصرية ، بيروت – صيدا ، ١٩٧١) ص٧ .

[2] جريدة الاستقلال البغدادية ، العدد ١٢٢٥ ، ٦ كانون الثاني ، ١٩٢٧ .

اوصيتم بها تلغرافاً شفوياً " . وتكشف المراسلات بين الاتحاديين نجاح واليهم وهيب باشا في مهمته في الحجاز ، ويتضح الامر من رسالة وزير الداخلية ، طلعت باشا الى وهيب والتي ارسلها بالشفرة والتي جاء فيها "تعترف بأن وهيب بك كفء للادارة ومقتدر لعمل كل ما فيه سلامة البلد ، اذا احتجتم نقود ، بسبب مشايخ القبائل اخبرنا"[1] . وهذا ما يسلط الضوء على احد دعامات السياسة الاتحادية في حكم الحجاز والتي تؤكد على ضرورة كسب ولاء المشايخ الحجازية أي عملاً بسايسة ضرب العرب بالعرب .

ولم يلبث (الامير) علي أن أمر رجاله بالتوقف عن السفر ، بعد اطلاعه على تلك الوثائق ، وانتحل الاعذار للبقاء في المدينة المنورة للدفاع عنها ، ولم تحاول القيادة العثمانية ارغامه تجنباً للاحتكاك المباشر ، وسارت القوات العثمانية وحدها الى معان[2] . وعندئذ عاد (الامير) علي الى مكة فسلم الاوراق الى والده . وما أن القى الشريف حسين نظره عليها حتى عرف الحقيقة بكاملها ، فأبرق الى الصدر الاعظم يقول : " انه عثر بأناس يحفرون له ضريحاً ، ويسأله السماح لاحد ابنائه بالسفر الى الاستانة ليطلعه على المكيدة . فاجابه الصدر الاعظم الى ذلك . واختار الشريف حسين نجله فيصل لهذه المهمة " وكان معروفاً بالميل الى مصادقة الترك والتعاون معهم "[3] .

والجدير بالذكر ، أن الحملة العثمانية قد فشلت في مهمتها امام قوات الحلفاء اذ أن بريطانيا كانت قد استعدت لذلك بحشدها قوات كبيرة ، نظراً لما لمصر وقناة

---

(1) المصدر نفسه ، العدد ١٢٢٤ ، ٥ كانون الثاني ١٩٢٧ .

(2) نديم ، المصدر السابق ، ص٥٤ ، مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى ، دار طلاس ط٤ ١٩٨٧ ، ص١١٦ .

(3) موسى ، الحسين ، ص٥٢ ، احمد حسين العلي ، حركة الاستقلال العربي ، دراسات تاريخية في مفهوم الاستقلال في فكر الاحزاب والجمعيات العربية ١٩٠٨-١٩١٩ ، رسالة ماجستير معهد الدراسات القومية الاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٣٧ .

السويس من أهمية في الاستراتيجية البريطانية[١] ، وقد برر جمال باشا هزيمته هذه " بخيانة الشريف حسين " ، فكتب في مذكراته " اننا كنا نستولي على مصر غير أن خيانة الشريف حسين منعتنا من ذلك "[٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل أن الشريف حسين كان جاداً في الاسهام الفعلي في حملة القناة ضد بريطانيا وحليفاتها ، في وقت كانت المفاوضات بينهما قد قطعت شوطاً مشجعاً ؟ وهل يمكن الركون الى حادثة اوراق وهيب باشا السرية باعتباره هو السبب المباشر وراء عدم مواصلة الاشراف سيرهم مع القوات العثمانية اتجاه مصر ؟

لا شك انها السياسة التوفيقية التي كشفت مهارة الشريف الفائقة التي اخذ ينسقها بما يتساير وتلك السياسة التي بدأ بنسج خيوطها من اجل اعلان ثورته بوجه الدولة العثمانية فالتطورات السابقة والمنطق يؤكدان بأن الشريف حسين لم يكن جاداً في الاسهام الفعلي في الحملة ، وانه كان على دراية تامة بنوايا الاتحاديين اتجاهه ، وفي ضوء ذلك يمكننا القول بأن حادثة الاوراق السرية كانت ورقة رابحة بيد الشريف لمواصلة سياسته التوفيقية ، رغم دورها في اعادة تدهور العلاقات بين أمير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي والاتحاديين . وان اكتشافها في هذا الوقت قدم على ما اعتقد خدمة كبيرة للحسين في مواصلة سياسته ضد الاتحاديين ، وذلك لانهم في هذا الوقت كانوا يودون الابقاء على الشريف حسين لعظيم الفوائد التي اعتقدوا انهم

---

(١) وهناك من يعزو سبب الفشل الى استعجال جمال باشا في هجومه الذي كان يأمل منه نيل شرف دخول مصر ، فباشر بالزحف نحو القناة قبل الوقت المحدد ، اذ لم يكن جعفر العسكري ، الذي اوكلت اليه مهمة مشاغلة القوات البريطانية من الغرب ، قد استكمل استعداداته هناك ، وكانت النتيجة الفشل ، انظر علاء جاسم محمد ، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠-١٩٣٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة في التاريخ الحديث ، كلية الآداب جامعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص١٧ ، موسى ، وثائق ص٢١٦ .

(٢) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص١٨٤-١٨٥ .

يجنونها من وراء ارتباطهم به ، اذ لو افترضنا ان كشفها كان قبل الحرب لكان موقف الاتحاديين منه بالتأكيد يختلف عن موقفهم الآن لانهم قبل الحرب وكما كشفت الاحداث وافصحت عنها المراسلات يودون التخلص منه بكل طريقة .

٣ - المراسلات بعد فشل حملة القناة الاولى :

غادر فيصل دمشق في أواخر آذار ١٩١٥ الى الاستانة التي قصدها في الثالث والعشرين من شهر نيسان من العام نفسه ، واقام فيها ما يقرب من شهر ، أجرى خلاله اتصالات سياسية واسعة مع كبار رجال الدولة العثمانية . فقد قابل فيصل مرتين السلطان محمد رشاد ، وتعددت مقابلاته مع الصدر الاعظم سعيد حليم ، وشكا لهما سياسة وهيب باشا العدائية تجاه والده ، ورغبته في الانتقاص من نفوذه بين عشيرته في الحجاز ، وكان فيصل حريصاً على اثارة موضوع الاوراق التي وجدت في حقيبة وهيب باشا السرية ، اذ اطلعهما على محتواها[1] وكانت الاوراق التي عرضها فيصل حججاً دامغة تبعث على الحرج الشديد للاتحاديين ، ويبدو أن وهيب باشا شرح فيها ما وصفه جمال فيما بعد بأنه " من اللازم ارسال فرقتين على الاقل الى مكة لخلع الشريف وتوليه خلف له "[2] ، كما شكا في هذه المقابلات من تصرف

---

[1] كانت مهمة فيصل ذات شقين : شق علني وهو عرض شكوى ابيه في استنبول وسري وهو الاطلاع في دمشق على قوة الحركة العربية ، بعد أن ارسلت جمعية (العربية الفتاة) احد اعضائها (فوزي البكري) الى الحجاز وحملته رسالة خاصة للشريف ضمنتها استعداد العرب في سوريا والعراق القيام بوجه الاتحاديين والحصول على الاستقلال ، والاستفسار عن استعداده لقيادة الثورة ، ورغبتهم في اجراء الاتصالات بهذا الشأن . للتفاصيل انظر ، محمود صالح منسي ، موقف أهل الشام من التبعية للحجاز أبان الحرب العالمية الاولى ، مجلة الشرق الاوسط (جامعة عين شمس ، العدد الثاني ١٩٧٥ ، ص ص٧٢-٧٣ ، محمود صالح منسي ، حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٧٥ ، ص٢٦٩ اسعد داغر ، ثورة العرب (مطبعة المعظم ، مصر ١٩١٦) ، ص ص ١٨٧-١٨٩ ، ويذكر (فرنو) بأن السلطات العثمانية التي تراقب عيونها اليقظة سوريا ، لم تستطع بأية حال أن تعرف ما يحاك بين الوطنيين وبين الامير فيصل ، انظر ف.و.فرنو ، يقظة العالم الاسلامي ، ترجمة صبيح شعبان (دار الحكمة ، بيروت ، ١٩٥٦) ، ج١ ، ص١٧٩ ، يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ص٢٤٣-٢٤٤ .

[2] موسى ، الحركة ، ص ص١٢٩-١٣٠ ، جمال باشا ، المصدر السابق ص٤٠٢ .

الاتحاديين وقال : " انهم يعملون للتنكيل بنا ودس الدسائس ضدنا ، مما افقدنا الثقة بهم"[1] .

وسلم الى سعيد باشا الصدر الاعظم باعتباره صديق لهم ، مذكرة بسط فيها مطالب العرب في الحرية والاستقلال ، وقال " بانهم على أتم استعداد لتأييد الدولة اذا اعترفت باستقلال الحجاز على اساس اللامركزية وبالشريف حسين اميراً على مكة على أن تكون ارثاً بين اولاده من بعده[2] .

وقابل (الامير) فيصل بعد ذلك كلاً من انور باشا وزير الحربية وطلعت باشا وزير الداخلية ، وتحدث اليهما عن تصرفات وهيب باشا ، كما تحدث اليهما عن تصرفات جمال باشا السفاح[3] ، وما يقوم به من اعمال ارهابية ضد الاحرار العرب ، وطلب فيصل ايضاً ضرورة الافراج عن المعتقلين الذين زجهم جمال باشا في السجون . وكانت المحادثات ودية بين فيصل واقطاب الاتحاديين ، لانهم كانوا بحاجة ماسة اليه في ظروف الحرب العالمية الاولى ، وبهذا الصدد يقول علي فؤاد باشا رئيس اركان حرب الجيش الرابع في مذكراته : " أن الامير فيصل ابلغ اقطاب الحكومة الاتحادية ، أنه على استعداد لأن يذهب على رأس قوة حجازية للاشتراك في

---

(1) شرف ، المصدر السابق ، ص٨٠ .

(2) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١٠٦ ، واعلن الامير فيصل بأن والداه لم تكن لديه أية سياسة انفصالية عن الدولة العثمانية ، انظر دي جرالدي غوري ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي (دار المثنى للطباعة والنشر ، بغداد ، ط١ ، ١٩٨٣) ، ص٤٨ .

(3) ارتأت حكومة الاتحاديين ان تكون قيادة الجيش الرابع ، الذي اعدته لدخول مصر في شباط ١٩١٥ من قبل رجل قوي يعرف كيف يصرف الامور وان يكون اداة تنفيذ لارادتهم وبالقضاء على الحركة العربية ، وكان قائد الجيش آنذاك زكي باشا الحلبي فعزله الاتحاديون ونصبوا مكانه جمال باشا ، الذي اقسم يمين الولاء لهم لتنفيذ كل ما يطلبونه منه . ولما تولى السفاح قيادة الجيش الرابع في سوريا منحه الاتحاديون صلاحيات مدنية وعسكرية واسعة ، نفذ خلالها العديد من احكام الاعدامات والسجون ونفي العوائل ، للتفاصيل انظر شكيب ارسلان سير ذاتية (بيروت ، ١٩٦٩) ، ص ص١٣٤-١٣٦ .

حملة القناة الثانية ، وانه حادث انور باشا بشأن رجال العرب المتعلقين في عاليه طالباً اطلاق سراحهم والعفو عنهم فوعوده خيراً كما حمل على سياسة جمال باشا الشديدة ووصفها بأنها السياسة المعادية للعرب ، وأنه ليس في امكان العرب السكوت عنها "[١].

وأخيراً استقر رأي الحكومة في الاستانة على تسوية الازمة الناشئة بين الحجاز والدولة بنقل الوالي وهيب باشا من الحجاز (عين قائداً للجيش الثاني في استنبول)[٢] ، وتعيين اللواء غالب باشا مكانه ، وزوده بتعليمات تقضي بأن يحرص على انشاء علاقات طيبة مع الشريف حسين وانجاله وان يوجد جواً من الثقة والتفاهم والود[٣].

وفي الوقت نفسه كان رجال الحكم في الاستانة حريصين على افهام (الامير) فيصل بأن مفتاح الموقف انما يكمن في يد والده ، فاذا اقدم الشريف حسين على أعلان الجهاد الديني ضد الحلفاء فأن مركزه سيزداد رسوخاً في الحجاز ، وستجد مطالبة استجابة في اقليم الحجاز ويكون الحكم وراثياً في اصلاب الشريف حسين "[٤] ويستطيع حينئذ أن يطمئن الى أنه سينال كل ما يرضيه[٥] .

وكتب الصدر الاعظم ووزيري الحربية والداخلية رسائل الى الحسين يلحون عليه في اعلان الجهاد ويعدانه خيراً بأجابة مطالبه . وكانت رسالة انور باشا وزير

---

[١] قدري ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

[٢] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١٠٥ .

[٣] ومن الجدير بالذكر ان نهاية هذا القائد كانت أن أحيل الى المحاكم المختصة فصدر بحقه القرار الآتي " صدرت ارادة بمحاكمة وهيب باشا الارناؤوط ، قائد جيش الشرق في محكمة عرفية مؤلفة من رؤساء الضباط بتهمة استعمال الوسائط النقلية المختصة بالجيش لنقليات خصوصية وتبطيله بسبب ذلك اعاشة الجيش ، أنظر جريدة القبلة ، العدد ٣٠٠ ، الاثنين ١٣ شوال ١٣٣٧هـ .

[٤] الصواف ، المصدر السابق ، ص ص٢٠٦-٢٠٧ .

[٥] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ .

الحربية المؤرخة في اليوم الثامن من شهر أيـار سنة ١٩١٥ ، اكثر الرسائل مبالغة واشدها تفاؤلاً . فقد تكلم باسهاب عن معركة الدردنيل ، وغالى في أهمية الانتصارات العسكرية التي احرزتها القوات الالمانية في الجبهة الفرنسية ، وأكد على قيمة المظهر الديني لهذه الحرب ، وأهاب بالحسين أن يـؤازر هـذا المظهر بأعلانـه الجهـاد الدينـي ضد الحلفاء[١].

وخلاصة القوال أن (الامير) فيصل قد نجح في مهمتـه الـى حـد بعيد اذ اقتنـع الاتحاديون بضرورة التعاون مع الشريف حسين ، وقدموا لفيصل هدايا ثمينة وخمسـة آلاف جنيه ذهب لينفق منها على المتطوعين الحجازيين الذين سيشتركون فـي الحملـة الثانية على قناة السويس[٢].

وفي أواخر أيار عام ١٩١٥ عاد (الامير) فيصل الى دمشق فاستقبله جمال باشا واحتفى به بناءً على تعليمات حكومته ، ثم مضى معه الى القدس للضيافة ، وقد أعلـن (الامير) فيصل لجمال باشا ولاءه وولاء عائلته للدولـة العثمانيـة ووعـده بـالعودة الـى دمشق على رأس (١٥٠٠) متطـوع[٣] . ويبدو أن هـذا العـدد جـاء أثـر طلـب جمـال باشا من الشريف حسين فبعد طول المخابرة ، معه طلبت اليه ارسال زهاء ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ متطوع بقيادة احد أنجاله للمذاكرة معه لاجل الهجوم علـى القنـال " ، ويشـير جمال بأن الامير فيصل وصل الى مقر القيادة فتذاكرت معه في هذه الشـؤون ، وبعد مفاوضات طويلة " أقسم بروح جده الاكبر وبتراب ضم جسده الشريف أنـه علـى أثـر

---

(١) الصـواف ، المصـدر السـابق ، ص٢٠٧ ، انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٢ ، طـلاس المصدر السابق ، ص١٢١ .

(٢) تبرع الامـير فيصل عند عودتـه الى دمشق بـألف ليرة منهـا لصندوق العربيـة الفتـاة ، وظـن الاتحاديون أثناء الازمة أن الامير عبدالله هو الذي يحرض اباه ضدهم ، فعرضـوا عليـه وزارة الاوقاف ثم ولاية اليمن ولكنه رفض العرضين . للتفاصيل انظر موسى ، الحركة ، ص١٣٠ .

(٣) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٣٤ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١٠٧ .

وصوله الى والده في مكة المكرمة يجمع الجيوش ويأتي به وتمنى أن يموت شهيداً عند القتال وقت الهجوم(١) .

وفي ٢٠ حزيران ١٩١٥ ، وصل (الامير) فيصل الى مكة المكرمة وبوصوله قدم لوالده تقريراً عن رحلته بما في ذلك قناعته التي تبرر القيام بالحركة(٢) ، وفي الوقت نفسه كثّف جمال باشا مفاوضاته مع الشريف حسين بالتلغراف ليبين له ضرورة القيام فيما وعد به نجله (الامير فيصل) حتى يظهر للجميع أن الحجازيين مشتركون في هذه الحركة(٣) . وقد تدارس الحسين مع أبنائه جوانب الموضوع في اجتماع عقده بالطائف للتعرف على آرائهم ، بدا فيه فيصل رغم قناعته بالحركة ، أكثر تأنياً من أخيه عبدالله ، اذ رأي عدم الاقدام على الحركة ما لم تتم المفاوضات مع بريطانيا ، أو عند تعرض الدولة العثمانية لانتكاسة قوية أو لحين انزال قوات من الحلفاء في الاسكندرونة(٤). بينما أكد (الامير) عبدالله ضرورة الاسراع في تنفيذ المشروع واتهم فيصل بالتلكوء ونتيجة الحرب لديه واحدة وسيبقون

---

(١) مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الاولى في الحجاز ، الثورة العربية على الدولة العثمانية ، تعريب محي الدين ميداني ، بيروت ، ١٩٣٥ ، ص٥ ، وسنرمز له ميداني من الآن فصاعداً . ويقول جمال باشا في كتابه الذي نشره بعد الحرب والذي اسماه " مذكرات سياسي تركي " بأنه لو كان يعرف ما كان يخبأه العرب من الانتفاض على العثمانيين في ذلك الحين لكان قبض على فيصل في دمشق ، وارسل فرقة للقبض على والده في مكة ولكان قضى على الثورة في مهدها ، انظر ارسكين ، المصدر السابق ، ص٤٥ .

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ ، جمال ، المصدر السابق ، ص٢٣٤ .

(٣) ميداني ، المصدر السابق ، ص٦ .

(٤) وكان مشروع الانزال في الاسكندرونة يرجع في اساسه الى اللورد كتشنر الذي كان يرجح فتح جبهة ثانية في الشرق ضد الالمان ، وحددها في الاسكندرونة لفصل الاناضول عن بلاد العرب ، لكن فرنسا عارضت المشروع لافتقارها الى القوات الكافية للمشاركة فيه ، وخشية على مصالحها في سوريا اذا ما قامت بذلك القوات البريطانية ، انظر موسى ، الحركة ص٢٨٧ .

تحت حكم المنتصر ، ورغم هذا الخلاف فقد اتخذ والدهم الشريف حسين ، ومع اقراره الثورة ضمنياً ، موقفاً وسطاً فارتأى ارسال نجله فيصل الى سوريا ابعاداً للشك خصوصاً وأن الاخير قد وعد جمال بالعودة على رأس المتطوعين كما تقدم[1] .

وابرق الشريف حسين برقية الى جمال باشا ضمنها ذلك ، واشار " كيف استطيع توزيع الخمسة آلاف ليرة بالعملة الورق التي نزلت قيمتها الآن الى ربع القيمة الرسمية ، على ١٥٠٠ مجاهد ؟ فكم سيبقى واحدهم معه من المبلغ الذي سيستلمه وكم يترك لعائلته " ، وكان جمال قد أنبأ الشريف في برقيته أنه سيتولى قيادة الجيش الرابع في ظل علم الخلافة المقدس للهجوم مرة ثانية على الانجليز في مصر ، وأن قوات المانيا والنمسا سوف تشترك في الجهاد ، فرد عليه الشريف بعبارة ذات مغزى قائلاً " أن وصول القوات النمسوية والالمانية سيفتح فصلاً جديداً في تاريخ الاسلام ذلك أن الشريف لم يستطع أن يفهم كيف يمكن تسمية اشتراك الجنود المسيحين في الحرب جهاداً ؟ "[2].

ارسل الشريف حسين نجله فيصل على رأس جماعة من اشراف الحجاز بلغت خمسين رجلاً بصفتهم طلائع لحملة المتطوعة الحجازية ، وفور وصولهم دمشق استقبلوا استقبالاً باهراً ، واتخذ فيصل دار جمال باشا للعمل على تجهيز القوات المتطوعة التي يفترض مشاركتها في حملة القناة الثانية[3].

---

[1] كما عمد الشريف حسين الى فتح المفاوضات مع بريطانيا لضمان خطواته القادمة مع تنفيذ المشروع ، ومن هنا جاءت رسالته الاولى الى السير مكماهون في تموز ١٩١٥ . فكانت تلك فاتحة المراسلات المعروفة بمراسلات حسين – مكماهون ، انظر موسى ، المراسلات ، وثيقة رقم ٢٠ وما بعدها ، انطونيوس ، المصدر السابق ، الملحق ص٥٧١ .

[2] حول برقية الشريف حسين الى جمال باشا ، انظر احمد عزت الاعظمي ، القضية العربية اسبابهامقدماتها تطوراتها ونتائجها (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٣٤ ، ج٦ ، ص٨٣ ، موسى الحركة ، ص٢٦٦ ، القبلة ، العدد ١٨٨ بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩١٧ .

[3] جمال ، المصدر السابق ، ص١٣٥ ، الغصين ، المصدر السابق ، ص ص٥-٦ ، الاعظمي المصدر السابق ، ج٦ ، ص٨٣ .

لا شك أن الشريف حسين كان صائباً في استجابته لدعوة جمال باشا ولم يكن ذلك تلبية لتأكيدات الاخير فحسب ، وانما قصد منها ، على ما يبدو ، التمويه على الاتحاديين ليثبت لهم حرصه على تنفيذ اهداف الدولة العثمانية وليحد من شكوكهم نحوه ، ريثما ينتهي من المفاوضات بينه وبين الانجليز ، وربما تكون استجابته للحيلولة دون تعرض الحركة العربية الى الخطر ، بينما يواصل هو استعداداته بحرية أكبر . اذ نلاحظ بأنه بعث بنجله (الامير) علي الى المدينة لحشد القبائل والتشاور معهم بأمر الثورة ، فضلاً عن مراقبته لتحركات الوالي العثماني ، بينما لازم عبدالله والده طيله الستة الاشهر التي استغرقتها المراسلات مع مكماهون اذ كان يعمل لتنظيم قبائل الطائف ومكة لاستخدامها عند الضرورة ، لكن تطور الاحداث في سوريا جاء مخيباً لآمال الشريف حسين بسبب السياسة القمعية التي اتبعها حمال باشا ضد العاملين في القضية العربية ، واعدامه العديد منهم[1] ، فضلاً عن تشتيته للقطعات العسكرية العربية المرابطة في سوريا ، التي كانت محط الاعتماد لتنفيذ الحركة لما كانت تضمه من اعضاء جمعية العهد ، واحلاله القوات العثمانية بدلها بالاضافة الى ترحيله العديد

---

[1] في ٢١ آب ١٩١٥ ، اقدم جمال باشا على اعدام الوجبة الاولى من القوميين العرب ، اثناء وجود فيصل في مكة المكرمة بعدعودته من الاستانة ، اذ لم يدر جمال كيف يبرر خذلانه في مهاجمة قناة السويس واخذ يبحث عن وسيلة يغطي بها فشله ، فلم يجد خيراً من الصاق التهم باحرار العرب واتهامهم بالتعاون مع " الاعداء " ، فيصيب عصفورين بحجر واحد ، ولذا فقد اعتقل في أواخر شهر حزيران سنة ١٩١٥ نخبة من رجال سوريا العاملين في حقل الاصلاح والساعين في سبيل النهضة وايقافهم امام المجلس العسكري (ديوان الحرب العرفي) الذي تشكل في (عاليه) بجبل لبنان ، حيث دار التحقيق السري معهم حول اعمالهم التي قيل انها تسبب خطراً على الامن العام . واصابت الدهشة الناس عندما اعلن أن هؤلاء المعتقلين قد علقوا على المشانق في بيروت صباح ٢١ آب ١٩١٥ وهم : عبدالكريم الخليل ، صالح حيدر ، مسلم عابدين ، نايف تللو ، محمد المحمصاني ، محمود المحمصاني ، عبدالقادر الخرسا ، محمود العجم ، سليم عبدالهادي ، نورالدين القاضي ، علي الارمنازي ، للتفاصيل انظر موسى الحسين ، ص٦٤ ، انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٧٨ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١٩٢

من وجوه ورجالات الشام الى الخارج ، ومن هنا اصبح الحجاز مكاناً لاعلان الثورة بدلاً من سوريا التي لم يبق فيها سوى بعض القادة الثانويين ، ولعل هذا ما يتضح من خلال التقارير التي كان يبعثها فيصل لوالده عن اضطراب الأمن في سوريا[1] .

---

[1] موسى ، الحركة ، ص ص١٩٢-١٩٣ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص٦٢ .

٤- الحسين بين الضغوط العثمانية والمطالب الوطنية :

أعتقل جمال باشا في عام ١٩١٦ وجبة جديدة من الاحرار العرب في عاليه وهم : شفيق المؤيد والامير عمر الجزائري ورفيق رزاق سلوم وعمر حمد وعبدالغني العريسي وعارف الشهابي وتوفيق البساط وسيف الدين الخطيب والشيخ احمد طباره وسليم الجزائري وجلال البخاري وشكري العسلي وعبدالوهاب الانجليزي وسعيد عقل وباترو باولي وجرجي الخدا وأمين لطفي ومحمد الشنطي وعبدالحميد الزهاروي وعلي عمر النشاشيبي ورشدي الشمعة [١] ، وحاول الامير فيصل الذي كان يومذاك في سوريا ، ما استطاع مع جمال باشا ولكنه لم يجد منه قبولاً ، فاضطر الى أن يبلغ والده بالامر [٢] . وكان انور باشا قد ارسل في اول آذار ١٩١٦ برقية الى الشريف حسين يكرر فيها الطلب باعلان الجهاد المقدس في بلاد الاسلام من مكة باسم الخليفة السلطان محمد رشاد الخامس على روسيا وبريطانيا وفرنسا [٣] .

ولكن الشريف حسين لم ير بداً من استغلال دعوة انور باشا له باعلان الجهاد وذلك بطرحه مطاليبه شرطاً اساسياً مقابل تأييده لهذه الدعوة ، وذلك بارساله برقية جوابيه معنونة الى الصدر الاعظم والى وكيل القائد العام انور باشا في ١٦ آذار ١٩١٦ ، قال فيها أن انتصار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الاولى التي تخوضها يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية ولا سيما العرب في هذه الحرب ، واسهامهم فيها قلباً وقالباً الى جانب الدولة ، كما اشار في ذات البرقية الى

---

[١] موسى ، الحسين ، ص ص٩٦-٧٠ ، قدري ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

[٢] مصطفى ، لورنس ، ص١١٩ ، زين ، اسباب ، ص٦٢ ، علاء جاسم محمد ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣-١٩٣٣ ، مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ط١ ، ١٩٩٠ ، ص٢٤ .

[٣] حول برقية انور باشا للشريف حسين ، انظر ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٣٦ الاعظمي ، المصدر السابق ، ص٨٣ ، موسى ، الحسين ، ص٦٥ ، موسى ، الحركة ص١٩٢ ، موسى ، الحرب ، ص٣٢٨ .

الموقع العسكري الهام للبلاد العربية . ومضى الشريف يقول " ويلوح لي أن ارضاء الشعب العربي ، يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه ، بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم امام المحاكم العسكرية ، بالدواء الآتي :-

١- اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .
٢- انالة سورية ما تطلبه من نظام لا مركزي ، وكذلك العراق[١] .
٣- جعل امارة مكة وراثية في أسرة الحسين ، واعتبار الشرافة معترفاً لها بحق الموروث والمتفق عليه من عهد السلطان سليم الاول .

واختتم الشريف حسين برقيته بهذه العبارة : " فاذا قبلت هذه المطالب فأتعهد بحشد القبائل العربية للجهاد ، بقيادة ابنائي في ميداني العراق وفلسطين . كما أنه على الدولة التأثير على أبن الرشيد لينضم الى الجهاد . واذا لم تقبل هذه المطالب . فأرجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت نصحت بأن لا تثار ولا تشق . وسأكتفي بالدعاء للدولة بالنصر والظفر "[٢] ، ويقول انه بسبب السياسة التي اتبعتها

---

[١] لم ترد كلمة العراق في سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١١ ، سعيد ، ثورات ، ص٤٣ ، سعيد اسرار ، ص ص٥١-٥٢ ، فريحات ، الثورة ، ص٩٤ ، سهيلة الريماوي ، جمعية العربية الفتاة السرية ، دراسة وثائقية ١٩٠٩-١٩١٨ ، (دار مجدلاوي للنشر والاعلان ، عمان ، الاردن ١٩٨٨) ، ص٢٧٧ . ويبدو أن سهيلة قد اعتمدت على سعيد ، اسرار ، ص ص٥١-٥٢ ، في عدم اشارتها الى كلمة العراق ، وأن اشارتها بأن الشريف قد أرسل البرقية الى انور باشا ولم تذكر الصدر الاعظم ، ولكن لم نعرف من أين جاءت بتاريخ البرقية وهو (٣٠ آذار عام ١٩١٦) في حين أن التاريخ هو ١٦ آذار عام ١٩١٦ ، كما اشار اليه موسى ، الحركة ، ص١٩٤ ، موسى ، الحسين ، ص٦٥ ، موسى ، الحرب ، ص٣٠٩ . الذي اشار في كتبه الى كلمة العراق أيضاً والتي وردت في عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص١١١ .

[٢] حول نص برقية الشريف حسين الى الصدر الاعظم وانور باشا ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص١١١ ، ومؤلفات أمين سعيد ، الثورة ج١ ، ص ص١١٠-١١١ ، ثورات ص٢٣ ، اسرار ، ص٥١-٥٢ ، موسى ، الحركة ، ص ص ١٩٤-١٩٥ ، محمد صبيح =

معه الحكومة ، يجد نفسه مضطراً الى قطع العلاقات حتى تجاب المطالب التي طلبها قبل شهرين[1].

لا شك أن برقية الشريف الاخيرة تنطوي على عدة أمور جديرة بالاهتمام ، فقد تمثلت فيها شجاعته واخلاصه في مصارحة قادت الدولة العثمانية علناً بما يدور في نفوس العرب من آلام وأمال ، وجرأته اذ انه لم يأبه بالخطر على حياته وحياة أسرته. اذ كان من المحتمل أن يعمد الاتحاديون الى اعتقال نجله علي في المدينة ، ونجله فيصل في دمشق وان يصدروا الامر لقواتهم العسكرية في مكة بالقاء القبض عليه وعلى نجليه الآخرين عبدالله وزيد . لقد ارسل الشريف برقيته باسم العرب وطلب مطاليب تتعلق بالعرب في سوريا الطبيعية والعراق ، ولم يكن مستبعداً أن يتخذ الاتحاديون من تلك البرقية دليلاً على نزعته الثورية فيعتقلوه ويعزلوه ويعتقلوا ابناءه وينكلوا بهم . اما شهامة الشريف وكبرياؤه فتتمثل في أنه لم يرغب أن يلجأ الى الثورة دون أن يستنفذ جميع الوسائل والاساليب لمصارحة الاتحاديين بحقيقة مطامح العرب ومشاعرهم القومية[2].

وللحقيقة لا بد أن نؤكد بأن الشريف حسين ، ومع أنه كان يهدف الىتحقيق مطالبه بالدرجة الاساس ، فأن وطنيته حتمت عليه طلب العفو عن المتهمين السياسيين من الزعماء العرب ، ومن ثم نظام لا مركزي في سوريا والعراق ، يضعه في مقدمة مطالبه ، وبعدها عرج الى هدفه الشخصي في جعل امارة مكة وراثية في عائلته متمتعة بالحقوق والامتيازات القديمة كافة .

لا شك أن برقية الشريف تركت بصمات مؤلمة في نفس انور باشا وحتى في نفس الصدر الاعظم ، لكنهما ، على ما يبدو لا يبغيان الصدام مع الشريف في هذا

- فيصل الاول (دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، د.ت) ، ص٣٨ ، مصطفى ، لورنس ص١٢٠ ، ميداني ، المصدر السابق ، ص٦ .

[1] موسى ، الحركة ، ص٢٨٠ ، منسي ، حركة ، ص٢٩٩ .

[2] موسى ، الحرب ، ص٣٦ .

الظرف ، لان أمامهم مهمة كبرى هي اعلان الجهاد المقدس الذي يفتي بـه أمـير مكـة المكرمة الشريف حسين[1] ، وكان من الطبيعي أن يكون رد الصدر الاعظم وانور باشا في برقيتهم الى الشريف رداً ينطوي على التهديد اذ رفضوا في برقيتهم رفضاً باتاً مطالب الشريف الثلاثة ، وقالوا انها خارجة عن اختصاص الشريف ، وأن الاصرار على المطالبة أمر ليس من مصلحة الشريف ، وكان مما جاء في البرقية الجوابية ما يأتي : " ولما كان طلب اعلان العفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سورية واستبقاء امارة مكة المكرمة في شخصكم السامي وفي اولادكم ، خارجاً عن اختصاص سيادتكم ، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء . واننا نبلغكم ، انه لا بد أن ينال الموقوفون[2] عقابهم . كما أن حقوق سيادة ملجأ الخلافة ستبقى في الحجاز على ما كانت عليه قبلاً ، وكما هي في جميع الممالك الشاهانية ، ونلح عليكم بأن تستدعوا ولدكم علي الموجود في المدينة الى مكة فوراً وترسلوا المجاهدين الذين وعدتم بارسالهم الى دمشق ، ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل بك . وبديهي أنه سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب . وأن لم تنفذوا هذه فالنتيجة بحقكم لا تكن مسرة "[3].

والدراسة التحليلية لهذه البرقية توضح لنا عدة مسائل : فقد انتهج انور باشا اسلوباً تميز بالوضوح والحزم الذي يصل الى حد العنف ، واصدر نصائح وتعليمات للشريف في صورة اوامر واجبة التنفيذ . كما تدل البرقية على أن حكومة الاستانة قد وقفت على نشاط (الامير) علي بن الشريف حسين في المدينة المنورة ضد

---

[1] قلعجي ، المصدر السابق ، ص ص١٧٨-١٨٠ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٣٧٧ موسى ، وثائق ، ص٥٢ .

[2] أي المعتقلون .

[3] عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص١١٢ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١١ ، صبيح ، المصدر السابق ، ص٣٩ ، الامير مصطفى الشهابي ، محاضرات في الاستعمار ، (معهد الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٧) ، ج٢ ، ص٥٩ ، صبيح ، فيصل الاول ، ص٧٥ .

العثمانيين ، ومن ثم طلب انور باشا ابعاده من المدينة المنورة الى مكة المكرمة كما طلبت ارسال المجاهدين الذين وعد فيصل وأبيه ارسالهم الى دمشق للاشتراك في حملة القناة الثانية وعددهم ١٥٠٠ مجاهد ، ويتبين انهم احتجزوا فيصل في دمشق كما جاء في مذكرات أخيه عبدالله قولهم " وعليه فسوف لا ترون نجلكم فيصل بك مرة أخرى قبل أن تبعثوا بالمجاهدين الى الجبهة كما وعدتم وان لم تنفذوا هذا فكما قلنا فالنتيجة بحقكم لا تكون خيرية "[١].

وعند وصول هذه البرقية الى الحسين واطلاعه عليها . قال أيهددني ؟ ثم أبرق على الفور برقية الى الصدر الاعظم وأنور باشا بما يلي : " ليس لي ما أقول سوى النصيحة الاخيرة في برقيتي وبها ضمان انحياز العرب الى صفوفكم بقلوبهم . أما ابني فيصل فلم أبعثه اليكم وانا اعتقد أني أراه مرة أخرى ، فافعلوا ما شئتم "[٢].

وبعد يومين وردت برقية من الصدر الاعظم نصها : " بعد التأمل رأينا شكر سيادتكم على اجوبتكم . فاذا بعثتم بالمجاهدين الى الشام فقد اشعرنا جمال باشا ليذاكر نجلكم الشريف فيصل بك فيما يتعلق بالمجرمين السياسيين "[٣] .

وكان جواب الشريف حسين : " انني ممتن على تلطفكم بالجواب . اما المجاهدون فقد اصروا على عدم السفر إلا اذا حضر فيصل ليأخذهم ، فأن كانت الرغبة حقيقية فابعثوا به ليستصحبهم "[٤].

وجاء رد الصدر الاعظم على الفور بما يلي : " سيتوجه الشريف فيصل بك الى المدينة ليستصحب المجاهدين ويعود بهم الى الشام . وانا لنرجو أن تسترجعوا

---

[١] حول نص برقية أنور باشا للشريف حسين ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص١١٢ .

[٢] حول نص برقية الشريف للصدر الاعظم وانور باشا . انظر المصدر نفسه ، ص١١٢ ، سعيد الثورة ، ج١ ، ص١١١ .

[٣] حول نص برقية الصدر الاعظم الى الشريف حسين ، انظر المصدر نفسه ، ص١١٢ ، موسى الحركة ، ص١٩٥ .

[٤] حول نص برقية الشريف حسين للصدر الاعظم ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص١١٢ .

نجلكم الشريف علي بك من المدينة المنورة الى مكة المكرمة لعدم امتزاجه مع المحافظ "[١] .

فأجابه الشريف على الفور بأنه : " عند وصول الشريف فيصل بك سيترك الشريف علي بك المدينة المنورة "[٢] .

وهكذا نلحظ أن الشريف حسين قد أغفل في برقياته ذكر المطالب الثلاث وجعلها مقصورة على ثلاث مسائل ، الاولى : حول ابنة فيصل الذي ادرك بأنه محتجز في دمشق فقال أنه أرسله الى دمشق اعتماداً على شرف الدولة ، وتظاهر بأنه لا يرجو عودته اليه في مكة في ذلك الوقت ، اما المسألة الثانية : فكانت خاصة بارسال قوات عسكرية من الحجاز الى دمشق لتتضم الى الجيش الرابع في دمشق في زحفه المرتقب على قناة السويس ، وقد ربط الشريف حسين في دهاء بالغ بين أبنه فيصل وبين هذه المسألة ، فقال في برقيته أن ارسال المتطوعين الى دمشق يتوقف على وصول فيصل الى المدينة المنورة ورؤية الافراد المتطوعين لفيصل ، أما المسألة الثالثة والاخيرة : فكانت خاصة بأبنه علي فقال انه سيدعوه الى الحضور الى مكة المكرمة قريباً ، وهذا هو النص الحرفي لبرقية الشريف حسين التي أملى الامير عبدالله نصوصها على أمين سعيد باللغة التركية وترجمها الاخير الى العربية والتي جاء فيها " لقد ارسلت نجلي فيصلاً الى دمشق اعتماداً على شرف الدولة ولست ارجو أن يعود ألي الآن ، على أن سوق المتطوعة الى دمشق يتوقف على وصوله الى المدينة المنورة ورؤية هؤلاء له . وسيدعى نجلي علي الى مكة قريباً"[٣] .

---

[١] حول نص برقية الصدر الاعظم للشريف حسين ، انظر المصدر نفسه ، ص١١٣ .

[٢] حول نص برقية الشريف حسين للصدر الاعظم ، انظر المصدر نفسه ، ص١١٣ .

[٣] حول نص برقية الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، انظر سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١١ الصواف ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ .

ولم يكن جمال باشا الحاكم بأمره في سوريا بعيداً عن مجرى الاحداث اذ ارسل انور باشا نص برقية الشريف حسين الى جمال باشا نفهم منها هذا الجانب التهديدي ونخصها بما يلي : " اذا كنت حقاً ترغب في التزامي جانب الهدوء والسكينة فينبغي الاعتراف باستقلالي في سائر الحجاز من تبوك الى مكة ، وجعلي أميراً وراثياً فيه . كما ينبغي ايضاً العدول عن محاكمة العرب المتهمين ، واعلان العفو العام في سوريا والعراق "[1].

ولا شك أن هذه البرقية الواردة في مذكرات جمال باشا ، على ما نعتقد ، على غاية كبيرة من الخطورة ، ومن المؤسف له حقاً أننا لاحظنا أن معظم من كتب عن حياة الشريف حسين قد اشار الى هذه البرقية ، وكأنها برقية صادرة من الشريف حسين الى انور باشا ، مع اشارتهم الى البرقية ذاتها والتي وردت في مذكرات الامير عبدالله[2] ، اذ انها تختلف عنها تماماً فأن البرقية الواردة في مذكرات جمال باشا لم يرد فيها ذكر لمطلب الحسين الثاني وهو : " انالة سورية ما تطلبه من نظام لا

---

(1) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٣٦ .

(2) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص١١١-١١٢ ، موسى ، الحركة ، ص ص١٩٤-١٩٧ الصواف ، المصدر السابق ، ص ص٢٤٥-٢٤٨ ، ناصيف ، ج١ ، ص ص٤٠-٤١ ، سعيد ثورات ، ص ص٤٣-٤٤ ، موسى ، الحسين ، ص ص٦٥-٦٧ ، الريحاوي ، المصدر السابق ، ص ص٧٧ ، الاعظمي ، القضية ، ج٦ ، ص ٨٨ ، محمد ، الملك فيصل الاول ، ص٢٥ فريحات ، المصدر السابق ، ص٩٤ ، سعيد ، اسرار ، ص٥٢ ، الشهابي ، القضية ص١١٥ ، العمري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٠٣ ، والانكى من ذلك أن هؤلاء الباحثين يشيرون الى نص حديث جمال مع فيصل الذي يشير بأن جمال باشا قد اطلع فيصل على هذه البرقية لمعرفة رأيه وذلك ما يشير اليها جمال باشا في مذكراته بقوله " ثم اطلعته على برقية والده الى انور باشا ، فاضطرب واظهر تألمه وأسفه ، وقال (أن فيصل) أن ما وقع ليس سوى سوء تفاهم فوالدي لا يقصد شيئاً ضاراً ، ولست تجهل أنه لا يجيد اللغة التركية ، ويلوح لي أن هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فحرفها " . انظر جمال المصدر السابق ، ص١١٢ ، والتي سترد في الصفحة اللاحقة .

مركزي ، وكذلك العراق " ، بل انها توضح مطالبة الحسين اولا بجعل حكم الحجاز وراثيا في اسرته ومن ثم اعلان ان هذه البرقية ابعد الى الحقيقة من البرقية التي وردت في مذكرات الامير عبدالله ، لانها جسدت الخبث الاتحادي المتمثل بانور باشا وجمال باشا ، الذين لا نستبعد ، بل نؤكد ، تلاعبهما في نص البرقية ، ليصيبوا جانبا من اخلاق امير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي ، باعطائهم الصدارة للمطلب الشخصي العائلي على المطلبين الآخرين .

ويذكر جمال باشا في مذكراته ، انه استدعى الامير فيصل ، وكان مقيما في دمشق مقر قيادة الجيش الرابع ، وتمت المقابلة بينهما ، وحضرها علي فؤاد بك رئيس اركان الجيش الرابع ليكون شاهدا على الحديث ، وقال لفيصل :

" لما سمعت حين رجوعي من المدينة بان اخاك عليا يتدخل في شؤون الحكومة ويدعي لنفسه حقوقا ليست له أبلغت المحافظ ان يطلب اليه الكف عن هذه الاعمال لاعتقادي انه لم يقدم عليها الا لحداثة سنه وقلة تجاربه . وابلغت والدك ان يكفه ، وقلت لك في محادثاتنا انني ابذل ما في وسعي للمحافظة على منصب والدك ، وقد ابلغته ذلك شخصيا كما اخبرك ، فكتب اليّ معربا عن عظيم شكره وامتنانه ، ولا اظنك تجهل ان لابيك خصوما لا يستهان بهم من ابناء عمومته في الاستانه ، وهم يعملون لأيغار صدر الحكومة عليه ، فخير لكم وابقى الاقلاع عن الاتيان باي عمل يكون حجة لخصومكم ثم اطلعته على برقية والدة الى انور باشا ، فاضطرب واظهر تألمه وأسفه وقال ان ما وقع ليس سوى سوء تفاهم فوالدي لا يقصد شيئاً ضاراً ، ويلوح لي ان هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فحرفها ، ثم وعد ان يكتب الى ابيه في الحال يسأله العدول عن مطالبة "[١].

---

[١] للتفاصيل انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص٢٣٦-٢٣٧ ، فيضي ، المصدر السابق ص٢٣١ .

بعد هذه المحادثة ارسل جمال باشا برقيــة مطولـة الـى الشـريف حسـين جـا
فيها :

" لقد نمى إليّ خبر برقيتكم الى انور باشا فأنتم تطلبون أن تكون الامـارة وراثية في اسرتكم ، وأن يمنح اشخاص عديدون العفو الشـاهاني بعـد أن قامت البراهين على خيانتهم للوطـن والامـة ، وليـس بالمسـتطاع اجابـة الطلب الثاني لئلا يؤدي ذلك الـى ضـرر شـديد ، فـي مسـألة لهـا ارتبـاط وثيق بالمصلحة العامة . كما أن الحكومة التي تعفو عن الخونـة ، جديـرة بأن يتهمها الجمهـور بالضعـف . بل قد يغري ذلك العفو كثيراً من الناس بالخيانة وطعن الدولة والملة طعنة نجلاء . لو عرفت محتويات الوثـائق التي ظهرت في المحكمة لرأيت أي حد من الخيانة وصلوا اليه " .

أما فيما يختص بمسـألة جعل الامـارة وراثيـة فـي اسـرتك . فأنـه يخيـل لـي - واظنك تساحمني في هذا الـرأي – أن الفرصـة ليسـت مناسـبة للمطالبـة بذلـك الطلـب واحسبكم توافقون بأن الاعراب عن مثل هذه الرغبات ونحن في ابان الحـرب – حيـث تتعرض كل القوى الانسانية العقليـة والبدنيـة لاشـد العنـاء والتعـب مـن شـخص يتبـو مركز الشرافة ، وفي أهم بقعة من بقاع الدولة العثمانية – هي أكثر تعرضـاً للاخطـار من سواها – لا بد أن يكون له أسوأ الاثر في نفوس الجمهور . والذي اعتقده أنـه مـ كان ينبغي لكم أن تطلبوا مثل هذا الطلب حتى لو كان لكم الحق في طلبه . لأن جهو الامـة بأسـرها يـنبغي أن تحشـد اليوم ، لغـرض واحـد ، لا ثـاني لـه ، وهـو احـراز النصــر النهائي " . كما جاء في البرقية ايضاً " أرى مـن الواجـب ، أن الفـت نظرك الى الوجهة التالية من وجهات النظر ذاتهـا للمسـألة . وهـي أنـه لـو فرضنـا جدلاً أ الدولة لبت طلبك ، لمجـرد الرغبـة فـي الحصـول علـى مصـادقتك فـي هـذه الاوقـات العصيبة التي نقطعها ، فماذا يمنعها من أن تعاملك بالشدة والقسـوة فيمـا لـو انتصـرت في الحـرب ؟ وعلـى كـل الوجـوه فيجـب أن تعلـم أن الرجـال الذيـن اسسـوا الحكومـ الحاضرة ، والذيـن تجـرأوا علـى القيـام فـي وجـه السلطان عبدالحميد الـذي امضـى استبـــداده ، لن يصفحوا عمن يتجرأ على شلّ ايديهم فـي هـذه الحـرب التـي دخلوهـ

لمصلحة العالم الاسلامي . وهم في ذات الوقت لا يتأخرون في استحصال جزيل الانعام ، وعظيم المكافأة ، من جلالة الخليفة ، لكل من عمل ابتغاء مرضاة الله ولتحقيق غاياتنا المقدسة "[1].

ويستطرد جمال باشا في مذكراته عن الاحرار العرب ، محاولاً الصاق التهم الشنيعة بهم ، فيقول " وفيما كنا نتبادل تلك الرسائل (مع الحسين) كانت المحكمة العسكرية في عاليه اصدرت حكمها (بالاعدام على الرعيل الثاني من احرار العرب). فجاهد فيصل اشد جهاد للحصول على العفو عن (المحكوم عليهم) ، وكان يزورني كل يوم ويحول مجرى الكلام الى قضية العفو وسمعت أنه كان يعنف أعيان دمشق الذين يذهبون لزيارته لعدم سعيهم لأنقاذ مواطنيهم . ودعيت في ذات يوم للغداء معه في الكابون[2] ، وكان ذاك في اوائل شهر ابريل (نيسان) فدار الحديث حول موضوع العفو أيضاً فسألته هل عرفت تفاصيل ما فعله هؤلاء ؟ فقال كلا . فقلت لو عرفت التفاصيل لأسفت أشد الاسف على توسطك للحصول على عفو لهم "[3] .

وجاء رد الشريف حسين بعد ايام من البرقية التي ارسلها جمال باشا اليه ، ولم يخف الشريف ما كان لبرقية جمال باشا من أثر سيء في نفسه ، وكرر فيها طلبه اصدار العفو العام عن المعتقلين العرب ، وبرر صدوره لمصلحة الحكومة ، كما شكا

---

(1) للمزيد من التفاصيل حول برقية جمال باشا الى الشريف حسين ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص٢٣٧-٢٣٨ ، موسى ، الحسين ، ص ص٦٧-٦٩ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ص ص١١٢-١١٣ ، صبيح ، المصدر السابق ، ص٧٥ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ص ص٤١-٤٢ .

(2) القابون قصر آل البكري وقد دمره الفرنسيون اثناء الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥ بالديناميت ، انظر سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٣ .

(3) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .

الشريف في برقيته من حاكم المدينة بصرى باشا قائلاً : " أنه يأبى أن تسلب منه بلا مبرر حقوق منحه اياها الخليفة العثماني "(١) .

استدعى جمال فيصلاً مرة أخرى واطلعه على رد ابيه وانذره بحدة أنه اذا لم يكف عن تدخله فلا بد من استعمال القوة ضده . ثم قال : أنني لا استطيع ادراك القصد من تلك اللهجة التي استعملها ابوك في الايام الاخيرة ولا المسلك الذي سلكه اخوك في المدينة(٢) . لقد كانت علاقاتنا معك ودية هنا ، فبماذا يمكننا أن نفسر مسلك أخيك ؟ ففي الوقت الذي يجري فيه تجهيز ١٥٠٠ متطوع لحملة القناة والحكومة باذلة جهدها في امدادهم بالمال والرجال ولكن من جهة أخرى قد بدأت نزعات الانفصال من ناحية أبيك كل هذا في حين أن أخاك علي بك ينهج منهجاً يتفق ودعاوي أبيك . فاذا اردتم أن تظلوا اصدقائنا فعليكم مراعاة قوانين الصداقة اما اذا كنتم ذوي غايات أخرى ، فالاولى أن تلجأوا الى السلاح وتجنحوا الى ثورتكم في الحال وبذلك تنتهي تلك المهزلة ويصبح كل منا عدواً للاخر ظاهر العداوة . واذا كنتم لا تضمرون الشر فاكتب لاخيك علي ليحضر الى دمشق في الحال وليكف في المستقبل عن الاعتداء على سلطات المحافظ بصري باشا(٣) .

وحاول جمال باشا أن يبرر لهجته الحاسمة هذه بقوله : " لقد كان خطاب الشريف حسين الآخير إليّ ينطق بأنه اذا كان يتلمس ذريعة ما للقيام بالثورة وهذا هو

---

(١) حول برقية الشريف حسين الى جمال باشا ، انظر موسى ، الحركة ، ص١٩٨ ، موسى الحسين ، ص٦٩ .

(٢) كان الامير علي يجمع المتطوعين في الحجاز بحجة أنه سيقودها مع أخيه فيصل لمساعدة الجيش العثماني في حلة قناة السويس ، لكنه في الواقع كان يقودهم للثورة على الاتراك ورسائله مع والده تؤكد ذلك ، للتفاصيل ، انظر تحسين العسكري ، المصدر السابق ، ص١١٣ .

(٣) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٤ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ ، قدري ، المصدر السابق ، ص٨٤ .

الذي حدا بي أن استعمل في خطابي للشريف فيصل تلك اللهجة الصريحة الحاسمة[1] .

ولا شك أن جمال باشا كان يبغي من استقدام الامير علي الى دمشق حتى يقرنه الى أخيه الامير فيصل ، فيظلان رهينة لديه يمنعان أبيهما من الاتيان بأي حركة ضد الدولة العثمانية ، وكانت تلك الغاية من استقدام الامير فيصل من قبل[2] .

ويقول جمال باشا أن فيصلاً تأثر لهذه اللهجة الحاسمة وعلا وجهه الاصفرار وأجابه بما يلي : " عفواً يا صاحب السعادة ! كيف يخطر لك أن تعزو الينا امثال هذه التهم ؟ وكيف يمكن أن نكون خونه ونحن من الرعايا المخلصين للخليفة ؟ كن موقناً بأني سأسوي الخلاف القائم بين أخي والمحافظ بصري باشا ، وسأكلفه بالحضور ... [3] .

في مارس ١٩١٦ أرسل الامير فيصل برقية الى أخيه الامير علي يطلب فيها حضوره على رأس القوة التي جندها في المدينة للاشتراك مع الجيش العثماني في حملة القناة الثانية ، اذ كان الامير علي وقتئذ يجند المتطوعين متظاهراً بأنه يعدهم للحرب في صف دولته ، فما ان استلم الامير علي برقية أخيه تظاهر بالامتثال وعلى الفور أرسل برقية الى أخيه الامير فيصل في دمشق يطلب فيها عودته الى المدينة ليسير على رأسهم الى حيث تريد الدولة العثمانية ... وكان لهذه البرقية رنة

---

(١) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص١٤٣ .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٤ .

(٣) جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ ، اخذ الامير علي يتصرف في المدينة تصرفات ازعجت محافظها بصري باشا ، اذ ان الامير اخذ يفصل في قضايا الاهلين ويكثر الاتصالات بالقبائل مما اعتبره المحافظ تدخلاً في شؤون خارجة عن اختصاصه واختلف الامير والمحافظ ، فكتب يشكو الامير الى جمال باشا وابرق الاخير الى الشريف حسين يطلب منه أن يستدعي أبنه ، فرد الشريف قائلاً ، انه سوف يستدعي علي ، ولكن المجاهدين يصرون على قدوم فيصل الى المدينة كي يتولى قيادتهم " . انظر موسى ، الحركة ، ص٢٦٧ .

فرح لدى جمال باشا ، الذي وافق على ذهاب الامير فيصل الى المدينة لاستقبال المتطوعين[١].

ويصف جمال باشا ذلك بقوله : " جائني الشريف فيصل وأخبرني أن أخاه قد تلقى الاوامر من أبيه بالانضمام الى جيش سيناء وأنه هو (فيصل) نفسه يرغب - بعد استئذاني - في الذهاب الى المدينة ليجيء بأخيه الى القدس ، وأكد لي أن ذهابه سيؤثر في نفوس المجاهدين تأثيراً حسناً ولما كنت قد تعودت الخديعة من الشريف حسين واولاده أثرت أن أكون أنا الغالب ففكرت قليلاً ثم قلت : حسناً جداً لقد صرحت لك . فأغد الى المتطوعين في المدينة واستقبلهم بأسمي ثم ائتني بهم هنا . وسآمر مصلحة السكك الحديد بنقل الجنود وارسل معك ببعض العلماء في دمشق ليكونوا في ركابك وبذلك تستطيع أن تؤلف وفداً خاصاً لاستقبال المجاهدين "[٢].

وقد تالف هذا الوفد من الامير فيصل رئيساً ومن كاظم بك مفتش المنزل ووآصف بك المستشار العدلي للجيش الرابع ونسيب بك البكري والشيخ عبدالقادر الخطيب وقصدوا المدينة المنورة بالسكك الحديد في منتصف شهر مارس (أي بعد تنفيذ حكم الاعدام في الرعيل الثاني بنحو عشرة أيام) ، وفيصل يكاد يطير فرحاً وسروراً لانه أفلت من الحجز ونجى من قبضة الاتراك ، وقد استقبل استقبالاً باهراً حين وصوله المدينة المنورة ، حيث انضم الى أخيه واقام معه في منزله[٣].

ويبدو أن جمال باشا كان قلقاً جداً ، اذ لم يرتح له بال من سفر فيصل الى المدينة ، اذ يقول : " بعد أن غادرنا الشريف فيصل بصحبة رجال معينة رأيت من باب الاحتياط أن ارسل فخري باشا الى المدينة ... واخبرته بأنني متوقع أن يثور

---

[١] حول البرقيتين المتبادلتين بين الاخوين فيصل وعلي ، انظر محمد جميل بيهم ، سورية ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢ (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨) ، ص٣٣ .

[٢] جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

[٣] سعيد ، الثورة ن ج١ ، ص١١٥ .

الشريف حسين قريبا[1] ، ثم طلبت اليه ان يذهب الى المدينة بحجة زيارة الروضة الشريفة وان يرتب مع بصري باشا وسائل الدفاع اللازمة اذا احتاج الى ذلك ... واعطيت كلاً من بصري باشا وفخري باشا التعليمات السرية نفسها وهي تقتضي بأن يتسلم فخري باشا عند أول انذار بقيام الثورة قيادة اولاد الشريف ، وأن يقوم بصري باشا بأعباء الادارة الملكية ... واحتياطاً للطوارىء أمرت أن تبقى كتيبتان أو ثلاث وبطاريتان جبليتان في دمشق على استعداد تام للزحف في الحال على المدينة . ولم تعلم تلك الجنود شيئاً عن الجهة التي ترسل اليها . ولكنها كانت دائماً متأهبة بحيث يمكن ارسالها بعد نصف ساعة من وصول اول اشارة "[2].

لاشك أن هذا يدعونا الى القول ، بأن جمال باشا لم يكن جاهلاً كما يبدو بالتحركات المريبة التي كان يديرها الامير حسين واولاده ، وقد عبر جمال عن رغبته من علائم الفرح التي بدت على وجه فيصل عند سماحه له بالسفر ، هذا فضلاً عن التقارير التي كان يتسلمها من بصري باشا عن تحركات الشريف وضرورة القبض على نجليه علي وفيصل ، بل أن بصري باشا كان مصمماً القبض على فيصل يوم وصوله من دمشق ، لكن القيادة ظلت مصرة على أمرها الى بصري باشا بأن يحتفل بالامير فيصل ، وذلك لعدم اعتقادها بخطوة بصري باشا في مثل هذه الظروف[3] . اذ أن جمال باشا ، رغم قدرته على احباط مساعي الشريف حسين

---

[1] يبدو أن جمال باشا قد ادرك ذلك عند سماحه للامير فيصل بالذهاب الى المدينة المنور اذ يقول في مذكراته " وما كدت افرغ من هذه الكلمات حتى ابرقت أسارير وجهه (أي فيصل) وكاد فؤاده يطير فرحاً فتجلت لي الحقيقة وتكشفت . حتى لقد التفت الى علي فؤاد بك رئيس اركان حربي قائلاً : أنني موقن بأن الثورة سيشب ضرامها في الحجاز في القريب العاجل . فأني قد رأيت الشريف فيصل قد فرح اشد الفرح لخديعتي انه لم يستطيع اخفاء شعوره " . انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٥ .

[2] للتفاصيل انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٦ .

[3] كان بصري باشا على علم بنية الشريف حسين على الانتقام وأنبأ القيادة القيادة العامة بالامر واقترح القاء القبض على الامير فيصل واخوته ، ولكن القيادة ظلت مصرة على أمرها بأن =

حينها ، كان يرى ضرورة اتباع خطة معينة لتقرير الخطوات اللاحقة ، خصوصاً وأنه ما زال يفتقر الى الوثائق التي تدينه[١] ، اذ أننا نلاحظ أنه بعث بأحسن قادته فخري باشا[٢] برفقة تعزيزات عسكرية ليتولى مع بصري باشا مهمة الدفاع عن المدينة ، في الوقت الذي وضع فيه الكتائب والبطاريات الاخرى على اهبة التوجه الى المدينة . كما اصدر أوامره الى القوات العثمانية المؤلفة من ثلاثة آلاف جندي ، بعد أن عززها بنجدات أخرى ، والتي كانت متجهة نحو اليمن ، بالتوقف في المدينة المنورة ، واعطيت الاوامر الفورية لها بالمباشرة في تدريب قوات المدينة وتسليحهم بالاسلحة التي يفترض تسليحها للمتطوعين ، كما أمر بمراقبة كلاً من الاميرين فيصل وعلي عقب الاخبار التي نقلها بصري باشا عن الكمائن التي نصبتها العشائر الموالية للشريف حسين في طريق القوات المتجهة الى اليمن[٣] وعلى الرغم من ذلك ، فان جمال باشا لا يزال يأمل استدراج الشريف حسين ولو وقتياً ولم يتمنع من مسايرته وأمر حاكم المدينة بتسليمه المبالغ التي طلبها لسد نفقات المتطوعين[٤] ، وبدا وكأن

= يحتفل بالامير بينما كان بصري باشا مصمماً القبض عليه ، انظر ميداني ، المصدر السابق ص١٠ .

[١] انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ص٢٤٤-٢٤٥ .

[٢] يصفه جمال باشا ، بأنه مشهور بوصيته وثباته ، وكان حب الوطن فيه يغلب على كل عاطفة أخرى في نفسه ، انظر المصدر نفسه ، ص٢٤٦ .

[٣] للتفاصيل عن اجراءات جمال باشا ، انظر المصدر نفسه ، ص ص٢٤٦-٢٤٧ .

[٤] المصدر نفسه ، ص٢٤٧ ، ويذكر جمال بأن الحسين قد تسلم منه مبلغ قدره ١٥٠٠ أو ٦٠ الف جنيه قبل هذا الحين ، انظر المصدر نفسه ، ص٢٤٤ ، بينما يذكر أمين سعيد بأن جمال سليم الشريف يومئذ ١٨ الف بندقية و٢٠ الف ليرة عثمانية ذهباً ، انظر سعيد ، الثورة ، ج١ ص١١٨ .

ويذكر جمال باشا في مذكراته " بأنه كانت تحت تصرف الحسين وقتئذما ينيف على خمسين أو ستين الف جنيه ذهباً لتجهيز فرقة المتطوعين البالغة ١٥٠٠ شخص لحملة القناة ، وان تلك القوة كانت في مكة في شهر نيسان ١٩١٦ " ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ن ص٢٤٤ . ومن الواضح أن ذاكرة جمال باشا لم تسعفه هنا ، اذ من الثابت أن تلك القوة غادرت مكة وصلت =

الجو هادئاً فتبودلت الزيارات والولائم بين فخري باشا وكلاً من فيصل وعلي كما يتضح من تقارير فخري باشا الى جمال باشا ، والتي وصفها لنا الاخير بقوله : "وبينما أنا في بيروت يوم ٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ ، دعاني فخري باشا من المدينة لمحادثتي في التلفون وقال لي : ما زالت علاقاتي حسنة مع الشريفين علي وفيصل ومنذ وصولي الى هنا ، وقد دعواني أول أمس لزيارة مقام سيدنا حمزة (يقع في ضاحية المدينة) حيث معسكر المتطوعة فذهبت وتغدينا معاً ولعب هؤلاء العاب الفروسية وانشدوا الاناشيد الحماسية . ودعيت مساء أمس الى منزل الشريف علي فقضيت وقتاً . واتفقنا على أن تسافر أول كتيبة من كتائب المتطوعة في هذين اليومين الى درعا "[1].

ومن الجدير بالذكر أن الشريفين علي وفيصل قابلا في ٣٠ مارس ١٩١٦ فخري باشا ، واطلعاه على مضمون البرقية الاخيرة التي ارسلها أنور باشا الى والدهما الشريف حسين ، الذي هدده فيها وتوعده بقوله : " يجب على كل موظف أن يلزم حدود وظيفته فلا يتجاوزها ولا يتدخل في شؤون الدولة وإلا اضطررت لاتخاذ الاجراءات المقتضية في مثل هذه الاحوال وانه يجب ارسال المتطوعين بلا تردد واستدعاء علي من المدينة " . وافهماه أنهما بعد هذه البرقية لم يعد باستطاعتهما الاستمرار في العمل ، وأن احدهما ، علياً ، سيرجع الى مكة عملاً باشارة والده الشريف حسين . وحاول فخري باشا أن يعتذر عما ورد في البرقية ، ويعزيه الى

= المدينة كما اشرنا في كانون الاول سنة ١٩١٤ ، وهناك تناقض أخر يتعلق بالمبلغ الذي ارسله جمال باشا اذ اشار الشريف حسين في برقية الى جمال باشا بأنه قد تلقى مبلغ ٥ آلاف ليرة بالعملة الورقية وهبطت قيمتها الى الربع ... ولا شك أن الاستاذ أمين سعيد هو الأخر قد توهم في قيمة المبلغ واشارته الى السلاح .

[1] انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ ، الراوي ، المصدر السابق ، ص٦٨ ، الاعظمي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ص٨٦-٨٧ ، العمري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٠ .

التسرع ، ثم اشار أنه لا بد من تسوية الامور في المستقبل ، ثم تقرر أن يبقى فيصل في المدينة ليقود المجاهدين بدلاً من أخيه ويقودهم للاشتراك في حملة القناة الثانية[١].

وفي الاول من حزيران عام ١٩١٦ ترك الامير علي المدينة وتوجه الى (سيدنا حمزة) حيث معسكر المتطوعين ، بعد ما ودع فخري باشا وبصري باشا ، على أن يقضي فيه ليلة ويسافر في الصباح ، فرافقه أخوة الامير فيصل لوداعه على أن يعود بعد سفره الى مقره في المدينة ، وقضى الاخوان ليلتهما تلك في ذلك المعسكر ، وفي صباح اليوم التالي (٢ حزيران) ركبا على الفور مع حاشيتهما و ٢٠٠ هجان الى مكة فسلكا الطريق الشرقي حتى وصلا الخانق(احدى المراحل على طريق المدينة – مكة)[٢] ، حيث شرعا بحركتهما وأخذا يحشدان القوات والمعدات وانضم اليهما (١٥٠٠) مقاتل واعلنا في ٥ حزيران ١٩١٦ باسم والدهما الثورة على الدولة العثمانية[٣] ، بينما راح الامير عبدالله يتولى مهامه في الطائف واخذ يستكمل استعداداته أمام انظار الوالي غالب باشا الذي لم يدر بخلده ، رغم ارتيابه بالامير أن تأخذ الاحداث مجراها الذي صارت عليه[٤].

ويعطينا جمال باشا وصفاً مهماً لما جرى في المدينة في الاسبوع الاخير من اعلان الثورة ، ففي ٢ حزيران ١٩١٦ اتصل فخري باشا هاتفياً بجمال باشا الذي كان يومئذ في بيروت وابلغه أن احد رجال الشريف علي قد سلمه صباح هذ اليوم ثلاثة خطابات : " الاولى لي[٥] والثاني من الشريف حسين لك[٦] ، والثالث منه ايضاً للصدر الاعظم " ، وبما أن الخطابين الاخيرين مكتوبين بالشيفرة فقد عجلت بارسالهما

---

[١] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص١١٦-١١٧ .

[٢] مصطفى ، لورنس ، ص١٢٣ ، الشريفي ن المصدر السابق ، ص٢١ .

[٣] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٨٩ ، موسى ، لورنس ، ص٣٢ .

[٤] سعيد ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٤٦ ، موسى ، الحسين ، ص١٢ .

[٥] أي فخري باشا .

[٦] أي جمال باشا .

اليك ، أما الخطاب المرسل الي فقد كتب الشريف علي فيه ما نصه : " بناءً على الاوامر الصادرة من والدي سيقف نقل المتطوعين الى فلسطين ، ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين الى مكة ، بدلاً من ضياع الوقت هنا . وأني آسف لاضطراري الى الرحيل دون أن اودعك فأرجو قبول عذري "[1].

ويشير الاستاذ أمين سعيد بأن الاخوين علي وفيصل قد كتبا كتاباً مشتركاً الى فخري باشا وبصري باشا حمله مرافق فيصل وهو ضابط تركي قالا فيه : "حيث أن رجال الحكومة اساءوا فينا الظن ، ولما كان ذلك يحول بيننا وبين الاستمرار في التعاون مع الحكومة فقد عدنا الى مكة بناءً على البرقية التي تلقيناها من والدنا لعدم استطاعتنا البقاء "[2] .

وعلى أية حال فان فخري باشا أخبر جمال باشا بأنه ارسل في الحال كتيبة الى المكان الذي اقام فيه المجاهدون بالامس (يقصد بالقرب من سيدنا حمزة) فوجده خالياً من المجاهدين ، وكان الشريف علي قد أخبره بأنه ذاهب الى مكة لكن المعلومات التي استقاها من شيوخ العرب الموالين ، دلت على أن الشريف قسم قواته الى ثلاث كتائب ، وأنه ارسلها الى جهات مختلفة . الامر الذي دفعه الى الظن بأن هذه القوات ستهاجم السكك الحديد هذه الليلة أو في صباح الغد على أكثر تقدير . وأنهم سيعطلون المواصلات بين المدينة وسورية ، ويقومون بهجمة فجائية على المدينة . ولذلك " وبناءً على تعليماتك " ، تسلمت على الفور قيادة الجنود المرابطة في المدينة ، واعددت جميع معدات الدفاع استعداداً للطوارىء ، واخيراً ختم فخري اتصاله بالقول

---

[1] حول نص خطاب الشريف علي الى فخري باشا ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ العمري ، المصدر السابق ، ص٢١٠ ، الاعظمي ، القضية ، ج٦ ، ص٨٦ ، ناصيف المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٣ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٨ . والملفت للنظر أن موسى الحسين ، ص١١٩ ، يضيف كلمة " والسلام " عند اشارته الى خطاب الشريف علي أي يختم خطابه بقوله " فأرجو قبول عذري والسلام " ، ولا نعلم من أين استقى موسى مصدره ، علماً بأن المصادر السابقة لم تشر الى هذه الكلمة .

[2] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٨ .

" فالامل الا تتركنا بلا امدادات " . فأجابه جمال باشا سآمر حالاً بأن تذهب الى المدينة الجنود التي كانت مخصصة لها[1] .

وامر جمال باشا بفك رموز الخطابين المرسلين من الشريف حسين له وللصدر الاعظم ، فاذا هو يعتذر في اولهما عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة ، الى أن تجاب الطلبات التي طلبها في برقيته المرسلة الى أنور باشا ، والى أن يكف جمال باشا عن اتباع خطة الابهام والغموض حيال الشريف حسين واولاده[2] .

أما خطابه الى الصدر الاعظم ، فقد قال فيه أنه لا يعرف أي الرجلين يصدق : اهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما اظهر له المجاملة والود ، أم ذاك الذي استعمل معه الفاظ جارحة مهينة . فهو يرى نفسه مضطراً الى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من انور باشا منذ شهرين[3] .

ويوضح جمال باشا ما جاء في خطاب الشريف حسين الى الصدر الاعظم بقوله " كنت أنا المقصود السياسي الذي أعامله بالمجاملة ، واما الآخر الذي يقول أنه عامله بغلظة فيريد به أنور باشا لأنه كان أرسل قبل ذلك بثلاثة اسابيع برقية الى الشريف حسين لفت نظره فيها الى وجوب تغيير ابنه علي سلوكه حيال حاكم المدينة"[4] .

ويقول جمال باشا بأنه سلم الامير فيصل مفتاحاً للشفرة لاستعماله اذا جد أمر غير عادي يريد اخباري به ، فوردت الى جمال رسالة بالارقام من الامير فيصل قبيل سفره الى المدينة قال فيها : " لقد صدر الي الامر بوقف نقل المتطوعين الى سورية لاسباب اؤمل أن أبسطها لك شخصياً متى تشرفت بلقائك . وقد ساءتني كثيراً الحالة

---

[1] الاعظمي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٨٨ ، العمري ، المصدر السابق ، ص٢١١ .

[2] الاعظمي ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص٨٨ .

[3] انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢ .

[4] جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ ، منسي ، حركة ، ص ص٢٩٨-٢٩٩ .

الجديدة التي نشأت ، ولما كان من بواعث الالم أن لا تقع عيني عليك ثانية قبل تسوية الامور تسوية مرضية فأتشرف باخبارك أنني ذاهب الى مكة لقضاء بعض الوقت"[1] .

وبعد أن وصل الاخوان علي وفيصل عند بئر الماشي ، وهي على طريق مكة ، وجه الامير علي انذاراً خطياً الى جمال باشا الحاكم العام المطلق الصلاحية في سوريا وفلسطين بتاريخ ٨ شعبان ١٣٣٤ هـ / ٩ حزيران ١٩١٦ خلاصته : " أن المطالب العربية المعتدلة قد رفضت من جانب الدولة العثمانية ، وبما أن الجند الذي تهيأ للجهاد سوف لا يرى عليه أن يضحي لغير مسألة العرب والاسلام ، فاذا لم تنفذ الشروط المعروضة من شريف مكة حالاً فلا لزوم لبيان قطع أي علاقة بين الامة العربية والامة التركية ، وأنه بعد وصول هذا الكتاب بأربع وعشرين ساعة ستكون حالة الحرب قائمة بين الامتين "[2] . ويعلق الاستاذ عبدالعزيز الدوري على انذار الامير علي الى جمال باشا بقوله أن الامير علي قد أكد " على المطالب العربية وربط الجهاد بقضية العرب وبالاسلام "[3] .

ويمكن أن نعتبر أن هذا هو الانذار رقم واحد الذي وجهه الاشراف الى جمال باشا .

---

(1) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص١١٩ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ .

(2) حول نص انذار الشريف علي الى جمال باشا ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص١١٣ طلاس ، المصدر السابق ، ص١٩١ ، الملك عبدالله بن الحسين ، الآثار ، ص ص١١٥ – ١١٦ ، الشريقي ، المصدر السابق ، ص٢٢ . وهناك رواية تقول بأن غالب باشا القائد الترك تلقى برقية من جمال باشا يأمره فيها باقامة وليمة للشريف حسين يقبض خلالها عليه بالة ويسوقه محفوظاً الى دمشق . ولكن الشريف ادرك المؤامرة فغادر مكة ، ولما علم بأن الجند ا تعرضوا لقصره ، اعد لهم ما استطاع من قوة ، ودخل مكة فاتحاً ، وأسر القائد العثماني للتفاصيل ، انظر بيهم ، سورية ، ص٣٥ .

(3) عبدالعزيز الدوري التكوين التاريخي للامة العربية : دراسة في الهوية والوعي ، مركز دراسا الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص٢٦٦ .

وفي اليوم التالي ٩شعبان ١٣٣٤هـ /١٠ حزيران ١٩١٦ ، ختم الشريف حسين كل احتمالات التفاهم مع الاتحاديين ، حينما اطلق الرصاصة الاولى للثورة العربية الكبرى من شرفة داره ايذاناً باعلانه التاريخ الرسمي لها ، لتبدأ من مكة وتستمر طوال عامين اكتسحت فيها القوات العربية ، تدعمها مساعدات الحلفاء ، معظم مواقع الجيش العثماني في الحجاز ، واسهمت بشكل مباشر وفعال الى جانب قوات الحلفاء في دخول دمشق عام ١٩١٨م .

الفصل الرابع

المراسلات الحجازيّة العثمانية أَبان الثَورة العربيّة

١٩١٦ - ١٩١٨

الفصل الرابع

المراسلات الحجازية – العثمانية إبان الثورة العربية
١٩١٦ – ١٩١٨

١ – اسباب الثورة واهدافها من خلال المراسلات بين الجانبين.

٢ – الاتحاديون والثورة العربية .

٣ – مراسلات الصلح العثماني – الحجازي وانتهاء عمليات الثورة العربية

١ - اسباب الثورة واهدافها من خلال المراسلات بين الجانبين :

قبل ان يمضي بنا الحديث عن الثورة العربية التي اندلعت إبان الحرب العالمية الاولى ، ينبغي ان نوضح ان هذا الفصل لن يسلط الضوء على مجريات الثورة من نواحيها المختلفة لكثرة ما كتب عنها[١] ، بل التوقف عند الآثار التي تركتها المراسلات الحجازية – العثمانية على طبيعة الثورة.

وباديء ذي بدء ، لا بد من بيان الاسباب التي دعت الشريف حسين على انتهاج الاسلوب الثوري كوسيلة لتخليص البلاد العربية من الحكم العثماني ، اذ بسط الشريف بسطا وافيا هذه الاسباب في بيان او منشور الثورة الاول الذي اصدره في ٢٥ شعبان ١٣٣٤ هـ الموافق ٢٦ حزيران ١٩١٦م ، حيث دعا فيه المسلمين الى الثورة على الدولة العثمانية والذي بدأه بقوله " هذا منشورنا العام الى اخواننا المسلمين : ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين "[٢] . ولأهمية هذا المنشور آثرنا اغلب نصوصه في هذه الدراسة اذ نشير هنا الى الاسباب الرئيسية للثورة التي تضمنها المنشور . والذي اعتبره سليمان موسى " اول وثيقة تصدر عن الملك حسين لتعطي اسباب الثورة العربية "[٣].

لقد إستهل الشريف حسين المنشور بقوله ان اشراف مكة المكرمة كانوا أول الحكام المسلمين الذين اعترفوا بالدولة العثمانية ، وهو يشير الى البعثة التي اوفدها

---

[١] كتب الكثير عن الثورة العربية واشبعت بحثا وتحليلا ، الا اننا لم نقف على دراسة واحدة تناولت الثورة من خلال المراسلات الحجازية –العثمانية ، للتفاصيل عن تلك الدراسات ، انظر ما كتبه سليمان موسى في مؤلفاته عن الثورة العربية ، وما كتبه أمين سعيد في مؤلفاته ايضا انظونيوس فضلا عن المصادر الاساسية التي كتبها الملك عبدالله عن الثورة ، وكذلك :
.Bermond (ed) Le Hedjaz dans La Cucrre mondial Payot, Paris, 1931.

[٢] ناصر الدين الاسد ، الثورة العربية الكبرى والادب في : دراسات في الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧) ، ص ٨٢ .

[٣] موسى ، الحسين ، ص ١٤٢ .

شريف مكة الى السلطان سليم الاول في اثناء اقامته في مصر بعد فتحها سنة ١٥١٧م يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على إقليم الحجاز ، وقال ان رائد اشراف مكة من هذا الاعتراف " المبكر كان رغبتهم في جمع كلمة المسلمين واحكام عرى الوشيجة الدينية لان السلاطين الاوائل من الدولة العثمانية كانوا يلتزمون بكتاب الله ورسوله عليه الصلاة والسلام[١]. وانتقل الشريف حسين في منشوره الى ذكر الخدمات العسكرية التي اسداها للدولة في شبه الجزيرة العربية[٢] ، ثم هاجم هجوما عنيفا للغاية سياسية الاتحاد والترقي في حكم الدولة وكان من بين المآخذ التي سجلها الشريف في منشوره على الاتحاديين :

اولا – انهم سلبوا سلطة السلطان وجعلوه سرابا وسلبوه حقوقه في اختيار المرشحين لشغل المناصب الكبرى في الدولة مثل مناصب الصدر الاعظم ، وشيخ الاسلام وناظر الخاصة[٣] .

ثانيا – انهم تلاعبوا بأموال الدولة واثقلوها بالقروض .

ثالثا – انهم زجوا الدولة في حروب اوروبية عقيمة خرجت منها خاسرة ، واتخذوا من هذه الحروب وسيلة لإستنزاف ثروة الامة كما استنزفوا من قبل ثروة الدولة ، ثم اتخذوا من هذه الحروب ذريعة للتنكيل بجميع المخالفين لرأيهم في سياستهم الخرقاء وادارتهم .

---

[١] لم تكن ثورة الشريف حسين كرها للعثمانيين ولا لحكمهم العادل ، فهو يثني (الشريف) كما يتضح على الدولة العثمانية وعلى سلاطين آل عثمان ، انظر الاسد ، المصدر السابق ، ص ١٨٣ .

[٢] كما يشير الاسد ، بان ثورة الشريف لم تكن على الخلافة ولا على الخليفة نفسه ، بل انه يقر بسلطة الخليفة ، ويدافع عنه لان الاتحاديين جردوه من حقوقه ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٨٣ .

[٣] يؤكد الاسد ذلك ، بقوله بأن ثورة الشريف حسين كانت موجهة الى الاتحاديين الذين تسلطوا على الدولة وتحكموا في شؤونها وحرفوها عن سبيل الحق والدين ، وملأوا البلاد فسادا وظلما ، انظر المصدر نفسه ، ص ص ١٨٣-١٨٤ .

رابعا - انهم اضاعوا على الدولة الكثير مـن ولاياتها التي كـانت خاضعة لها مثل البوسنة والهرسك والبانيا ومقدونيا وطرابلس الغرب وبرقه.

خامسا - انهم اثاروا الاحقاد الجنسية بانتهاجهم سياسة تتريك شـعوب الدولـة العثمانية وايجاد هوة سحيقة بين العرب والاتراك والأرمن والاتراك. وكان من نتـائج اثارة النعرة الجنسية ان الدولة فقدت الشعب الالباني الباسل الذي كان سياجا امام الشعوب البلقانية ثم الفتك بـالارمن رجـالا ونسـاء واطفـالا ، وهـو امـر يتنافى مع قواعد الشريعة الاسلامية الغراء ويتعارض مـع قـول رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم : " من آذى ذميـا فأنـا خصمـه ، ومـن كنـت خصمـه خَصِمتُهُ يوم القيامة ".

سادسا - انهم اضطهدوا العرب وحاولوا قتل اللغة العربية في جميع الولايات العربية بالغاء استخدامها فـي المدارس والدواوين والمحـاكم ، ووصـف " اضطهـاد العرب ومحاولة قتل اللغة العربية بانها اكبر المفاسد التي ارتكبوها فـي حـق الدولة والعرب " ، ولا يخفى علينا بان قتل اللغـة العربيـة يعـد قتـل للاسـلام نفسه فالاسلام في الحقيقة دين عربي ، بمعنى كتاب اللـه الـذي انـزل باللغـة العربية وجعل متعبدا بتلاوتـه وتدبره وفهمـه لا بمعنـى انـه خـاص بـالعرب فمن المعلوم من الدين بالضرورة انه عام لجميـع الامـم ، وقـد قـال اللـه في سورة الرعد " وكذلك انزلناه حكما عربيا "[1] .

سابعا - لم يسلم من شرهم الحرم المكي والحرم المدني في الحجـاز فقـد عرضـوهمـا للخوف والجوع والخراب .

ثامنا - انهم انحرفوا عن الديـن واسـهب المنشـور فـي شـرح مظـاهر ابتعـاد رجـال الاتحـاد والـترقي عـن طريـق الديـن وتشـجيعهم الفئـة التي تهـاجم الاسـلام ورسول الاسلام عليه الصلاة والسلام.

---

[1] القرآن الكريم ، سورة الرعد ، الآية رقم (٣٧) .

تاسعا – انهم انتهزوا فرصة اعلان الاحكام العرفية فمضوا يشنقون ويعدمون كبار رجالات العرب في الفكر والعلم والعسكرية . وذكر الشريف في منشوره ان رجال الاتحاد والترقي شنقوا في يوم واحد (واحد وعشرين) رجلا في احدى المرات وذكر اسماؤهم . وقال ان الدافع لازهاق هذا العدد الكبير في الانفس هو اشاعة الرهبة في نفوس العرب حتى لا يطالبوا بالمحافظة على اللغة العربية او يطالبوا بحقوق العرب السياسية[1].

عاشرا – انهم صادروا ممتلكات واموال عدد كبير من العائلات العربية المغضوب على افرادها لاسباب سياسية واخراجهم من ديارهم مع النساء والاطفال الى بلاد الاناضول بلا كافل شرعي ، وعرضوهم الى الهلاك من الجوع والبرد والحر ، وهو امر يتنافى مع قول الله سبحانه وتعالى : ولا تزر وازرة وزر اخرى "[2] ، وقال الشريف حسين ان الهدف من كل هذا الاضطهاد البشع هو " ان من ينجو من الهلاك من هؤلاء النساء والاطفال يكون كالاماء والعبيد للترك في الاناضول ، ولا بد ان ينسى الاطفال لغتهم هناك فيكونوا تركا تعمر بهم بلاد الترك ، ولعلهم يريدون ان يأتوا يحلون محل هؤلاء المنفيين فيسهل جعل البلاد السورية كلها تركية ".

ثم انتقل الشريف حسين الى بيان سبب مهم من اسباب اعلان الثورة ، هو ما يتعلق باقليم الحجاز ، اذ اسهب في شرح ما تعرض له هذا الاقليم وسكان الحرمين من ظلم واضطهاد ، فقال ان الاتحاديين حشدوا قوات كثيفة العدد وهي مستكملة العتاد

---

[1] اعتبر الكثير من الباحثين سياسة جمال باشا التعسفية السبب الرئيسي التي حرضت الشريف حسين على الثورة ، للتفاصيل عن اثر سياسة السفاح في تحفيز القبائل للثورة ، انظر محمد اسعد طلس تاريخ الامة العربية ، عصر الانبعاث ، دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٣) ، ص ص ٦٠-٦١ فيضي ، في غمرة النضال ، ص ٢٣١ ، تحسين العسكري ، المصدر السابق ص ٤٤ .

[2] القرآن الكريم ، سورة الاسراء ، آية رقم (١٥) .

والاسلحة دلفوا بها الى الحجاز وهم يعلمون ان الحجاز إقليم لـه قداسته وحرمتـه وانه لا يهاجمه احد من الدول المتحاربة ، وهو بالتالي لا يحتاج الى قوات تدافع عنه بينما الدوله في اشد الحاجة الى هذه القوات لتحشدها في ميادين القتال . وخلص الشريف الى ان هدف الاتحاديين من حشد هذه القوات في الحجاز هو " انهم يريدون ان يفعلوا في الحجاز ما فعلوه في سوريا والعراق ليتم لهم القضاء على الدولة العربية في عقر دارها وموطن منعتها وعزها وفخارها ... فكان وجود هذه الجنود سببا لمنع ورود الاقوات على الثغور الحجازية وعليها مدار معيشة البلاد ، وسببا لمنع ورود الحجاج منها ولا كسب لاهلها الا منهم ، فاشتد الضيق حتى اضطر كثير من ابناء الدرجة الثانية من الاهالي الى بيع ابواب بيوتهم وخشب سقفها بعد بيعهم لجميع ما يملكون لاجل الحصول على سد الرمق ، وصار من المحتم علي دفع اسباب الهلاك عن قوم جعلني الله راعيا مسؤولا عنهم ".

واردف الشريف حسين في منشوره الى ان ثورته موجهة ضد الاتحاديين الذين آلت اليهم امور الدولة والذين وصفهم بانهم " زعانف ليس لاكثرهم في الشعب التركي الاسلامي اصل راسخ ، ولا في الاسلام علم صحيح ولا عمل صالح مثل انور باشا وجمال باشا وطلعت بك " .

واوجز الشريف حسين في منشوره اسباب الثورة عليهم لانهم ، عرضوا استقلال البلاد للزوال ، وبحثوا بالشريعة الاسلامية وانتهاك حرمة الكعبة الشريفة واستهانوا بالسلطان ، وان السكوت على تصرفات هذه الفئة الباغية ليس في مصلحة الدين ولا الدولة. ثم خلص الشريف من سرد هذه الاسباب الى القول بأنه " لما كان أمر حماية الحجاز من هذا البغي والعدوان واقامة ما فرضه الله فيه من شعائر الاسلام ، ووقاية العرب والبلاد العربية من عاقبة الخطر الذي استهدفت له الدولة العثمانية ، بسوء تصرف هذه الجمعية (جمعية الاتحاد والترقي) الباغية ، وكل ذلك لا يتم تداركه الا بالاستقلال التام وقطع كل صله بهؤلاء المتغلبين السافكين للدماء الناهبين للاموال وقد هبت البلاد بتوفيق الله تعالى للنهوض بأمر استقلالها ... جاعلة مبدأها وغايتها نصرة دين الاسلام والسعي لاعلان شأن المسلمين والمساواة الشرعية

في الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين قائمة في كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف ... مع استعدادها لقبول ما ينطبق على أصول الدين ويلائم شعائره من انواع فنون الترقي الحديث واسباب النهضة الصحية واختتم الشريف منشوره قائلاً " هذا ما قد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا "[١] .

وهكذا يظهر جلياً بأن الشريف حسين لم يعلن الثورة باسم القومية وحدها ولكن اعلنها اولاً باسم الاسلام ومن أجله[٢] .

---

[١] للمزيد من التفاصيل حول نص منشوره الثورة العربية الاول وتحليله ، انظر سعيد ، الثورة ، ج١ ص ص٢٥٧-٢٦٨ ، جريدة الايام ، الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، (مطبعة الايام ، دمشق ، د.ت) ، ص ص ٢٦-٣٤ ، احد اعضاء الجمعيات العربية السرية ، ثورة العرب ضد الاتراك مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها ، حققه وقدم له الدكتور محمد شبارو (دار مصباح الفكر ، بيروت ١٩٨٧) ، ص ص٢٨٢-٢٨٩ ، موسى ، الحسين ، ص ص١٣٣-١٤٤ ، أما الصواف فيذكر بأنه نشر نص المنشور الاصلي المحفوظ في خزانة قصي محب الدين الخطيب عن والده محب الدين رئيس تحرير جريدة القبلة الناطقة بلسان حكومة الحجاز انظر الصواف ، المصدر السابق ص ص٣٠٥-٣١٤ ، والواقع أن اشارة الصواف لم تسجل اعتباطاً وذلك لان منشور الشريف الاصلي قد عدل من قبل السلطات البريطانية في مصر ونشروه مشوهاً كما يذهب الى ذلك الصواف ، المصدر السابق ، ص٣٠٥ هامش رقم (١) ، وكذلك العمري بقوله " ان السلطات البريطانية اقترحت بتعديل المنشور الاول واختصاره لما حوى من بعض الفقرات " ، العمري المصدر السابق ، ج١ ، ص٢٥٦ ، كما يذهب الى ذلك الرأي صايغ في كتابه الهاشميون والثورة العربية ، ص١٠٥ بقوله " عهد الشريف حسين بمنشوره الى السلطات البريطانية لكي تذيعه وتوزعه على نطاق واسع ، غير أن خبراءها في الشؤون الشرقية لم يرضوا عن البيان فعدلوا فيه كثيراً قبل أن ينشروه " . وقد أجريت دراسات قيمة في دراسة المنشور وتحليله أهمها ، الدوري المصدر السابق ، ص ص٢٦٥-٢٦٩ مصطفى عبدالقادر النجار ، فكر الثورة العربية لعام ١٩١٦ واستقلال العرب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٨٣ ، السنة الثامنة ، العدد ٨١ تشرين الثاني ١٩٨٥ ، ص ص١٣٩-١٤٧ الاسد ، المصدر السابق ، ص ص١٨٢-١٨٥ وغيرها .

[٢] الاسد ، المصدر السابق ، ص١٨٢ .

وقد اتبع الشريف حسين منشوره الاول بمنشور ثان مؤرخ في ١١ من ذي القعدة سنة ١٣٣٤ هـ (آب ١٩١٦م) نعى فيه الدولة دخولها الحرب العالمية الاولى وهي منهمكة عسكرياً واقتصادياً ومالياً . وجعل عنوان المنشور الآية القرآنية الكريمة " أنا نستنسخ ما كنتم تعملون " وسجل في منشوره هذا ، التصرفات غير الحكيمة التي تتنافى مع تقاليد الاسلام وتقاليد السلاطين الاوائل من آل عثمان والتي قام بها الاتحاديون ثم سرد أسباباً جوهرية لغضب عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك الاسلامية ، منها أن الدولة قريبة عهد بالخروج من الحرب الايطالية اولاً والحرب البلقانية ثانياً ، وقد اصاب جيوشها وخزائنها الضعف والفناء . ثم استطرد الشريف حسين في تفنيد اساليب الاجحاف في حق المقاتل في صفوف الجيش التركي حيث أنه لا ينتهي من معركة الا ويستدعى لمعركة أخرى ، وفي هذا هلاك لاسرته لانهم يفقدون رعايته لهم والسهر على مصالحهم . ثم مضى مفجر الثورة في بيان مرامي حلفاء الاتراك من توسيع رقعة بلادهم الضيقة في اراضي الدولة العثمانية الواسعة ، وقال الشريف في ذلك : " وها قد حصل ما كنا نخشاه وانتهت الدولة الى ما تخوفناه واصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في اوروبا اسوار الاستانة تقريباً " . ثم قال " ان طلائع الانجليز تسوق الوف الاسرى من ابناء هذه المملكة في دباية العرش بعد أن استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد " . ثم استصرخ الشريف بالرأي العام العالمي في ذلك في أن يعذروه على نهضته التي قام بها وجاءت في وقتها قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك وترك للعالم الحكم في ذلك . ثم بين الشريف حسين ان اعداءه (ويقصد انور وجمال وطلعت واتباعهم) وهم رجال الاتحاد والترقي الذين هتكوا ستر الحرائر المسلمات ، واستدل على ذلك بآيات من القرآن الكريم ... واختتم منشوره ببيان اغراض الاتحاديين الدنيئة التي ترمي الى النيل من الشريعة الاسلامية والعادات العربية ، كما استنهض العرب على مقاومة

الاتراك بقوله " ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تغيير هذا المنكر بيده او لسانه او قلبه فليفعل "[1].

ثم نشر الشريف منشورا ثالثا[2] هاجم فيه سياسة الاتحاديين وجعل عنوانه الاية القرآنية الكريمة " قل هذا سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني " . وقد جاء هذا المنشور خاصا الى أبناء بلاده خاصتهم وعامتهم ، كبيرهم وصغيرهم حاضرهم وباديهم بين فيه حقائق الامور التي كانوا فيها والتي صاروا اليها من الدين والقومية ثم حمد الله على انه لم يبق امر هؤلاء الاتحاديين خاف على احد من تلاعبهم بالدين وما احلوا منه وما حرموا . ثم شرح ما قام به لدفع الاذى عن المسلمين وديار المسلمين بعد ان بذل النصح لرجالهم في الاستانة بمكاتبات محفوظة لديه صورها ، واستدل على ذلك باحاديث نبوية شريفة منها قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني (أيما وآل ولى شيئا من امر أمتي فلم ينصح لهم كنصيحته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) ، ثم ساق الشريف ضروب الاذى والظلم الذي لحق عرب الشام والعراق وأهل المدينة المنورة من الاتحاديين والوحشية الطورانية . ثم استنهض الشريف همه الامة في بلاده الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله السابغة والاستمرار فيما اخذوا به من اسباب النهوض والتقدم ووصف عصره بانه زمان جد وعمل . واختتم منشوره بقوله : " وانه لم يبق لاحد

---

[1] للتفاصيل حول نص المنشور الثاني ، انظر جريدة القبلة العدد ١١ السنة الاولى ٢١ ذي العقدة ١٣٣٤هـ (١٩ اغسطس ١٩١٦) ، ص ١١ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٧-٢٧٨ وقد جاء في جريدة القبلة بان المنشور الهاشمي الثاني قد اتى على بيان تفاصيل الحقائق المتعلقة بالاتحاديين واسبابها بكل اوجهها الادارية والعسكرية والسياسية ، ولقد اشار ذلك الى ان المخابرات كانت دائرة بين مكة المكرمة والاستانة في هذا الشأن . وان (الشريف حسين) صارحهم بكل النتائج المنتظر حدوثها اذا هم تهوروا (بالحجاز) نحو تلك الهاوية السحيقة . ولا بد ان نصوص تلك المخابرات محفوظة في الدوائر في الاستانة كما هي محفوظة في اقلام الديوان الهاشمي العالي انظر حريدة القبلة ، العدد ٣٩ السنة الاولى ، ٣ ربيع الاول ١٣٣٥هـ.

[2] يلاحظ ان المنشور الثالث لم يورد له تاريخ ، انظر جريدة القبلة السنة الاولى ، العدد ٣١ ، ٤ صفر ١٣٣٤ (٣٠ نوفمبر ١٩١٦) ص ١ .

عذر في التقصير بشيء من اسباب الارتقـاء ... " واستشـهد بالآيـة القرآنيـة لكريمـة " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين "(١).

وفي ضوء ما تقدم يمكننا القول بان الشريف حسين قد وضع برنامج الثورة فـي اول بياناته واهمها ـ وناشد المسلمين ان يقتفوا اثرة ويحذو على مثالـه ، وكمـا يتضـح انه استند في منشوراته على دعامتي القومية والدين ، على الرغم من ان الحديث عـن الاسلام غلب على الاول بعض الشيء ، لاننا ادركنا بان ثورته كانت اسـلامية قوميـة فقد هاجم في بياناته الاعمال المنافية للاسلام التي قـام بهـا الاتحـاديون ، وعـد امثلـة منهـا ، كمـا ندد بالطغيـان المتعسـف التـي قـامت بـه عصبـة انـور وجمـال وطلعـت وعدها المسؤولة المباشرة عن اعمال الارهاب والاعدام فـي بـلاد الشـام وعـن جرائـم اخرى ضد الاسلام والعرب . واعلن صراحة وبوضوح بان ثورتـه هـي واجـب دينـي وقومي وفرصة منحها الله لبلوغ الاستقلال ، وكان يختم بياناته بدعوة جميع المسلمين في العالم اجمع الى ان يلتفوا حوله نظرا لما له من حق في اعناقهم لكونـه امير مكـة المكرمة وشريفها اولا ، واحكاما لرابطة الاسلام ثانيا ، والواقع يحتـم علينـا القـول ان قيمة هذه البيانات لم تكمن فيما سرده من مسوغات الثورة ، وانما كانت قيمتهـا الحقـة فـي استنفاره المسـلمين عامـة للثورة علـى الاتحـاديين ، وبذلـك حطـم فكـرة الجهـاد الاسلامي التي كانت تتستند اليها الدولة العثمانية في حربها ضد الحلفاء .

وقد اعترف جمال باشا بهذه الحقيقـة فـي خطـاب القـاه بدمشـق بعـد اشـهر مـن اعلان الثورة ، اثناء مأدبة اقيمـت تكريمـا لرئيـس مجلـس الشـورى العثمـاني ، وكـان نص هذا الخطاب قد نشرته جريدة (الشرق) في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٧ ، يدل علـى ان جمال باشا كان في فورة بالغة من التبجح والغضب ، وفيه يقول : " مـن المؤسـف ان امراءا دنيئا قد عطل الجهاد المقدس في صميم الارض الاسلامية المقدسـة ، حيـث حالف القوى المسيحية التي تسعى الى ابتزاز العالم الاسلامي"(٢).

---

(١) المصدر نفسه ، ص ص ١-٢ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

واشار الامير فيصل الى الاسباب التي قادت الى قيام الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ بقوله : " لقد ساد الاتراك ستمائة سنة هدموا خلالها صرح المجد الذي اقامه اجدادنا وارادوا ان يطفئوا نار العرب ... نحن العرب نمنا ستمائة سنة ولكننا لم نمت ، ولما اعلن الاتراك النفير العام اتوا باعمال تتبرأ منها الانسانية ، لا نرى لزوما لعدها ، وكانت العرب تطالب الاتراك بحقوقها فاغتنموا الفرصة التي مكنتهم من الانتقام من العرب . ولقد رأى والدي ان دولة الترك لا تعمل لاجل دين او عمل عام ينفع البلاد وانها اعلنت جهادها مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب"[١].

اما عن اشعار الثورة فيذكر الامير فيصل ، بانه قد اصطلح مع نسيب بك البكري عند عودة الوفد من المدينة على نص خفي لبرقيتين احداهما ترمز الى اعلان الثورة وضرورة هروب الثوار من دمشق ، والاخرى ترمز الى تأجيل ذلك . ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائدا الى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقية من الامير هذا نصها :

دمشق – نسيب البركي

" ارسلوا الفرس الشقراء "[٢]

وكانت هذه البرقية اشعارا ببدء الثورة حسب الاتفاق ، ومن حسن الحظ ان جمال باشا لم يكن حينئذ في دمشق بل كان في القدس ، وبذلك تمكن آل البكري

---

[١] طلس ، المصدر السابق ، ص ٦٥ : كريم ثابت ، فيصل ١ (المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٩٣٣) ص ص ٨٣-٨٤ .

[٢] انظر موسى ، الحركة ، ص ٢٦٨ ، بينما يذكر حمادة وظبيان في كتابهما ، ص ٧ بان بدء اشعار الثورة حسب ما جاء في برقية الامير فيصل الى نسيب البكري " ارسلوا الفرس الصفراء " والارجح هو ما ذكر سليمان موسى لتواتر المصادر في صحة ذلك ومنها موسى ، الحرب ، ص ٤١ .

وبعض رجال فيصل من الهروب ، وفي ذلك اليوم اطلق امير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي الطلقة الاولى ايذانا بالثورة[1] .

---

[1] حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧-٢٨ ابراهيم سليم النجار ، الملك فيصل الاول بغداد ، بلا تاريخ ص ص ٢٨-٢٩.

٢ - الاتحاديون والثورة العربية :

اصيبت الحكومة الاتحادية بالذهول عند ابلاغها نبأ قيام الثورة العربية في الحجاز فمنذ الساعة الاولى لاعلان الثورة باطلاق الشريف رصاصة من شرفة قصره على الثكنة العسكرية في مكة المكرمة[١] ، ادرك درويش بك قائد الجند التركي في المدينة بحراجة الموقف ، وخطورته مع قواته الذين كانوا يقومون بتمريناتهم الرياضية المعتاده بدون سلاح او استعداد ، اذ لم يكن عندهم علم بالحركات الدائرة حولهم . فعمد درويش بك الى الحيلة لانقاذهم[٢] ، فخاطب القائد التركي الشريف حسين بالهاتف سائلا عن السبب الذي ادى الى هذا الهجوم . فاجابه الشريف " ان العرب لا يرضونكم حكاما عليهم بعد ما قتلتموهم واهنتموهم وعاديتموهم ، فأجابه : ما دام الامر كذلك فارسل من قبلك مأمورا مدنيا لكي نسلمه السلاح والجنود فنحن لا نريد اراقة الدماء[٣] .

واجاب الشريف حسين الطلب ، وارسل الشريف شرف عبدالمحسن البركاتي لمقابلة درويش بك ، واستلام الثكنة ومن فيها . فقال له هذا : " لا بد من دخول الجند الى الثكنة لإتمام عملية التسلم ، ولما كان ذلك غير مستطاع قبل ان يكف الثوار عن اطلاق النار ويرفعوا الحصار ، فارجوك الايعاز اليهم بالانصراف فندخل سوية ونجري العملية المطلوبة " ، فانخدع الشريف وامر الثوار بالتفرق ، فدخل الجند الثكنة

---

(١) Bermond, Op.cit., P 31 .

(٢) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ١٤٧ .

(٣) موريس ، المصدر السابق ، ص ٤٦ ، موسى ، الحسين ، ص ص ١٢١-١٢٢ ، سعيد ، الثورة ج١ ، ص ١٤٧ .

فورا وتقلدوا سلاحهم ، واخذوا أهبتهم للقتال . وحذر أحد الضباط العرب الشريف فنجا بنفسه[1] .

وكان جمال باشا اشد الاتحاديين حسرة وتألما لانه ادرك انه كان مخدوعا وادرك انه لم يحسن التصرف مع الحسين وابنائه الذين افلتوا من يده بعد ما أخذوا المال والسلاح[2] . وكاد جمال باشا ان يرسل بنائب دمشق فارس الخوري الى المشنقة ، لانه لم يبلغه عبارة عابرة كان سمعها عن استعداد جماعة من الناس للانتقام لشهداء ٦ ماريس ١٩١٦ كي يتلافى " الخطب قبلوقوعه لان فيصلا كان في قبضة يدي يراوغنيويخدعني فكان في امكاني ان اقبض عليه . وكان اخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة . فلو انك اخبرتني كنت حجزتهما رهينة عندي فلا يجروء ذلك الشيخ الخرف (كذا) والدهما على اعلان العصيان وولداه في قبضة يدي "[3] .

وكان محافظ المدينة المنورة بصري باشا اول من تنبه الى هذه الحقيقة ، وكان يدعو الى الفتك بالشريف وابنائه ويشير باتباع سياسة الشدة والحزم في الحجاز فقال كلمته المأثورة " لقد انتصر الذكاء العربي في هذه المعركة على الذكاء التركي وفاز عليه "[4] .

وفي ١٥ حزيران ١٩١٦ ، اذيع خبر اندلاع الثورة العربية في الحجاز من قبل الحكومة العثمانية في دمشق[5] ، حيث نشرت بلاغا بهذا الشأن نص على ما يأتي :

---

[1] موسى ، الحسين ، ص ١٢٢ ، نشر الوصف التفصيلي للعمليات الحربية منذ اعلان الطلقات الاولى في جريدة القبلة ، العدد الاول من السنة الاولى ، ١٥ شوال ١٣٣٤هـ (١٥ اغسطس ١٩١٦) ص ص ١-٢ .

[2] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ١٥٧ .

[3] موسى ، الحركة ، ص ٢٨٠ .

[4] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص ١٥٧-١٥٨ .

[5] حول البلاغ ، انظر ملاحق الدراسة ، ملحق رقم (٢) .

" اعتدت بعض العصابات المؤلفة من ذوي الطمع والفساد ، ومن بعض جماعة العربان وقد استميلوا بالمال على بعض المخافر المجاورة للمدينة المنورة بالسلاح ، وخربوا التلغراف وسكة الحديد ، فبادرت القوى العسكرية الى التنكيل بتلك العصابات الواقفة على الطريق ، وتمكنت من دخول المدينة وشرعت في اصلاح السكة ، كما انشأت دارا للمخابرات اللاسلكية في المدينة تجري المخابرات بواسطتها . وفي الليلة البارحة زحفت قواتنا العسكرية على العصاة المجتمعين والمتحصنين في موقع الحسا (اول مرحلة للحاج السائر من المدينة الى مكة وتبعد عن الاولى ثلاث ساعات وتسمى بير علي ايضا) بجوار المدينة ، واستولت على المواقع التي كان ممتنعا بها العصاة المذكورون وطردتهم منها بعد تبدد شملهم . وقد تبلغنا برقية من محافظ المدينة تشعر بان اهل المدينة سروا سرورا عظيما بما وقع وهذا نصها : ولقد سر اهل البلدة الطيبة قلبا وقالبا بمحو القبائل الباغية والتنكيل بها في المعركة الشديدة التي دارت امس واعادت الراحة الى ربوعها ، كما ان هذه الحادثة قد اثرت تأثيرا عظيما في العربان المجاورة . ونبتهل الى الله بتوالي توفيقات دولتكم"[1] .

ولا شك ان للثورة العربية ضربة لها تأثيرها الواضح على الاتحاديين ، الذين حاولوا في اول الامر اخفاءها[2] ، والظهور بمظهر عدم الاكتراث والاهتمام والتنكر بانهم مغلوبون على امرهم في البلاد المقدسة ، بل انهم لا يكادون يسمحون لاحد ما بالخوض في الحديث عن الثورة[3] . ولم تصدر أية أشارة في الصحف العثمانية الا

---

[1] حول نص بلاغ السلطات العثمانية في دمشق عن اندلاع الثورة العربية في الحجاز ، انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

[2] دنجتون ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

[3] جريدة القبلة ، العدد ١٢١ ، السنة الثانية الخميس غرة المحرم ١٣٣٦هـ .

في ٢٩ حزيران أي بعد ٢٤ يوما من اعلان الثورة الفعلي و ١٩ يوما من اعلانها الرسمي ، وجاء فيما نشرته صحيفة الشرق الرسمية بان " بعض الفئات القبلية هاجمت بضعة مراكز في جوار المدينة " ، الا انها لم تذكر شيئا عن الشريف او عن احتلال مكة المكرمة وجدة . وبقي امر الثورة في طي الكتمان حتى ٢٦ تموز حيث سمحت الحكومة لجريدة (طنين) الصادرة في القسطنطينية ان تنشر على الناس صورة مشوهة عن الثورة . وظلت الصحافة العثمانية على مدى عدة اشهر تسمى ثورة الشريف عصيانا فرديا اثارته مؤامرة بريطانية[١] .

ولكننا نلمس اثر الثورة العربية على الحكومة الاتحادية من خلال ما افصح به جمال باشا في مذكراته بقوله : " وعندي ان الضربات التي وجهها الى صميم الاسلام زعماء المغاربة بانضمامهم الى الدولة المسيحية ليست شيئا مذكورا اذا قيست بالمحن التي نزلت بالخلافة من الشريف حسين "[٢] .

والقى جمال باشا خطبة بين فيها علاقته بالشريف حسين واولاده منذ وصوله الى دمشق ، وقال " ان السبب الباعث على اشتراك العربان مع العصاة (الحسين واولاده) بسيط جدا لان العربان جاهلون يظنون ان كل يد تعطيهم الخبز يجب ان تقبل . فحركتهم مهما كانت مخالفه للدين والشهامة فاني اراهم معذرون ان هؤلاء العربان قد استمالهم الانجليز بمقادير وافرة من الارز والسكر والحنطة ومقدار قليل من الذهب ، ولو تمكنت من اعطائهم الارز والسكر والحنطة والذهب المعطى لهم من الانجليز لكانوا اليوم في جانبي ، اذ انهم متى رأوا انفسهم في نجوى من الجوع يستغنون عن الانجليز بتاتا ، ولكن مع الاسف عدم مساعدة القطارات للنقل وتخصيصها للجيش الذي يحارب العدو الحقيقي العازم على ضبط سورية وفلسطين

---

[١] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٧-٢٩٨ .

[٢] جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٦١ . ويبدو ان هذا الاثر بقي حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى ، اذ نلحظ ان الخليفة عبدالمجيد يكتب رسالة في سنة ١٩٢٣ يوجهها الى العالم الاسلامي جاء فيها : " في الوقت الذي كان ينبغي للمسلمين ان يعملوا يدا واحدة هزّ الشريف حسين العالم الاسلامي باعلانه الثورة " ، للتفاصيل انظر زين ، الصراع ، ص ٧٢ .

منعني من ارسال المقادير اللازمة لاولئك العربان ". ويضيف جمال في خطبته لقد بعثت اخيرا الى الشريف الحسين كتابا " افهمته فيه حرج موقفه بواجباته الدينية راجيا من الله جل وعلا ان يلهمه الصواب "[1].

وهكذا نلحظ ان جمال باشا يحاول التقليل من شأن ايمان واخلاص الثوار بثورتهم وبقائدهم الشريف حسين بن علي .

وقد أمر جمال باشا قائدة في المدينة فخري باشا بتشكيل وفد لاستمالة شيوخ القبائل الى جانبهم ، وعلى الفور شكل فخري باشا وفدا ضم محمد فوزي العظم وعبدالرحمن اليوسف والشيخ اسعد الشقيري ، الذين سافروا الى المدنية لمقابلة شيوخها لغرض اقناعهم بالبقاء على الولاء للدولة العثمانية والانضمام الى جيوشها ولكنهم فشلوا في مهمتهم . كما قابلوا قبائل البدو الضاربة في صحراء الشام وحاولوا اغرائهم بالاموال مقابل اعلان ولائهم للدولة ، فاستهزأ المشايخ منهم واعلنوا بقائهم بكل اخلاص وصدق في خدمة الشريف حسين ، ومما يدل على ذلك تطوعهم في جيش الشريف واقتلاعهم بعض اجزاء سكة حديد الحجاز ، وبعد ان ظن الاتحاديون ان الخط الحجازي سليم وان قطاراتهم ستصل الى المدينة المنورة اصبحوا واذا بالخط مقطوع وبالجسور محطمة وبقبائل البدو تخدم الشريف باخلاص[2] .

ويبدو ان آثار الثورة العربية كانت لها بصمات واضحة على شخصية طلعت باشا ايضا ، ويتضح الامر من تصريحه الذي جاء فيه ، " نحن لانحترم الا رماة القنابل وحملة الديناميت ، والعرب لا يستحقون احترامنا واهتمامنا ، لانهم ليسوا من هؤلاء ولا من اولئك"[3] .

---

[1] للتفاصل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦ .

[2] للتفاصيل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٣ ، الخميس ، ٦ محرم ١٣٣٥ .

[3] جريدة القبلة ، السنة الثانية ، العدد ١٣٠ ، الاثنين ٤ صفر ١٣٣٦ .

وفي ١٨ حزيران ١٩١٦ عمد رجال الاتحاد والترقي الى استصدار فرمان من السلطان محمد رشاد بتعيين علي حيدر[١] في منصب الشرافة أي اميرا على مكة خلفا للشريف حسين[٢] ، ومما جاء في فرمان السلطان العثماني ما نصه " حسب الايجاب وبناء على وقوع انفصال الشريف حسين باشا امير مكة المكرمة ، ولتأمين خدمة الحرمين الشريفين هذه الوظيفة المقدسة التي هي اسمى الوظائف الاساسية لدينا ، وقد وجهنا امارة مكة المكرمة مع رتبة الوزارة السامية الى عهده الشريف علي حيدر بك الوكيل الاول لرئاسة مجلس الاعيان ، وبذلك لما توفَرّ فيه من اللياقة والكمال الذاتي واتصافه بحسن السلوك والسيرة والتجارب ، وكفايته لهذه الوظيفة المقدسة ... "[٣] .

وابرق الشريف حسين الى السلطان محمد رشاد في ١٢ تموز ١٩١٦ ، قائلا " ان هذه البلاد باعلان الثورة والاستقلال ، لا تتنكر للاعمال العظيمة والعناية الخاصة التي خصتها بها البلاد الاسلامية والتي قام بها اسلافكم من عظماء السلاطين . ولكن هذه البلاد ترغب في الجهر بعدائها ضد الاتحاديين المتآمرين الذين حاولوا استغلال العلاقة الدينية المذكورة في المنشور العام ، وايضا الغاء الامتيازات والحقوق التي اعلنها اسلافكم العظماء منذ ستمائة سنة ، والله يعلم مدى احترامنا وعظيم تقديرنا لشخصكم الهمايوني السامي وللسلطنة العثمانية[٤] .

ومن الطبيعي ان يقدم الاتحاديون على عزل الشريف حسين وتوليه اميرا بدله من اسرة زيد ، عملاً ، على ما يبدو بسياسة ضرب القبائل الحجازية بعضها البعض وهي سياسة تنبثق من المبدأ السياسي المعروف باسم (فرق تسد) . لا سيما اذا علمنا ان الشريف الجديد علي حيدر معروفا بتأييده للاتحاديين وموالاتهم في جميع ادوار

---

[١] تزوج الشريف علي حيدر من امرأة ايرلندية اسمها (ايزابيل دون) التي اعتنقت الدين الاسلامي لتصبح الاخيرة فاطمة حيدر ، انظر : Bermond, Op. cit., P.11.

[٢] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣١٢ ، العمري ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧-٢٨ .

[٣] للتفاصيل انظر ، العمري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٨ . انظر ملاحق الدراسة ، ملحق رقم (٥) .

[٤] من الشريف الى السلطان محمد رشاد في ١٩١٦/٧/١٢ ، انظر موسى ، المراسلات . ص ٧٩

حياته. فقد سبق له ان تقلد منصب وزير الاوقاف في الاستانه . وقد اضفى عليه رجال الحكم في الاستانه الكثير من مظاهر التكريم ، فسافر من الاستانه في قطار خاص الى دمشق ، ثم قصد المدينة المنورة التي كانت في يد الدولة العثمانية ، والتي اتخذ منها مقرا لولايته[1] وقد بلغها في شهر ايلول عام ١٩١٦ ، مع حاشية كثيرة واكياس من الذهب ، وكان معه شقيقه الشريف جعفر باشا[2] ، وكانت مهمة علي حيدر بث دعاية واسعة للاتراك بين اوساط القبائل الحجازية ، وذلك عن طريق انفاق الاموال لاستمالتهم واغرائهم على الانفضاض عن الشريف حسين[3] .

ووجه الشريف علي حيدر منشورا الى اهالي الحجاز ، بين فيه قيمة الحجاز التاريخية من ظهور الاسلام وبعد مضي ١٢ قرنا من الزمان عليه ، وما مرت به من احوال كثيرة وادوار مختلفة ، من بسط وقبض ورفع وخفض وزلزال وتمكين الارض. ورغم ذلك كله بقي الحجاز بكرا من الممالك لم يطمثها فاتح . وبين بعد ذلك الشريف علي حيدر ما لحق بمصر والسودان والهند وبعض البلاد الاسلامية الاخرى من الاستعمار البريطاني الذي نجا منه الحجاز وذلك حرمه من الله تعالى لبيته المعظم ومعجزة لصفيه صلى الله عليه وسلم . وخلص الشريف حيدر من ذلك بان الشريف حسين قد اضاع حرمة الحجاز ومجده في الاستقلال بتحالفه مع دولة مسيحية تفرض حمايتها على بيت الله ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي في ذات الوقت محاربة لدولة الاسلام الدولة العثمانية . ثم بين الشريف حيدر في منشوره مساويء الانجليز ومعاملتهم الدنيئة مع حلفائهم ونقضهم العهود . ثم أوضح الفرق بين اتفاق الدولة العثمانية والمانيا وما استهدفت من ضرب الاعداء المسيحين ببعضهم ، والفرق بين حلف الشريف حسين وبريطانيا والذي يخول للمسيحيين ضرب الدولة العثمانية المسلمة ، وبعد ذلك اوضح الاسباب التي جعلته يقبل امارة مكة المكرمة

---

[1] لم يستطع الشريف علي حيدر متابعة سفره الى مكة ، وذلك لان الثورة كانت نشبت فيها ، انظر زين ، الصراع ، ص ٧٢ .

[2] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ١٥٨ .

[3] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

وهو اشفاقه على الحرمين الشريفين من لوث مداخلة الاعداء . ثم اهاب بأهالي الحجاز ان يلبوا دعوة القرآن ودعوة السلطان ودعوة اجداده بني زيد بأن ينفردوا لقتال العساكر المنفذة لاوامر النصارى الانجليز . واختتم الشريف منشوره بآيات من القرآن الكريم[1].

وردا على قرار الاتحاديين القاضي بعزل الشريف حسين عن امارة مكة المكرمة ولشرافتها وبعد ان ثبّتت الثورة اقدامها بسقوط الطائف[2] ، قرر علماء مكة المكرمة وزعماؤها والسوريون الموجودون في الحجاز يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩١٦ بانشاء دولة عربية رسميا والمناداة بالشريف حسين ملكا عليها بلقب " ملك البلاد العربية "[3] . بعد ان وجهوا خطابا الى العالم الاسلامي يحملون فيه على مظالم حكومة رجال الاتحاد والترقي . وكان مما جاء في خطابهم ان بدأوا بالاية الكريمة : " فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون " . ثم بينوا في خطابهم قيمة العلم والعلماء في خدمة الشرع الشريف والغيرة على الدين الاسلامي وخلصوا من ذلك باظهار قيمتهم الدينية الخالصة التي تؤهلهم لتقديم النصح والارشاد للمسلمين عامة ، واطلاعهم على اعمال الفئة المتغلبة على مملكة آل عثمان الكرام وما تفعله من المنكرات في بلادهم وما جرته من المصائب على اوطانهم . ثم اخذوا يهاجمون المسلم الذي يحكم على نهضتهم دون التعمق والبحث عن الدواعي والاسباب

---

(1) حول نص منشور الشريف علي حيدر الى اهالي الحجاز ، انظر العمري ، المصدر السابق ج٢ ص ص ٣٠-٣٦ . انظر ملاحق الدراسة ، ملحق رقم (٦) .

(2) نشرت جريدة القبلة ، تفاصيل امر تسليم الجنود الاتراك المخاصرون في الطائف بتاريخ ٢٢ ايلول ١٩١٦ ، والذي بلغ عددهم ١٨٠٠ جندي وخمسون ضابط وعدد كثير من الموظفين ومعهم تسعة مدافع وذخائر من كافة الانواع ، وبذا خاطبت جريدة القبلة الحكومة التركية بالقول : " فليعلم الجالسون على ضفاف البسفور والجاثمون وراء الاسوار والقلاع والمقررون بما عندهم من آلات الحرب ، ومخترعات الطعن والضرب . ان جيوشهم مخذولة وقواهم مدمورة وجبروتهم مستأصل وان الله معنا لاننا جنده وحزبه " . للتفاصيل انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ١٣ الاثنين ٢٥ ذي القعدة ١٣٣٤ .

(3) موسى ، الحركة ، ص ٢٨١ . انظر ملاحق الدراسة ، الملحق رقم (٣) .

التي ادت الى قيام النهضة حيث قالوا : (فيجب على المسلم الذي يجب ان يخوض في هذا الامر ان يبحث عن دواعيه واسبابه ، وان يتحقق ما هية المنكر الذي نهضنا لازالته بايدينا بعد ان يئسنا من ازالته بألسنتنا ... أما نحن فقد علمنا علم اليقين ، ان تلك الفئة المتغلبة قد عصيت الله معصية عامة لم يخفف فضاعتها نصح الناصحين). ثم طلبوا ممن يعترضون عليهم من العالم الاسلامي ان يرسلوا ممن يعتمدون عليهم الى الاستانه عاصمة الاتحاديين ليشاهدوا بأعينهم كما شاهد كثير منهم بانفسهم وجود المخدرات من المسلمات التركيات موظفات في دوائر البريد والمالية بوظائف الرجال ، بكامل البهرجة والزينة والجمال . ثم قالوا : " ونحن ليس من غرضنا بيان ما آل اليه أمر الاسلام على ايديهم ، فان ذلك من واجب كل مسلم البحث عن حقيقته بنفسة ، وحسبنا ان نخبركم بأننا رأينا أنفسنا امام امرين مختلفين تمام الاختلاف : احدهما ارضاء هذه الفئة المتغلبة على المملكة العثمانية باغضاب الله تعالى ، والثاني اغضابها برضائه تعالى ، فآثرنا الاخرة على الاولى . ورضى الحق على رضى الخلق " . ثم ختموا خطابهم بقولهم : " اننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم ملكا من ملوك المسلمين اتقى الله من ابن رسوله المتبوء عرش الملك على البلاد العربية ولا أشد خوفا من الله وتمسكا باوامره واقامة لشعائره قولا وعملا ، ما قدر على النظر في امورنا بما يرضي الله عز وجل . والعرب انما بايعوه ملكا عليهم لما رأوا في ذلك من صلاح دينهم ودنياهم "[1].

وفي ٢ تشرين الثاني ١٩١٦ ، حضر جماعة من الاشراف والعلماء ومشايخ ورؤساء البدو والزعماء الى مجلس الشريف حسين الخاص الملاصق للكعبة وبايعوه ملكا على العرب ، واتبعوا في هذه البيعة قواعد الشريعة الاسلامية الغراء[2] اذ سلم الشيخ عبدالله سراج مفتي الحنفية في مكة الى الشيخ فؤاد الخطيب كتاب البيعة

---

[1] للتفاصيل حول خطاب علماء مكة المكرمة الى العالم الاسلامي ، انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى العدد ٢٧ الصادر في ٢٠ محرم ١٣٣٥ ، ص ص ١-٢ . انظر ملاحق الدراسة ملحق رقم (٤).

[2] الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٥ .

للملك ، فتلاه على الجماهير المحتشدة ، ثم نهض الشيخ عبدالله سراج فبايع الحسين بالملك ، ولقبه بملك البلاد العربية ، وتبعه الناس بالمبايعة[1] .

وخطب الملك حسين بالمبايعة خطابا وجيزا قال فيه : " انني اقسم بالله العظيم انني لم أرد هذا الامر الذي تكلفونني به ولم يخطر على بالي عندما قمت معكم بنهضتنا السعيدة . ولكني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته "[2] .

وما ان تمت المبايعة حتى تقدم الشيخ فؤاد الخطيب بصفته نائباً عن اهل سوريا " فبسط لدى جلالته (الملك الحسين) آمال سوريا العربية ... من اجل الوحدة العربية " وقال ان سكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين "برعاية جلالة سيد العرب وملكها " . وبايعه بعد ذلك اسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله . ومعنى ذلك ان المبايعة لم تكن مقصورة على الحجاز فحسب وانما شملت ايضا سوريا العربية ، التي مثلها في حفل المبايعة الشيخ فؤاد الخطيب ولعل منظمي هذا الحفل قد استهدفوا من اشراك الشيخ الخطيب تأكيد لقب ملك البلاد العربية ، بانه يمتد فيشمل في مرحلته الاولى الحجاز وسوريا[3] .

وفي اليوم التالي اتخذ الشريف حسين الاجراء التنفيذي بأنشاء وزارة اطلق على كل وزير لقب وكيل باعتبار الوزراء وكلاء عنه في ادرة مصالحهم[4] .

---

[1] حول نص كتاب البيعة ، انظر موسى ، الحسين ، ص ١٥٩ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ص ١٣٦ .

[2] حول نص خطاب الملك حسين بن علي يوم اللبيعة ، انظر جريدة القبلة السنة الاولى ، العدد ٢٢ ٣محرم ١٣٣٥ هـ ، ص ص١-٢ .

[3] الصواف ، المصدر السابق ، ص٢٨٧ .

[4] تألفت الوزارة العربية في الحجاز مما يأتي :

- علي بن الملك حسين رئيساً للوكلاء أي بمثابة رئيس الوزراء .
- عبدالله بن الحسين وكيلاً للخارجية .
- فيصل بن الحسين وكيلاً للداخلية ويعين وكيلاً عنه اخوه عبدالله .
- عبدالعزيز بن علي رئيس اركان حرب ووكيل رئيس الجند . =

وفي اليوم نفسه سارع الامير عبدالله بن الحسين ، بصفته وزيراً للخارجية ابلاغ اللقب . وهو ملك البلاد العربية ، الجديد الذي اتخذه والده الى وزارات خارجية دول الحلفاء والدول المحايدة عن طريق البرق ، طالباً منها الاعتراف باللقب الجديد[1] .

= - الشيخ علي مالكي وكيلاً للمعارف .
- الشيخ يوسف بن سالم وكيلاً للمنافع العمومية .
- الشيخ محمد امين وكيلاً للاوقاف .
- الشيخ احمد باناجة وكيلاً للمالية .
- كما عين الشيخ عبدالله سراج مفتي الاحناف في مكة في منصب قاضي القضاة ووكيلا عن رئيس الوكلاء ، للتفاصيل انظر موسى ، الحسين ، ص ١٦٠ ، الصواف ، المصدر السابق ص ٢٨٨ .

(١) نص بلاغ خارجية حكومة الحجاز على ما يأتي : " بملء السرور ، ابلغ سعادتكم ، ان افاضل البلاد ووجهائها وعلمائها وكافة طبقاتها ، قد اجمعوا صباح هذا اليوم ، واقروا باتفاق الاراء مبايعة حضرة صاحب الجلالة والسيادة مولاي الشريف الاعظم حسين بن علي بالملك على الامة العربية . فهو اليوم ملك العرب الاعظم . بناء على ما تحققته البلاد من كفائته واخلاصه الحقيقي للوطن ورغبته الصادقة في نشر الوية العلم والعدل في جميع ارجاء هذه البلاد العربية ، التي غدرتها عصبة الاتحاد والترقي المعروفة لدى العالم بأسرة بالمساعي والمقاصد المخالفة لكل شريعة ونظام ، ولتعمدها استئصال كيان البلاد المادي والمعنوي ، المنشوده آثاره في طائفة غير قليله من مسلمين ومسيحيين ودروز ، ممن لا ذنب لهم غير وطنيتهم الصادقة ونجابتهم العلمية . وان الامة العربية لتود من سعادتكم اعتبارها عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعية ، كما شيدت ذلك بعانية الله " للمزيد من التفاصيل جريدة القبلة ، السنة الاولى العدد ٢٢ ، ٣ محرم ١٣٣٥هـ .

وفي ١٤ تشرين الثاني زار ابن عزوز احد رجال البعثة الفرنسيه الملك حسين ، وسلمه كتابا من الحكومة الفرنسية جاء فيه انها تعترف به ملكا على الحجاز ، وان يكون لقبه هكذا " جلالة ملك الحجاز " ورد عليه الملك بأن سياستي ستكون مخلصة تجاه حكومتكم المخلصة ، وانني اقسم لك بشرفي انني لن اعمل أي شيء مهما كان شأنه ان يضر بالمصالح الفرنسية في بلدي او خارجه . وانني افضل ان اعتزل السلطة على ان افعل ذلك . انني لن اكون كالاتراك جاحدا نحو فرنسا وانجلترا. وسأعيد هذا بصوت عال على مسامع الكولونيل بريموند في جدة ويشير=

واصدر الامير عبدالله وزيرالخارجية بلاغا رسميا الى الرعايا العثمانيين في الحجاز جاء فيه : " بما ان الحكومة السنية الهاشمية في حالة حرب مع الفئة الطورانية المتغلبة على الحكومة العثمانية ، فيجب على كل الاشخاص التابعين لتلك الحكومة (العثمانية) مهما كان جنسهم ان يبارحوا البلاد الحجازية واذا ارادوا البقاء على تابعيتهم الاولى ومن اراد منهم البقاء في هذه الديار بشرط قبول تابعيتها فليراجع ديوان الشرطة ويقيد اسمه ولقبه ومهنته ومحل اقامته مع الكفالة الرسمية "(١).

ومن جهة اخرى قام الملك الحسن بن علي بتوزيع (٥٠٠٠) جنية على اهالي الحجاز من معوزيهم وفقرائهم ، وذلك محاولة منه لتخفيف الضيق الذي ألم بهم من جراء ظروف الحرب العالمية الاولى(٢).

اما الشريف علي حيدر فقد فشل في مهمته لاستمالة القبائل الحجازية عامة واهل مكة خاصة الى جانب الاتراك ، أي انه لم يترك أي أثر يذكر في تحول الموقف لصالح الاتراك ، خاصة وان الثورة العربية قد رسخت اقدامها منذ ان احتلت قواتها " الوجه " في ٢٥ كانون الثاني ١٩١٧ ، وبذا استحالة على الاتراك السيطرة على مكة المكرمة(٣) . ولذلك اصدر جمال باشا قبل ان يغادر الشام امرا باستدعاء علي حيدر من المدينة المنورة . فعاد الى دمشق في اوائل شهر مارس ١٩١٧ بعد ما قضى هناك نحو ثمانية اشهر ، وكان فخري باشا هو الذي كتب الى جمال باشا طالبا اجلاء الشريف ومن معه ، لانه تبين انه لا فائدة ترجى منهم " فهم مجردون من كل نفوذ بين العربان ، كما ان ابقاءهم يؤدي الى زيادة النفقات والاعباء " . وكانت المدينة في حالة حصار تقريبا ، فأبلغ بلطف لزوم سفره فغادر طيبة بقطار خاص يحرسه عدد

= بريموند بأن الموقف الانجليزي لا يختلف عن موقفهم . للمزيد من التفاصيل انظر Bermond, Op.cit.,P 77.

(١) جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٠ الاثنين ٢٦ ذي الحجة ١٣٣٥هـ .

(٢) جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٢٣ الخميس ٦ محرم ١٣٣٥هـ .

(٣) كان احتلال الوجه امرا لا بد منه للثورة العربية ، اذ انطلقت منها الثورة لتكمل سيطرتها على شمال الحجاز ، للتفاصيل انظر ما كتبه رئيس البعثة العسكرية الفرنسية ، الكولونيل بريموند عن اهمية ذلك الاحتلال كونه شاهد عيان : Bermond, Op.cit.,PP. 96-97

كبير من الجند ومعهم مدافع ورشاشات للمحافظة عليه ، فضلا عن التدابير الخاصة التي اتخذت من المدينة الى تبوك . ولم يطل اقامته في دمشق بل اتجه منها الى لبنان ، حيث أقام في مصيف عاليه ، ولما شعر بأفول نجم الدولة غادر لبنان الى الاستانة[1] . وعلى هذا النحو فشل مشروع الاتحاديين ، الذي اوكلوا مهمته الى الشريف علي حيدر والقاضي بضرب العرب بالعرب ، بل وقفوا على ايمان العرب بقضيهم واخلاصهم لقائدهم الشريف حسين والالتفاف حوله من أجل تحقيق استقلالهم من السيطرة العثمانية.

---

[1] سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص ١٧٦-١٧٧ .

٣ – مراسلات الصلح العثماني الحجازي وانتهاء عمليات الثورة العربية :

ان الدور الكبير والفاعل الذي قامت به القوات العربية في الحجاز وبلاد الشام جعل القيادة العثمانية تدرك خطأ سياستها التي دفعت العرب الى اعلان الثورة ، مما جعلها تفكر في عقد الصلح مع الشريف حسين ، مستغلين كشف البلاشفة[١] لاتفاقية سايكس – بيكو السرية التي عقدها الحلفاء فيما بينهم والتي تقضي بتقسيم البلاد العربية الى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية[٢].

استغل جمال باشا هذا الحدث التاريخي الكبير من اجل التقرب وعقد الصلح مع الملك حسين في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧[٣] ، وكان الملك يؤكد باصرار بانه لم يسمع بوجود هذه الاتفاقية وبشروطها الا بعد ستة اشهر حينما فضحها الشيوعيون في عام ١٩١٧[٤]. وأكد ذلك في افتتاحية احد اعداد جريدة القبله في مقال تحت عنوان (القضية العربية في دورها الجديد) وانه لو فهم من سايكس وبيكو بوجود ترتيبات تتنافى مع الاهداف العربية لتخلى عن تحالفه مع بريطانيا ، ووافق على عقد صلح منفرد مع الاتراك ، الذين وافقوا على استقلال العرب وتحقيق كافة مطالبهم بضمان

---

[١] اول ما عمله الحزب البلشفي عندما استولى على السلطة في روسيا . أثر نجاح ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ (٧ تشرين اول عام ١٩١٧) وسقوط الحكم القيصري فيها ، ان نشر بعض الوثائق السرية الموضوعة في محفوظات وزارة الخارجية القيصرية ومن بينها نصوص اتفاقية سايكس بيكو . للتفاصيل انظر ، نايتلي وسمبسون ، المصدر السابق ، ص ٧٧ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص ٣٥٨ ، موسى وثائق ، ص ٢٤٠ : Bermond, Op.cit.,P 146

[٢] كتب الكثير عن اتفاقية سايكس بيكو التي عقدت في مارس ١٩١٦ بين روسيا وفرنسا وبريطانيا. للتفاصيل انظر انطونيوس ، المصدر السابق ص ٣٥٦ ، موسى ، الحركة ، ص ٣٥٠ Bermond, Op.cit.P197 وكان الباحث الروسي بوندرافسكي يطلق على اتفاقية سايكس بيكو بالاتفاقية المخزية . للتفاصيل انظر بوندرافسكي ، الغرب ضد العالم الاسلامي من الحملات الصليبية حتى يومنا ، ترجمة الياس شاهين ، موسكو ، دار التقدم ، ١٩٨٥ ، ص ٢٣٢ .

[٣] حسن ، المصدر السابق ، ص ١٢٥.

[٤] ناتلي وسمبسون ، المصدر الشابق ، ص ٧٧ .

المانيا . وذهبت الجريدة الى القول " لو ان المراد التربع على منصات المؤتمرات والتبجح على كراسيها ، لامضى جلالة مولانا المنقذ معاهدة فرسايل وما هي في معنى ذلك ... "[1].

جاءت عروض العثمانيين الاولى للصلح على يد جمال باشا في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧ اذ بعث بثلاث رسائل الى القادة الحجازيين اثنتين منها الى كل من الامير فيصل ، وكان حينها في العقبة ، والى القائد جعفر العسكري وذلك بتاريخ ٢٦ تشرين الثاني ١٩١٧[2] ، فيما كانت الثالثة للامير عبدالله ، والذي كان حينها في وادي العيص ، بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩١٧[3].

وحاول جمال باشا ان يبرر في رسالته الى الامير فيصل عن اشتراك الدولة في الحرب على اساس انقاذ العالم الاسلامي من الاوضاع المتردية التي يعانيها ، وتأكيده بان الثورة في الحجاز قد زادت هذه الاوضاعترديا واضرت في وحدة الدولة وعلى الرغم من ذلك فان جمال باشا اراد ابقاء الباب مفتوحا لتسوية الامور سلميا بينهما ، وذلك ما جاء في رسالته :

" سيدي : اننا نمر في هذه الايام بصفحات غامضة وحافلة بالشكوك من تاريخ الاسلام . ان الحكومة الحاضرة التي يقال ولا ادري لماذا – انها (حكومة حزب الاتحاد والترقي) اشتركت في الحرب العالمية الاولى من اجل هدفين : اما تبديل الحياة الذليلة للعالم الاسلامي الى حياة اكثر قوة واستقلالا ، او نموت دون ذلك بشرف وكرامة . وقد توقعت هذه الحكومة ان يشارك العالم الاسلامي كله في هذا الرأي . ومن اجل

---

[1] جريدة القبلة ، العدد ٥٨٤ ، ٨ ايار ١٩٢٢ .

[2] من احمد جمال باشا الى الامير فيصل ، ورسالة اخرى من الاول الى جعفر العسكري في ١٩١٧/١٢/٢٦ ، وثيقة رقم (١٠٠) , (١٠١) ، انظر ، موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ص ١٥١-١٥٣ .

[3] من احمد جمال باشا الى الامير عبدالله ، ١٩١٧/١٢/٥ ، وثيقة رقم (١٠٢) ، انظر المصدر نفسه ج١ ، ص ١٥٣ .

الوصـول الـى هـذا الهـدف ، فـان الحكومـة الحـاضرة استعملت سـلطتها بحكمـــة ، فلم تمارس أي طمـع ، وكالعـادة كـانت تعمـل احيانـا بـاعتدال وتساهل واحيانا اخرى بقسوة وصرامة . وفي لقاءاتنا العديدة كنـت علـى العموم توافق على وجهات نظـري فـي الموضـوع وابلغتنـي فـي برقيتـك الاخيرة انكم فصلتم انفسكم عنـا فصـلا عامـا وان هنـاك بعض الاسـباب لحركتكم هذه ، وهي اسباب وعـدت ان تحيطنـي علمـا بهـا حينمـا تسـمح الظروف بلقائنا في المستقبل[١] . ان ثورتكـم هـذه التـي جلبـت الفوضـــى لن تغير حركة حقه الا من ناحية واحدة الا وهي ضمـان الحصـول علـى الاستقلال والرخاء والقوة للعـالم الاسـلامي ، واسـتمرار ذلـك الـى الابـد ولكن كيف تتصورون تأسيس حكومة عربية تتولى مسؤولية ادراة شؤون العالم الاسلامي بصورة مستقلة وكريمة في الوقت الذي اعلن فيه الحلفـاء ان فلسطين ستخضع لادارة دينية دوليـة ، وان سـورية سـتخضع لفرنسـا والعراق للحكومة البريطـانية . ومن المحتمـل انكم فـي بـاديء الامـر لـم تداركوا ان تكون النتيجة علـى هـذا المنـوال ، ولكننـي اعتقـد ان الجيـش البريطـاني أخذ يستولي على فلسطين تدريجيا ، وقد اعطى البرهان علـى هذه الحقائق وجعلها واضحـة امام عيونكم . ان من المؤلم ان يدرك المرء هذا العامل المدهش ولكن مهما يكن من امر فان فرصة اصلاح الاخطـاء وازالة اسباب سوء التفاهم لم تفـت تمامـا ، فـاذا مـا اقتنعـت بصحـة هـذه الاقوال دعنا نبحث هذه المسألة ونعمل على التوصـل الـى تفـاهم افضــــل ومن اجل تجديد صداقتنا القديمة . اعتقد انني بكتابة هذه الرسالة قد أديت

---

[١] يقصد بها الرسالة التي بعثهـا فيصـل بالشـيفرة لـه والتـي وردت فـي هـذا الكتـاب الفصـل الثـالث سعيد الثورة ج١ ، ص ١١٩ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

واجبا دينيا ملقى على عاتقي والويل لاولئك الناس الذين لا يعتبرون والسلام على من اتبع الهدى "[1].

وقد ارفقت هذه الرسالة بورقة صغيرة تضمنت النقاط التي يمكن في ضوئها اجراء المفاوضات ، جاء فيها اقرار الحكم الذاتي الكامل للولايات العربية ، واعتراف باستقلال العرب[2] واكد جمال في هذه الورقة قوله ، اذا تم الاتفاق على هذه النقاط فان تصديقها لا يضمن من قبل السلطان فحسب بل من الحكومة الالمانية ايضا[3].

وتضمنت رسالتا جمال باشا الاخيرتان ، لكل من جعفر وعبدالله[4] في مضامينها نفس الدعوة التي وجهها لفيصل وذلك بتسوية الامور حفاظا على وحدة الاسلام والمسلمين ، وادعى في رسالته للامير عبدالله بان شخصا يدعى (احمد النقيب) انه مبعوث من قبل الامير عبدالله فطلب السفاح معلومات عن حقيقة هذا الشخص ، وجاء في رسالته " كنت بعثت برسالة الى ابيك الشريف مع رسول . وقد شرحت له بعض النقاط التي خطرت لي ، وهي نقاط بعيدة كل البعد عن الشكوك والمطامع . انني لا اشك في انك سوف تتأمل في الموضوع بعناية وصراحة . ولست ارى انه قد فات الوقت بالنسبة لبحث افكار المسلمين وارتباطاتهم المتعلقة بانهيار

---

[1] من جمال باشا الى الامير فيصل في ١٩١٧/١١/٢٦ ، وثيقة رقم (١٠١) ، انظر موسى المراسلات ، ج١ ، ص ص ١٥٢-١٥٣ .

[2] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٥ ، لورنس ، اعمدة ، ص ٣٩١ .

[3] محمود كامل المحامي ، الدولة العربية الكبرى ، (دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٦٦) ص ٣١٢ انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٥٩ .

[4] اكد جمال في رسالته الى جعفر العسكري رغبته بالتقرب الشديد الى جعفر العسكري ، حيث طلب منه اللقاء معه شخصيا واعتبره الصديق المفضل له وتذكر تعاونه معه في الهجوم على مصر واكد السفاح في رسالته بحسن نيته وان ينتظره في معان ومن ثم يتوجها سوية الى سوريا ، واقسم السفاح بشرفه بانه سيكون مخلصا له ، للتفاصيل عن نص الرسالة التي بعثها جمال باشا الى جعفر العسكري في ١٩١٧/١١/٢٦ ، وثيقة رقم (١٠٠) ، انظر موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ١٥١.

الاتحاد الاسلامي ، وهذا هو شعوري " ثم ورد في اسفل الرسالة حاشية جاء فيها " وصل الى هنا شخص اسمه احمد النقيب وهو يدعي انك ارسلته ممثلا لك ، ولكنه لا يحمل رسالة منك ولذلك لم نقبل ادعاءه . وهذا الرجل قد ارسل لك رسالة مع رسول خاص . فارجو ان تعلمنا اذا كان حقا معتمدا لك "[1] .

ولم يكتف جمال باشا بذلك ، بل اتخذ نشاطا واسعا لفضح اتفاقية سايكس بيكو في الاوساط كافة ، محاولا كسب الرأي العام الشعبي ، على ما يبدو ، من اجل تحقيق مشروع الصلح مع العرب من خلال الشريف حسين . اذ دعا ببيروت في ٤ كانون الاول ١٩١٧ ، الى مأدبة جمع فيها اعيان ووجوه سوريا ، فالقى عليهم خطبة اشار فيها الى عرض الصلح الذي قدمه للشريف حسين ، بعد ان راجع الاضرار التي لحقت بالدولة والعرب على السواء ، والخديعة التي وقع بها الحسين جراء تصديقه وعود الحلفاء الكاذبة التي لوحوا بها لاجل مصالحهم ، وراح يلوم الحسين لكونه السبب في وصول قوات الحلفاء الى ابواب القدس دون ان يغفل (جمال) تجديد نصائحه السابقة ، والعدول عن الخطأ[2] .

وكان جمال قد اكد في خطبته القول " كنت حريصا علىان اعلم كيف استمال الانجليز الشريف حسينا اليهم ، ولكن بعض القادمين اخيرا من تلك الجهات قد ازالوا الستار عن وجه الحقيقة واعان على ذلك ايضا ما ورد في متن العهود الخفية التي نشرت اخيرا في بطرسبورغ " واشار كذلك بأن الشريف حسين قد انخدع باقوال الانجليز " واخل بوحدة الاسلام وشرفه . ان الانجليز بعد ان اخذوا وعدا من الشريف حسين بالعصيان (أي الثورة) قرروا المدافعة عن الترعة ضمن شبه جزيرة سيناء

---

[1] من احمد جمال باشا الى الامير عبدالله في ١٩١٧/١٢/٥ ، وثيقة قو (١٠٢) ، انظر المصدر نفسه ج١ ، ص ١٥٣ .

[2] انظر وهيم ، المصدر السابق ، ص ١٦٥ .

... ان الانجليز لم يجتازوا الترعة الا بعد تأمين خروج الشريف وعصيانه فاذا كانوا اليوم اصبحوا أمام القدس فذلك نتيجة عصيان الشريف حسين في مكة "[1].

ويشير جمال صراحة بانه بعث كتاب الى الشريف حسين وضح فيه تلك الحقائق بقوله " بعثت اخيرا الى الشريف حسين باشا كتابا صورت له فيه هذه الحقائق ، وافهمته مركزه الحاضر وخطره ، فاذا كان مسلما حقيقيا وكان جامعا لمزايا العرب وخصائلها واحساساتها يقلب للانجليز ظهر المجن ويؤول راجعا الى خليفة الاسلام والمسلمين . وانني قد قمت بواجباتي الدينية راجيا من الله جل وعلا ان يلهمه طريق الرشد والصواب والهدايه "[2].

وهكذا نلحظ من خلال خطاب جمال باشا في بيروت بان رسالته للشريف حسين لم تكن تخلو من التشفي بسبب نكث البريطانيين بوعودهم له .

وامر جمال باشا بنشر هذه الحقائق في صحف بيروت ودمشق ، واصدر عددا خاصا بهذه الحقائق في صحيفة الشرق الناطقة بلسان الحكومة[3]. وهربت نسخ من هذه الصحيفة الى مكة عبر المدينة التي لم تزل تحت السيادة العثمانية[4] .

وفي ٢٤ كانون اول ١٩١٧ بعث الامير فيصل الى والده رسالة جاء فيها " وردني خطابا مهم جدا من جمال باشا قائد الجيوش العثمانية في سورية يفيدني بطلب الصلح ، ويقول ان الدولة العثمانية تريد البحث في المسائل ، ويعرض ان اتقابل انا

---

[1] حول نص جمال باشا في بيروت ، انظر جريدة القبلة ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦ انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ص ٣٥٩-٣٦٠ ، انيس صايغ (الهاشميون والقضية الفلسطينية ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦) ، ص ٦٢ ، صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص ١٢٣ .

[2] جريدة القبلة ، العدد ١٨٨ ، ٢ رمضان ١٣٣٦هـ .

[3] صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص ١٢٣ ، صايغ ، الهاشميون والقضية ، ص ٦٢ ، انطونيوس المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

[4] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

والشيخ بدرالدين[1] في مكان معين ، وسيخبرني الشيخ بدرالدين بآراء الدولة العثمانية ، وسوف لا اسرع في شيء حتى يردني منكم الجواب "[2] . وقد ارفق فيصل مع الرسالة الرسالتين اللتين بعثهما جمال له ولاخيه ليطلع عليهما والده[3] . الذي قام بدوره بتقديم تلك المراسلات الى المندوب السامي في مصر (السير ريجالند ونجت) وطلب منه تزويده بتفسيرعن الاتفاقية السرية التي ذكرها جمال باشا[4] .

ومن الملاحظ ان سياسة جمال باشا تجاه العرب قد تغيرت الى حد ما بعد ان اعلن الشريف حسين ثورته ، وكان الهدف من ذلك بلا شك كسب العرب الى جانبه ويبدو ان جمال باشا كان موقنا بصعوبة تراجع الشريف حسين وابنائه عن الثورة التي عقدوا عليها آمالا كبيرة . والشيء المثير للانتباه في رسالة جمال الى فيصل ان عبارات التهديد فيها تطغي بعض الشيء على عبارات المجاملة الدبلوماسية والترغيب في عقد الصلح ، كقوله " ان ثورتكم هذه جلبت الفوضى " او قوله " والويل لاولئك الناس الذين لا يعتبرون والسلام على من اتبع الهدى " . بل ان جمال لم يكن متحمسا للقاء مع فيصل ، كما هو واضح من رسالته ، مما يؤكد انه كان يستبعد كسب فيصل الى جانب العثمانيين ، مما يجعلنا نرجح بان رسائل جمال باشا لم تعبر عن نية صادقة بشأن الصلح مع العرب ، بقدر ما كانت تهدف الى شق صف رجال الثورة فقد توقع حدوث خلاف بينهم حول مسألة قبول العرض العثماني او عدم قبوله وسيكون قبول أي من هؤلاء لفكرة الصلح كسبا كبيرا للعثمانيين ، خاصة بعد ان اعلن جمال نفسه في بيروت اتفاقية سايكس – بيكو . ولا شك ان عبارات التهديد

---

[1] الشيخ بدرالدين الحسيني هو كبير علماء الدين في دمشق ، انظر موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ١٥٤ .

[2] بعض الرسائل المتبادلة له بشأن عرض الاتراك الصلح من فيصل الى الملك حسين ، وثيقة رقم (١٠٣) ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٥٤ ، صايغ ، الهاشميون والثورة ، ص ١٢٣ .

[3] انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٦٢ .

[4] من الحسين الى ونجت ١٩١٧/١٢/٢٠ ، وثيقة رقم ١٠٧ ، موسى ، المراسلات ، ج١ ،ص ١٥٧ .

والازدراء تعد نقطة ضعف كبيرة تؤخذ على جمال باشا بل تعبر عن افق دبلوماسي ضيق . ويبدو ان جمال قد ادرك صعوبة التفاهم مع فيصل بل استحالته على حد تعبير لورنس باعتباره " الذي شنق اصدقاء فيصل في سوريا ولا يمكن ان يتجاهل دماء اصدقائه وهو العربي الوفي "[1].

وهنا كتب جمال باشا الى جعفر العسكري اعتقادا منه بانه الحلقة الضعيفة في قيادة الثورة ، وبالامكان جذبه الى جانب الدولة العثمانية نظرا لخدماته السابقة في الجيش العثماني ، واعتقادا منه ان قبول جعفر العسكري بفكرة الصلح سيؤدي الى انضمام العديد من الضباط والجنود العرب الى جانب الدولة العثمانية ، نظرا لما للعسكري من شعبية بين صفوفهم ، ولا شك انه اراد بذلك احداث خلاف بين قادة الثورة[2].

ومن هنا نلاحظ بان رسالة جمال باشا الى العسكري كانت اكثر رقة وتوددا من رسالته الى كل من فيصل وعبدالله ، فهو يقول له فيها : " وقد بلغني انباء جميع الجهود التي بذلتها في مصر ، وقد احزنني كثيرا وقوعك في الاسر بعد نشاطاتك البطولية ضد العدو " ، ثم عمل على اثارة شعوره الديني بقوله " ولكن بعد هذا كله اراك تحارب في صفوف الجيش الذي ادت نشاطاته الى انتصار الجنرال اللنبي والى سقوط القدس التي دافع عنها صلاح الدين "[3] وفي رسالتيه الى فيصل وعبدالله حاول جمال باشا ايضا اثارة شعورهما الديني ولكن ليس بهذا الاسلوب[4] . ولم يكتف جمال باشا بهذا ، بل انه عرض على العسكري فكرة الاجتماع به شخصيا في محاولة منه لاقناعه بالشكل الذي قد لا تستطيعه المراسلات ، والحقيقة ليس هناك ما يشير الى

---

(1) لورنس ، اعمدة ، ص ٣٥٤ ، نديم ، المصدر السابق ، ص ٢٤ .

(2) محمد ، جعفر ، ص ٣٣ .

(3) من جمال باشا الى جعفر العسكري ، الوثيقة رقم (١٠٠) ، موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ١٥١ .

(4) انظر نص رسالتي جمال باشا الى فيصل وعبدالله في الوثيقتين (١٠١) و (١٠٢) ، موسى المراسلات ، ج١ ، ص ص ١٥٢-١٥٣ .

ان جمال باشا كان ينوي الغدر بالعسكري عندما طلب الاجتماع به ، لانه ادرك ان سياسة البطش هي التي دفعت العرب الى الثورة ، ونستنتج ذلك من قوله ، " انني اقسم بشرفي انك ستكون في امان تام "[1].

وعلى ايه حال لم يستجب احد من القادة لنداء جمال باشا لانهم كانوا موقنين انه لم يكن مخلصا في نواياه ، فضلا عن قناعتهم بانتصار الحلفاء في الحرب ، وهزيمة العثمانيين . وبذلك فشلت محاولته في احتواء الثورة من الداخل باثارة الخلاف بين قادتها بعد ان عجزت كل المحاولات العسكرية العثمانية لايقاف زحف الجيش العربي نحو بلاد الشام[2].

وهدف جمال باشا في مراسلاته الى اثارة العرب ضد بريطانيا واحداث خلاف بين الطرفين فهو في كلا الحالتين ، اذا حدث خلاف بين قادة الثورة او خلاف بين العرب وبريطانيا فانه سيحقق هدفه ، وقد حدث شيئا من ذلك فعلا بعد وصول رسائله ، اذ استفسر الشريف حسين من المسؤولين البريطانيين حول مضمون الاتفاقيات السرية[3]. فصور له هؤلاء المسؤولون ان الامر لا يعد اكثر من خطة عثمانيه تهدف الى احداث تصدع في العلاقات بين الجانبين[4] ، لكن الشريف حاول استغلال عرض السلام هذا للضغط على بريطانيا للحصول على تأكيد لوعودها باستقلال العرب[5] .

---

(1) من احمد جمال باشا الى جعفر العسكري ، الوثيقة رقم (١٠٠) ، المصدر نفسه ، ص ١٥١ .

(2) انظر محمد ، جعفر ، ص ٣٤ .

(3) من الملك حسين الى ونجت ١٩١٧/١٢/٢٠ ، الوثيقة رقم (١٠٧) موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ص ١٠٦-١٠٧ .

(4) من ونجت الى الملك حسين ، الوثيقة رقم (١١٧) في ١٩١٨/١/١٢ ، من الكولونيل باست الى الملك حسين ، الوثيقة رقم (١١٨) في ١٩١٨/١/١٩ ، انظر المصدر نفسه ، ص ص ١١٧-١١٨

(5) من ونجت الى وزارة الخارجية لندن ، الوثيقة رقم (١٢١) في ١٩١٨/١/٢٢ ، المصدر نفسه ص ص ١٦٦-١٦٧ .

ولم تترك عروض جمال باشا للتفاهم مع العرب اثرا كبيرا على فعاليات الجيش العربي ، اذ ان تلك الفعاليات استمرت دون توقف ، وقد اعترض بعض الضباط العرب على تكليف الجيش العربي بواجبات ثانوية ، اعتقادا منهم ان البريطانيين يتعمدون ذلك من اجل ان يبقى الجيش العربي في الخلف كي لا ينال شرف تحرير سوريا ، وهدد هؤلاء بترك الخدمة اذا ما استمر الوضع على هذا الحال[1].

وكانت توجيهات الملك حسين لابنه فيصل ان لا يتخذ أي اجراء في الوقت الحاضر وان يستلم الاوامر من ونجت او من الجنرال اللنبي لانه مرتبط بمعاهدة معهم[2] . كما ارسل الحسين لابنه فيصل رسالتان فحواهما عدم التدخل في موضوع الصلح وانه لا يمكن التقارب مع العثمانيين نهائيا[3] ، وذلك ما يظهر جليا من الرسالة التي بعث بها الحسين الى فيصل في ١١ كانون الثاني ١٩١٨ والتي اكدت على ثقة الحسين بالحلفاء واعتبرهم السند القوي له ، ولا يتعامل مع أي طرف آخر سواهم ، اذ قال في برقيته " الحلفاء اجل واكبر من ان يخلوا بحرف من مقرراتنا معهم ، وهم احرص الناس على ملاحظة مثل هذه الدقائق فلا تفكر في ذلك واطمئن ، واعلم انه لا حكم بيننا وبين الترك الا السيف ، كما اشرت لك في تحريراتي بتاريخ امس "[4] .

وفي الاول من شباط ١٩١٨ ، عاود الاتحاديون مرة اخرى طرق باب الصلح مع الشريف حسين على يد جمال الثاني او (الصغير) الذي تسلم قيادة الجيش الرابع

---

(1) العمري ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٢٤٤ .

(2) من الملك الحسين الى المعتمد البريطاني ، الوثيقة رقم (١٠٦) ، (جدة ، ١٩١٧/١٢/١٧) ، من الملك حسين الى ونجت ، الوثيقة رقم (١٠٧) ، ١٩١٧/١٢/٢٠ . انظر موسى ، المراسلات ، ج١ ص ص ١٥٦-١٥٧ .

(3) من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة رقم (١٠٥) في ١٩١٧/١٢/١٧ ، المصدر نفسه ، ص ١٥٦ من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة (١١٦) في ١٩١٨/١/١١ ، المصدر نفسه ، ص ١٦٢.

(4) من الملك حسين الى فيصل ، الوثيقة (١١٦) في ١٩١٨/١/١١ .

بدلا من احمد جمال باشا السفاح[1] . اذ اوفد الصغير رسولا الى الامير فيصل يدعوه مجدداً لعقد الصلح وكان فيصل في هذا الوقت يخشى الحلفاء نتيجة لما اتضح له من خلال اتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ ووعد بلفور عام ١٩١٧ فضلا عن مراوغة الحلفاء الاخرى . فلم يعارض فيصل عرض الصلح شريطة انسحاب القوات العثمانية من المدينة المنورة ومعان وجميع محطات سكك الحديد حتى عمان ، واعتقد فيصل ان هذه المكاسب ستغري والده من اجل اقناعه بتجدد مفاوضات الصلح مع العثمانيين. غير ان الحسين أصر على رفضه لمشروع الصلح ، مؤكدا لفيصل ثقته ببريطانيا ووفاء الحلفاء بوعدهم ، ثم بعث بدعوة جمال الصغير وموقفه منها الى السير ونجت[2] .

واشادت الحكومة البريطانية بموقف الحسين من العروض العثمانية باعتباره انموذجا لصدق العلاقة القائمة بين الطرفين ، وذلك من خلال المذكرة التي وجهها اللورد بلفور الى ونجت في ٤ شباط ١٩١٨ ، الذي ابلغها بدوره الى الحسين في ٨ شباط ، وقد كذبت المذكرة الاشاعات والاتهامات التي تثيرها الدولة العثمانية ضد الحلفاء من أجل بث الخلاف بينهم وبين العرب ، واضافت المذكرة ان الحكومة البريطانية " مع الدول المحالفة لها ما تزال تلتزم بموقف الدفاع عن قضية الامم

خدم ثلاثة من القادة الاتراك وهم يحملون اسم جمال في سورية خلال الحرب ، اولهما احمد باشا الكبير (وزير الخارجية الحربية) وثانيهما جمال باشا الثاني (الصغير) الذي اعقبه في قيادة الجيش الرابع حتى ايلول ١٩١٨ وثالثهما محمد جمال باشا (الثالث) قائد قوات معان فترة من الزمن ، انظر موسى ، الحركة ، ص ٣٨٤. اما سبب عزل جمال باشا السفاح فيعود الى محاولته الانقلابية التي حاول تنفيذها على الاستانة ، بعد ان تعهدت له الدول المتحالفه ان يعطوه سلطة على دول سوريا وفلسطين والعراق وعربستان وكايكبا وارمينيا وكردستان ، وان تكون وراثية له ولأبنائه ، شريطة ان يعلن السفاح ان السلطان الحالي وحكومته اسرى بيد الالمان ويعلن الحرب عليهم ، انظر حسن ، المصدر السابق ، ص ١٤٩ .

[2] موسى ، الحركة ، ص ٣٧٩ .

المظلومة وهي مصممة على الوقوف الى جانب الشعوب العربية في جهادها الرامي الى قيام عالم عربي يسوده القانون والشرع بدل من الظلم العثماني[١] .

وفي ٥ حزيران ١٩١٨ حاول جمال باشا (الصغير) مد يد الصلح مرة اخرى من الامير فيصل ، وقد اجاب الاخير بالقبول مقابل الشروط الآتية :

١ - نقل جميع القوات العسكرية المرابطة على خط سكة الحديد بين المدينة - عمان الى عمان.

٢ - التحاق جميع الضباط العرب الموجودين في الاناضول والروميللي بالجيش العربي.

٣ - يوضع الجيش العربي تحت امرة قائده حالة اشتراكه بجانب الدولة العثمانية ضد العدو.

٤ - اعطاء سوريا استقلالا ذاتيا .

٥ - تمتنع القوات العثمانية من الاستحواذ على اية كمية من المواد التموينية الموجودة في سورية في الوقت الحاضر ، لتبقى تحت تصرف الجيش العربي[٢] .

ولا غرابة في ان يكون للتذمر الذي ساد القوات العربية ازاء حقيقة اهداف الحلفاء اثره في اضطرار فيصل لاتخاذ الموقف الاخير ، رغم وصول اوامر والده القاضية برفض التقارب من العثمانيين ، بل ان فيصل نفسه كان يخشى الحلفاء لما علم باتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور ، اذ كان يميل للاتفاق المناسب الذي يضمن

---

[١] من وزارة الخارجية البريطانية الى السير ريجالند ونجت ، الوثيقة رقم (١٣٤) ، ٤ شباط ١٩١٨ موسى ، المراسلات ، ج١ ، ص ص ١٧٨-١٧٩ .

[٢] شروط فيصل للصلح مع الاتراك ، الوثيقة رقم (١٥٠) في ١٠ حزيران ١٩١٨ ، انظر موسى المراسلات ، ج١ ، ص ١٩٥ .

سلامة استقلال العرب وتنفيذ مطالبه السابقة ، لذا طلب فيصل من الصغير ضرورة الاسراع في الاجابة على مطالبه قبل فوات الاوان[١] .

وعلى الفور بعث الصغير بالامير محمد سعيد الجزائري ممثلا له في التفاوض مع فيصل[٢] وتم اول لقاء بينهما في منطقة (وهيده) الواقعة الى الجنوب من منطقة (وادي موسى والى الغرب من مدينة معان) وذلك في ١٢ آب ١٩١٨ ، وسلم الجزائري فيصل رساله جمال الصغير التي دعا فيها الى انهاء الفتنة وايقاف القتال بين المسلمين[٣] واستعداد الدولة العثمانية لقبول جميع المطاليب التي يتقدم بها العرب[٤] .

ويبدو ان الامير فيصل لم يكن قانعا بالرسالة الاخيرة والتي سبق وان تسلم مثلها من قبل ، ولم يجد فيها ما يعجل في اتمام الصلح ، واعتبر هذه الرسائل سببا في ضياع الوقت ، في الوقت الذي امسى فيه الوضع العسكري في غاية الخطورة . ومع ذلك فقد طرح فيصل مطالبة المتمثله بحرية واستقلال العرب ضمن اتحاد لا مركزي مع الدول العثمانية ، واذا ما ابدت الدولة استعدادها لذلك فالعرب علىاستعداد للموافقة على الصلح[٥].

ورفع جمال الصغير مطالب فيصل الى الاستانة فوافق عليها السلطان واصدر اوامره باقرار مطالب الجانب العربي ، غير ان كلا من انور وطلعت باشا اهملا الامر ، لانهما كانا رافضين لهذه المشاريع ، ولم يبلغا القوات العثمانية في

---

[١] قدري ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .

[٢] ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ٣١٢.

[٣] ميداني ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، موسى ، الحركة ، ص ٣٩٤ ، موسى ، لورنس ، ص ١٨٩.

[٤] من فيصل الى الملك حسين ، بواسطة المعتمد البريطاني الوثيقة رقم (١٦٩) في ١٥ آب ١٩١٨ موسى ، المراسلات ، ص ٢١٠ .

[٥] ويضيف البعض ان فيصل طلب انسحاب القوات العثمانية عن البلاد العربية لاعلان استقلالها . للتفاصيل انظر موسى ، الحركة ، ص ٣٩٤ . سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص ٣١٣-٣١٤ ميداني ، المصدر السابق ، ص ص ٧٠-٧٠ ، موسى ، لورانس ، ص ١٨٩ .

سوريا بالامر الا بعد الهزيمة التي احاقت بهذه القوات وخروجها من فلسطين مندحرة[1] .

وهكذا فشلت آخر محاولات الصلح بين الشريف واولاده والعثمانين خلال فترة الحرب ، والذي ، على ما يبدو ، ان الشريف حسين لم يكن راضيا عنها لعدم موافقته التقرب الى العثمانيين وابداء الصلح معهم مهما كلف الامر لالتزاماته مع بريطانيا .

ومن جهة اخرى ان موعد الهجوم البريطاني العام كان يلوح في الافق لذا لم يتمكن الامير فيصل من اتخاذ أي اجراءات مناسبة في مثل هذه الظروف . اذ عزم اللنبي على القيام بهجومه الكبير في ١٩ ايلول ١٩١٨ وحيث كانت الخطة بالاتفاق مع الامير فيصل ، ان يقوم العرب بالهجوم من ناحيتهم قبل الموعد ليخففوا الضغط الموجه للانجليز[2] ، وعليه ففي ١٦ ايلول ١٩١٨ قام العرب بقطع الخط الحديدي بين المفرق ودرعا ، وهي اهم مركز مواصلات خلف خطوط العثمانيين ، فارتكبت مواصلات العثمانيين ، وفي ١٩ ايلول ١٩١٨ بدأ اللنبي هجومه ، وثارت بلاد حوران في وجه العثمانيين ، وتمكنت طلائع العرب من السيطرة على معان في ٢٣ ايلول ١٩١٨ وعلى درعا في ٢٧ منه واخذوا ٣٥٠٠ أسير في يومين ، وفي ٣٠ منه وصلت طلائع العرب الى ضواحي دمشق ودخلتها في اليوم التالي باسم الملك حسين[3] .

وكان الامير فيصل قد ارسل الى جمال الصغير قائد الجيش الرابع قبل خمسة ايام من الزحف على دمشق رسالة يدعوه فيها التسليم بقوله " أظن ان كل ما وقع هو نتيجة اعمالكم . ونحن انما ادينا الواجب حسب الوجدان . وانتم اكثر من كل احد

---

(1) سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ٣٠٤ .

(2) للتفاصيل انظر موسى ، الحسين ، ص ١٨٧ .

(3) حول العمليات الحربية ، انظر موسى ، الحسين ، ص ٨٧ ، وعن دور فيصل في هذه العميات انظر محمد صبيح ، فيصل الاول ، (دار احياء الكتب العربة ، القاهرة ، د.ت) ، ص ص ٤٨-٤٩ ، وحول معاملة العرب للاسرى العثمانيين ، راجع الوثيقتين (١٥٥) و(١٥٦) من كتاب موسى ، المراسلات ، ص ص ١٩٩-٢٠٠ .

مطلعون على الحقائق ، وشاهد على الاحداث ان المقاومة في دمشق لا جدوى لها بل هي مضرة لكم وللاهلين على السواء. وعلى الخصوص بالمصلحة العامة. فأرجو ان تقبلوا بالتسليم ضمن شروط ، وذلك خلال اثني عشرة ساعة . واني منتظر جوابكم ضمن نطاق اثني عشرة ساعة . واذا لم تذعنوا فانتم المسؤولون امام الله والوجدان "(١). ولا شك ان جمال لم يعلن الاستسلام ، الامر الذي دفع بالقوات العربية على تحرير دمشق في ٣١ تشرين الثاني عام ١٩١٨(٢) .

وهكذا ساد تدهور وانكسار القوات العثمانية في جميع الجهات الامر الذي دفعها الى قبول التوقيع على معاهدة مودرس مع الحلفاء في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ والتي ادت الى انتهاء الحرب العالمية الاولى(٣) ، اما العمليات العسكرية للثورة العربية فقد استمرت حتى ٧ كانون الثاني ١٩١٩ عندما دخل طلائع العرب المدينة المنورة باسم الحكومة العربية الهاشمية ، الذي عين الامير علي اميرا عليها(٤).

وعلى ذلك لا بد من القول ، بانه على الرغم من اعتراف العثمانيين في مراسلاتهم باهمية الثورة ودورها الفعال والمؤثر على انهيار الدول العثمانية وهزيمتها في الحرب . الا ان هناك من الباحثين من اغمضها حقها وقلل من شأنها ولم يعتبرها ثورة عربية قومية قامت باسم العرب وعبرت عن مطالبهم ، وانما اعتبرها تمرد من جانب الشريف على العثمانيين بسبب طمعه في الخلافة والاستقلال .

وعلى سبيل المثال ، اذا اخذنا ما كتبه الاستاذ ساطع الحصري في كتابه "محاضرات في نشوء الفكرة القومية " عن الثورة حيث يقول : " لا شك في ان عدم

---

(١) حول رسالة الامير فيصل الى جمال الصغير ، انظر بيهم ، سورية ، ص ٧٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٤ .

(٣) Bermond, Op.cit ,P308

(٤) رفض فخري باشا التسليم حتى بعد ان امره وزير الحربية العثماني رسميا بالتسليم واستمر يقود قواته في المدينة المنورة ، حتى ساد روح التمرد بين صفوف قواته وكثرة هزائمه الامر الذي اجبره على التسليم في ٧ كانون الثاني ١٩١٩ ، انظر موسى ، الحسين ص ١٨٨ .

قيام الثورة ما كان يؤثر في اتجاه الحرب ونتائجها تأثيرا يذكر "[1]. وهذا القول يخالف الحقيقة لان الثورة العربية أدت دورا بارزا في هذه الحرب ، ومكنت الحلفاء من النصر النهائي ، والشواهد والادلة على ذلك كثيرة ومؤيدة لرأينا ، بعضها باعتراف الانجليز والفرنسين الذين كانوا على صلة بهذه الثورة وباشروا مهام ومسؤوليات التعاون معها . ومن ذلك اعتراف لويد جورج خلال الجلسة السرية لمؤتمر الصلح التي عقدت في سان ريمو في ٢٠ آذار ١٩١٩ قوله ، " ان معونة العرب لنا خلال الحرب كانت امرا لا غنى عنه " . واستشهد بالجنرال اللنبي الذي كان حاضرا الاجتماع[2].

ويؤكد هذا القول بريموند رئيس البعثة العسكرية الفرنسية في الحجاز بقوله : " ان هناك تقريرا قدمته لوزارة الحربية الفرنسية في ٥ آب ١٩١٦م ، (رقم التقرير ٥٠٣٢-٩-١١) جاء فيه ، ان ثورة عربية ضد السيادة التركية امر يخدم المصالح الفرنسية بكل تأكيد ... " وفي مكان آخر يقول " ان ثورة الحجاز قدمت من غير ريب خدمة جليلة لقضية الحلفاء "[3].

اما لورنس في كتابه " اعمدة الحكمة السبعة " فانه يؤكد اهمية الدور الكبير الذي ادته الثورة العربية مما جعله يحس بعقدة الذنب او الخجل بينه وبين نفسه نتيجة معرفته بعدم اخلاص الحلفاء للعرب مثل اخلاص العرب لهم ، اذ يقول " لقد كنت اؤمن بالحركة العربية ايمانا عميقا ، وكنت واثقا قبل ان احضر الى الحجاز انها هي الفكرة التي ستمزق تركيا شر ممزق "[4]. ثم يصف الثورة باعتباره شاهد عيان لها في الحجاز بقوله : " لقد احدثت الثورة العربية في نفسي اثرا عظيما . فقد لمست عزما اكيدا على طرد الاتراك وانزال الهزيمة بهم " ، ثم يقول في موضع آخر : "

---

[1] الحصري ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥.

[2] Lioyd George, The Turth about the peace Treaties Vol. 2, London, 1838, PP. 1075-1076 .

[3] Bermond, Op.cit.,PP. 35-36 .

[4] لورنس ، اعمدة ، ص ٥٥ .

كان على المستشارين (يقصد الانجليز منهم والفرنسيين) ان يعملوا ان العرب اذا ما ركبوا متن عقيدة واسلموا زمام امرهم الى زعيم مدجج بالسلاح واوكلوا اليه توجيه جهودهم غير المحدودة ، فان في استطاعة الايدي الماهرة ان تصل بهم ليس الى دمشق فحسب ، بل الى القسطنطينية ايضا "[1] اما الامير مصطفى الشهابي فقد خلص في كتابه " محاضرات في الاستعمار عن الثورة العربية بقوله : " ان الثورة العربية كانت في اليقظة الحديثة اول عمل عظيم نهض به العرب لاسترداد حريتهم السليبة . وقد أدت هي وعوامل اخرى الى استقلال الحجاز ونجد واليمن استقلالا تاما ، والى اعتراف الحلفاء للعرب بكيانهم القومي وبلغتهم العربية في الشام والعراق والذي يقدر له ان يبتلي بحكم الاتراك وان يعيش معهم بلا قومية ولا لغة ، يدرك لمثل هذا الاعتراف من شأن في حياة الامم ، فالثورة المذكورة لم تبلغنا كل ما كنا نبتغيه منها ولكنها حققت جانبا من اهدافنا القومية ، وعلمتنا كيف نسعى في تحقيق الجانب الآخر ، وجعلت خصمنا في الشام والعراق دولتين استعماريتين كان لهما مطامع سياسية في ذنيك القطرين ، ولكن لم يكن لهما مطامع قومية كالمطامع التي كانت للحكومة التركية ، فقد كنا مع الاتراك فاقدين للسيادة الداخلية والخارجية ، وكنا فوق ذلك غير معترف لنا بلغتنا وبقوميتنا ، وكنا مساقين الى التّترك ، فاصبحنا مع الدولتين المذكورتين معرضين لفقد السيادة فحسب وكلا الوضعين كان شرا ، ولكن بعض الشر أهون من بعض ، ولما كان من غير الجائز لامة حية ان تقبل بفقد سيادتها ، أي بتسلط دولة أجنبية على شؤون الحكومة في بلادها سرعان ما بدأ القتال المرير بيننا وبين انجلترا وفرنسة على السيادة في العراق والشام "[2] .

---

(1) المصدر نفسه ، ص ٩٦ .

(2) الشهابي ، المصدر السابق ، ص ص ٨٣-٨٤ .

الفصل الخامس

طبيعة المراسلات المتبادلة

بين الشريف حسين والعثمانيين وتطورها ١٩٠٨ - ١٩١٨

الفصل الخامس

طبيعة المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والعثمانيين وتطورها
١٩٠٨-١٩١٨

اولاً - صيغ المراسلات وتطورها

١- المراسلات المباشرة

أ- المراسلات في الحالات الاعتيادية

الفرمانات

المراسلات المتبادلة باليد

الاتصال المباشر (المراسلات الشفهية غير الخطية)

ب- المراسلات المستعجلة

البرقيات المستعجلة

الاتصالات اللاسلكية

المراسلات بالنيابة أو بالوكالة

٢- المراسلات غير المباشرة

أ- المنشورات صيغة للمراسلات

ب- المراسلات من خلال الصحف

جـ- المراسلات من خلال الوساطات الشخصية

ثانياً - لهجة المراسلات وتطورها

١- مرحلة ما قبل الحرب

٢- مرحلة ما قبل الثورة

٣- مرحلة الثورة العربية

أولاً – صيغ المراسلات وتطورها :

١– المراسلات المباشرة :

أ– المراسلات في الحالات الاعتيادية :

الفرمانـــات :

اتخذت المراسلات صيغاً مختلفة ، فمنها ما كانت تحمل باليد عن طريق اشخاص كان يتم ايفادهم من قبل الشريف حسين أو الدولة العثمانية ، أو ما كان يكلف به أولئك الاشخاص للقيام بالمراسلة عن طريق التفاهم المباشر ، فضلاً عن الفرمانات السلطانية ، وهذا ما يكون في الحالات الاعتيادية .

وتعد الفرمانات[١] أهم صيغ المراسلات لما تحمله من مسوغات رسمية ، اذ كان اصحاب المراكز المهمة في الدولة العثمانية يولون بمراكزهم وفقاً لفرمانات تصدر عن الباب العالي . وكان يرسل الى أمير مكة المعين حديثاً وثيقة " براءة " أو ما يسمى " منشور الامارة " المتضمن تعينه في الامارة[٢]. وكان السلطان يكتب بخط يده في الطرف العلوي من الرسالة المرسلة الى أمراء مكة بضعة اسطر تتضمن بعض التوصيات أو التمنيات أو حسب ما يقتضيه الامر[٣]. ومن الجدير بالذكر أن

---

[١] هي كلمة فارسية معناها عهد بالولاية ، انظر ناصيف المصدر السابق ، ج١ ، ص١٠ ٠

[٢] اذ جاء في فرمان السلطان عبدالحميد الثاني الى الشريف حسين بن علي الخاص بتوليته الامارة قوله "عواطف الملك الاعلى الشريف حسين باشا ادام الله تعالى إجلاله وادام سعده واقباله ٠ علم لدينا انه اتصف بالاوصاف الحسنة للمدوحة وابرز روابط خالص وجدانه لطرق خلافتنا واستحق لياقة للامارة الشريفة المذكورة تلالأت امواج بحر مكرمتنا الذي ليس له نهاية لحو ذاته الهاشمية فأحلنا وفوضنا الامارة الشريفة المذكورة الى عهده اهليته واعطيناه منشورنا فائض السرور المشتمل على كمال البهجة والحبور "للتفاصيل انظر المصدر السابق ، ص ص١٤-١٦ .

[٣] جارشلي ، المصدر السابق ، ص٣٣-٧٢ ٠

هذه المناشير لم تدون لكونها طويلة جداً ، واستمر ذلك حتى القرن الثامن عشر حيث اخذت بالتدوين ، بسبب اختصارها ، واستمرت كذلك حتى النهاية[1].

وكان الفرمان السلطاني يتضمن أمراً الى امراء مكة بالخروج لاستقبال الحجاج في مدائن صالح أو المدينة المنورة وتوديعهم الى هذه الاماكن نفسها عند عودتهم . كما يتضمن الفرمان توصية الى امراء مكة بالمواظبة على الادعية الخيرية مع عامة الزائرين لدوام عمر الدولة العثمانية وقوة السلطان ، اذ جاء في الفرمان السلطاني الى الشريف حسين قوله :

" وحسب شرائط الامارة وبموجب رضائنا ونخبة افكارنا الشاهانية امرنا المشار اليه ان يستقبل الحجاج ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين آمنين وبعد ادائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق ايضاً يشيعهم ويستكمل اسباب عزيمتهم بكل اعتناء ودقة الى الشام وان يكون الناظر على توزيع وتقسيم الصرة الهمايونية المرسلة من طرف سلطتنا السنية الى اربابها بواسطة المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة وأن يستجلب من العموم الدعوات الخيرية لجانبنا الشاهاني"[2] .

أما الفرمان الثاني الذي تلقاه الشريف حسين من السلطان العثماني ، فقد كـ يقضي باسناد منصب (وزارة) أو امارة مكة المكرمة . ونلحظ بأن الفرمان صوّر السلطان وهو منزه عن كل عيب ونقص وجعله مفيض الخير والبركة على البلاد والعباد ، اذ جاء فيه :-

---

[1] اذ جاء في وصف منشور الامارة ، أن السلطان كان يكتب توصياته لامير مكة المكرمة فوق طغراء "ختم" السلطان بحوالي نصف متر وفي اسفل العبارة بنصف متر يأتي طغراء "ختم على السلطان " أنظر : جارشلي ، المصدر السابق ، ص٣٤ ، ومعنى ذلك أن منشور الامارة أو الفرمان يتجاوز المتر الواحد ٠

[2] حول نص فرمان السلطان عبدالحميد الثاني بتوليه الشريف حسين شرافة مكة انظر ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص ص١٤-١٦ ٠

" بما أن الله سبحانه وتعالى جل شأنه وعم نوالــه قد نظـم خلـق كونــه واحسـنه وجعل كل شيء عنده بمقدار فقـد اختـص ذاتـي بكمـال قدرتـه الازليـة لتكـون خليفة للاسلام وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك وجعل سدتي ملجأ للخاص والعام لذا كان من الواجب على ذاتنـا الشـاهانية والمحتـم علـى دولتنا العلية أن نجعـل ابـواب عواطفنـا الملوكيـة مفتحـة لكـل مـن قـام بحسـن خدمتنا وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث أن أنواع مكارمنـا التـي لا غاية لها متهيئة لذوي الصدق من رجالنا وأنت أيهـا الشـريف المحتـرم مـن اعاظم رجال سلطتنا كما أنك سابقاً من اعضـاء لجنـة شـورى دولتنـا ومتخلـق بحسـن السـيرة والفطانـة والنجابـة وأن آمالنـا الشـاهانية تؤمـل نجـابتك حسـن الخدمة واظهار مآثر الصدق لدولتنا العلية وبناءً على هـذا الامـل فقـد اعربـت عن عواطفنــا المنـيرة السـلطانية فـي اليـوم السـادس مـن شـوال عـام السـادس والعشرين بعد الثلثمائة والالف مصحوبة بكمال توجهاتي السنية وتمام عنــايتي الشـاهانية فأحسـنت ووجهـت الرتبـة السـامية الـوزارة الــي عهـدة اسـتعدادك وتأهلـك "[١].

وكانت وثيقة البراءة (المنشور) والكتـب السـلطانية المرسـلة الـى امـراء مكـة المكرمة تكتب على ورق سلطاني وتزخـرف برقـائق الذهـب وغيرهـا مـن المـواد[٢]. وعن صدور هذه المراسـم مـن السـلاطين فقـد كـانوا يرفقونـهـا بشـيء مـن تعاطفـاتهم المادية من ثياب حريرية مزركشة تليق بمقام صاحب الفرمان ومركزه ، وكـانت هـذه الفرمانات تجدد لامير مكة كل عام . فيجيء الفرمان الجديد مع الحمـل الشـامي الـذي كانت الدولة تجهزه بجمالها وترفق معه كســوة للكعبـة الشـريفة ولقـبر الرسـول محمـد صلى الله عليه وسلم ومقام ابراهيم وتبعثه من الشام مع جيش يجلب معه كـل معدات

---

[١] حـول نـص فرمـان السـلطان عبدالحميد بتوليـة الشـريف حسـين ، امـارة مكـة المكرمـة ، انظـر ناصيف المصدر السابق ، ص ص١٢-١٤ .

[٢] جارشلي ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

الابهة وادوات العظمة وكثير من الصدقات والخيرات لاهل الحرمين الشريفين . وكان الفرمان يجيء مع أمير هذا الحج مغلفاً بكيس مزركش بابدع الرسوم ومعه الخلع السنية والاعطيات الكريمة والهدايا والتحف والنياشين والاوسمة اللائقة بأمير مكة المكرمة(١) .

ويبدو أن كل هذه المراسيم قد تجسدت بالفرمان الذي ارسله السلطان محمد رشاد الى أمير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي والذي نص على ما يأتي :

" جناب مآرب الامارة ومكتسب السعادة ، المنتسب الى السيادة ، ذي النسب الطاهر ، والحسب الظاهر ، المستجمع لجميع المعالي والمفاخر ، كابراً عن كابر ، جمال السلالة الهاشمية ، فرع الشجرة الزكية النبوية ، طراز العصابة العلوية المصطفوية ، صفوة آل الرسول وقرة عين الزهراء البتول ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى ، احد اعاظم وزراء سلطنتي السنية ، أمير مكة المكرم ، الحائز والحامل نيشان الامتياز المرصع ونيشان الافتخار ، والنيشانين العثماني والمجيدي من الدرجة الاولى ، وزيري سمير الفطانة الشريف حسين باشا دام سعده ، وادام الله تعالى اجلاله .

بوصول توقيعي الرفيع الملكي ، ليعلم اليكم انتم الشريف ، الذي هو للنباهة اليف . المشار اليه بمقتضى ما هو موروث في عنصر فطرتكم الاصلية . وما هو كامن في جلبتكم النسبية . من نقاء جوهر العراقة العدنانية ، وصفاء الطوية في الاصالة القحطانية ، وبمقتضى كل ذلك ولما تبذلونه من المساعي الجميلة والمآثر الحميدة ، لايفاء لوازم حسن التوقير واتمامها للحرمين المحترمين ولاكمال سعادة حال الاهلين والمجاورين للبلدتين المكرمتين وهدوء بالهم ، ولاقامة دعائم النظام ، واستمرار قواعد ضوابط الانتظام في تلك الديار المباركة ، من كل فج عميق ، متزملين زوامل الفرج والتوفيق ، من قوافل الحجاج الذين سبيلهم منهاج الهداية ، وللزوار وابناء السبيل والتجار

---

(١) ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١١ ، جارشلي ، المصدر السابق ، ص٣٥ .

وذلك معروف لدينا ومأمول لدى ذاتنا الملكية ، ولسابق هممكم المشهورة ، والمنتظرة فيما بعد ، ولما هو مقرر نحوكم من محاسن انظارنا السنية ، ومرامي عواطفنا الشاهانية . فاعلاماً بذلك ودلالة على عطفنا السامي في هذه المرة ، ايضاً نرسل الى جانبكم المستحوذ على مناقب السعادة خلعة منمقة ياقتها بالقصب واللؤلؤ ، ومحفوفة قبتها (بمصك) من ماس البرلنت مهداة الى شرافتكم العليا ، رفق من أمر بابلاغ هذا الامر الهمايوني ، وايصاله المستلزم المزيد الشريف والافتخار ، بخدمة البردة النبوية افتخار الاكابر والاكارم ، احمد نوري بك زيد علوه .نبعث ونسري بها الى ناديكم الشريف برفقته ".

ثم اردف السلطان محمد رشاد في فرمانة للشريف حسين والوظائف الموكلة على عاتقه والتي تتضمن بأن :

" يستقبل الحجاج من مدائن صالح ، ويشيعوا اليها بالحراسة والوقاية التامتين من تعديات الاشقياء ، ومن هجمات ما ثر الطوائف الضارة والمؤذية ، بأن تجلبوا جواد الدقة ، وتهزوا رماح الحماية وتمكنوا ساعد المكنة في هذا الباب المهم وان صلاح الامور الصحية وحسب جريانها مطلوب وملتزم لدى ذاتنا الملوكية. ولاتمام كل ما اوصينا به من الامور والشؤون واكمالها وفق مطلوبنا ببذل القدرة العدنانية . وأن تكون هذه المساعي موافقة لشأننا المقرون بالشوكة ، ومطابقة للحصافة والشهامة الهاشمية ، فاحرفوا من المآثر الجليلة في ذلك ، مع الدعاء لنا اعقاب الصلوات ، واوقات الاجابات ، عند زمزم والمقام ومع المشايخ الذين لهم الصلاح معتاد . وان يداوموا جميعاً على الدعاء لدوام عمران دولتنا بهدوء بال ، وان تهتموا بذلك نحو مكانتنا الهمايونية "[1].

---

[1] للتفاصيل عن نص فرمان السلطان رشاد الى الشريف حسين ، انظر الملك عبدالله بن الحسين ، الاثار ، ص ص٤٨٧-٤٨٩ .

وبدون شك فاننا نلمس من الفرامين السلطانية ان العلاقات العثمانية – الشريفية كانت تتمتع بقسط كبير من الود والاحترام ، خدمة للمصالح المشتركة بينهما ، أو بتعبير أخر ان الفرامين عكست التحالف الاقليمي بين اشراف مكة والعثمانيين من أجل بناء مصالح مشتركة سليمة تمتد في جذورها الى عام ١٥١٧ ، فاذا كان الاشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى لغرض الامن والاستقرار الاقليمي والمحلي ، فإن العثمانيين قد استفادوا من المقارنة الدينية المقدسة لطبقة الاشراف لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الاسلامي قاطبة . وعلى أية حال فأن المراسلات في هذه المرحلة كانت قد سادها الاحترام والتودد ضمن الاطار الاسلامي .

وكانت مراسيم تلاوة المراسلات الفرمانية السلطانية تتم في امارة مكة على النحو الآتي :–

١– الفرمان يصدر بالتركية والعربية(١).

٢– النسخة التركية تكتب بالخط الديواني وتقرأ اولاً ، وهي متوجة بالطغراء السلطانية ومختومة بختم الديوان الهمايوني .

٣– النسخة العربية متوجة كذلك بالطغراء السلطانية ومختومة بختم الديوان الهمايوني وتقرأ بعد التركية .

---

(١) يبدو أن عدم معرفة امراء مكة المكرمة ، باستثناء البعض ، باللغة التركية فقد كان السلطان يرسل لهم كتابين سنوياً في موسم الحج احدهما بالعربية ٠ والآخر بالتركية ، وكانت توجد بمعية أمير مكة المكرمة هيئة من الكتاب الذين يشرفون على المراسلات التركية يطلق عليها اسم "ديوان تركي" ، انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص١٨٩ ٠ وكان الشريف حسين من بين الامراء الذين يجهلون معرفة اللغة التركية وذلك على حد قول الامير فيصل لجمال باشا "فوالدي (أي الشريف حسين) لا يقصد شيئاً ضاراً ، ولست تجهّل أنه لا يجيد اللغة التركية ، ويلوح لي أن هذه البرقية ترجمها مترجم عاجز عن فهم النص العربي فحرفها " جمال باشا ، مذكرات ، ص ص٢٣٦-٢٣٧ ٠

٤- يقرأ النسخة التركية رئيس الديوان التركي للامارة الجليلة في مكة .

٥- يقرأ النسخة العربية رئيس الديوان العربي للامارة الجليلة في مكة .

٦- يقرأ الفرمان في منى في اليوم الثاني لعيد الاضحى صباحاً .

٧- يحضر الجنود بألبستهم الرسمية – وموسيقى الجيش ، فيعزف السلام السلطاني ويقرأ الفرمان .

٨- يحضر القراءة الوالي العثماني ، وقائد الجيش ، وأمين الصرة ، وأمير الحج الشامي ، وأمير الحج المصري وكلهم بالالبسة الرسمية والاوسمة . يحضر كذلك كبراء الاشراف ، وشيخ السادة ، ورئيس العلماء ، والمفتون. وبعد ذلك يقبلون يد الامير الشريفة ويهنئونه .

٩- يستعرض الجيش العثماني ، ثم القوات الحجازية .

١٠- عند قفول الحج الشامي ، يأتي أمين الصرة والقفطان أغاس حامل الهدايا السلطانية فيسلم اليها الرد الاميري على الفرمان .

١١- يكون الرد الاميري مكتوباً باللغة العربية فقط[١].

١٢- يكون التوقيع الاميري على ظهر نسخة الرد لا في اعلاها ولا في اسفلها[٢] .

وكان من الطبيعي ان يكتب أمير مكة المكرمة وشريفها رسالة يرد بها على الفرمان السلطاني ، رداً رقيقاً مثمناً مكرمة السلطان ، ومتعهداً له بخدمة الاسلام والدولة .

---

[١] يذكر جارشلي بأن امراء مكة المكرة كانوا يردون على رسالة السلطان العربية بأخرى عربية وعلى رسالته التركية بأخرى تركية ، وكان امراء مكة المكرمة يكتبون رسالة واحدة بمبادرة منهم وهي الرسالة التركية التي يرسلونها مع حاملي البشرى والتي يعلم فيها السلطان بأداء الحجاج لمناسك الحج وعودتهم بسلام ، للتفاصيل انظر جارشلي ، المصدر السابق ، ص٧٣ ،

[٢] للتفاصيل عن مراسيم تلاوة الفرمان السلطاني في مكة ، انظر الملك عبدالله ، الاثار ، ص ص٤٨٩ - ٤٩٠ ،

ومن امثلة رد الاشراف على الفرمان السلطاني ، ما جاء في رد الشريف حسين على فرمان الولاية الذي اصدره السلطان عبدالحميد الثاني للشريف حسين :

" الى حضرة الخاقان الاعظم ، والخنكار الافخم . البادشاه العظيم . والولي الحميم . محب آل بيت الرسول . وسلالة الزهراء البتول . ملك البرين والبحرين . سلطان الروم . السلطان بن السلطان ، السلطان بن عبدالمجيد خان الثاني : لا زالت الويته على الخافقين منشورة ، وعساكره على اعداء الدين منصورة ، بجاه جدنا سيد المرسلين . عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم ".

ثم اردف الشريف قائلاً :

" أما بعد فانّا ننهي الى الاعتاب الملوكية الشريفة ، والجهات الخاقانية ، المنيفة ، وورود فرمانه السلطاني ، وخطابه الخاقاني ، المحتوي على عواطف المودة ، وأكيد المحبة ، يرفعه أمين الصرة السلطانية ، افتخار الاكابر والاماجد المحتوي على كافة المحامد احمد بك وقفطان اغاسي ، عزت بك . فتلقيناه كما اشار السلطان الاعظم ، والبادشاه الافخم ، بكمال الفخيم والتعظيم . وتلوناه بالاجلال والتكريم ، على ملاءمن حجاج المسلمين ، وسكان البلد الامين ، ومن حضرمن طيبة مدينة سيد المرسلين ، وشهرنا الهدايا السلطانية ورفعنا الخلعة[1] السنية على الاعطاف الهاشمية ، شاكرين الايدي الملوكية ، والعواطف الرحيمة السلطانية ... "[2].

---

[1] كانت الخلعة التي تهدى الى أمير مكة ، عبارة عن جبة من الجوخ الاسود مطرزة الصدر بسلوك من الذهب الابريز الحر ، مزهرة باشكال مطرزة باللؤلؤ النافر في الصدر والظهر واليدين ، وفي مصك على هيئة نصف شمس من فاخر الالماس ، تتلوها خلع للجهة مطرزة بسلوك الذهب في الزيق واليدين فقط . انظر ، الملك عبدالله بن الحسين ، الاثار ، ص٤٩١ .

[2] حول رد الشريف على الفرمان السلطاني ، انظر المصدر نفسه ، ص٤٩٠ .

ومن الجدير بالتأكيد بأن هذا الاحترام الكبير الذي يكنه اشراف مكة بما فيهم الشريف حسين لم يتغير حتى في حالة اصدار السلطان الفرمان الذي يقضي بعزل الشريف عن الامارة ، وهذا ما جسده الشريف حسين تجسيداً واضحاً . اذ عندما تلقى فرمان السلطان محمد رشاد في ١٨ حزيران ١٩١٦ ، القاضي بعزله وتعيين الشريف علي حيدر في منصب الشرافة أي أميراً على مكة المكرمة خلفاً له ، اثر اعلانه الثورة العربية على الاتراك ، رد الشريف حسين رداً ينطوي على الاحترام المصاحب للاسى ببرقية في ١٢ تموز ١٩١٦ الى السلطان محمد رشاد ، مؤكداً للسلطان بقائه على الولاء والاحترام ، وموضحاً له بأن ثورته اعلنت ضد الاتحاديين الذين حدوا من السلطة الروحية والزمنية للسلطان والاشراف وعملوا على الغاء العلاقة الدينية التي تربط بين السلطان والاشراف[١] .

وهكذا نلاحظ بأن المراسلات المتبادلة بين الشريف حسين والسلاطين العثمانيين سارت على وتيرة احدة من التقدير والاحترام ، بل أن الشريف حسين لم يقدم على الاساءة لاحد السلاطين حتى في حالة اصدارهم فرامين بعزله وابعاده عن امارة مكة المكرمة وشرافتها ، وعلى ما يبدو هذا يعود الى الاحترام الذي يكنه الشريف للمنصب الديني الذي يحمله السلطان (الخليفة) العثماني .

المراسلات المتبادلة باليد :

شهدت الفترة ما بين اعتلاء الشريف حسين منصب الشرافة حتى توقف عمليات الثورة العربية سيلاً من الرسائل المتبادلة ، التي كانت تتم بين الشريف حسين من جهة والسلطان والصدر الاعظم ووزرائه من جهة أخرى ، أو بين أولاد الشريف حسين من جهة والسلطان والصدر ووزرائه من جهة أخرى .

---

[١] من الشريف حسين الى السلطان محمد رشاد ، الوثيقة رقم (٤٨) ، ١٩١٦/٧/١٢ ، انظر موسى ، المراسلات ، ص٧٩ .

وكانت احدى طرائق تبادل المراسلات باليد ، والامثلة والشواهد على ذلك كثيرة [1] ، منها ما يذكره الشريقي بقوله " وكان الشريف حسين يعتمد في الشؤون الخارجية والاتصالات مع الحكومة العثمانية على ولده الامير عبدالله الذي كان ينتقل بين جدة والاستانة حاملاً رسائل والده الموجهة الى السلطان العثماني والصدر الاعظم"[2].

وفي المقابل كان العثمانيون قد استخدموا ايضاً هذه الطريقة في نقل المراسلات ، اذ يشير الزبيدي ، بأنه عندما رفض الشريف حسين مشروع سكة حديد الحجاز ، حاول الاتحاديون اقناعه ، ووعده بأن يكون له ثلث دخل الحجاز ، وأن يتمتع بالامارة (الشرافة) طول حياته واولاده من بعده ، وقد ابلغ بتلك الخطابات عن طريق أبنه عبدالله[3].

وكان الامير فيصل ابن الشريف حسين ايضاً قد تولى مهمة نقل الرسائل المتبادلة بين والده والعثمانيين ، وعبر عن ذلك صراحة بقوله : " وأنا وان كنت في طريقي الى القسطنطينية لتقديم الرسائل التي عهد الي بها والدي الى رئيس الوزراء التركية "[4] . كما ويذهب الى ذلك الريحاني ايضاً بقوله : " وكان فيصل في الوقت نفسه رسولاً بين والده وجمال"[5] . وفي المقابل كان العثمانيون يحملون فيصل الرسائل الى أبيه ، فضلاً عن المراسلات الخاصة بينهما[6] .

ويعطي لورنس وصفاً رائعاً عن طريقة تبادل المراسلات بين الشريف حسين واولاده بقوله ، " وكانت مكاتبات فيصل ورسائله الى أبيه ايضاً مغامرة محفوفة بالمخاطر وكان يحملها بعض الاتباع من خدم وحشم ممن لا ترمى اليهم الشبهات .

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن تلك المراسلات ، انظر فصول الدراسة السابقة .

(2) الشريقي ، المصدر السابق ، ص١٩ .

(3) الزبيدي ، المصدر السابق ، ص٥٨ .

(4) ارسكين ، فيصل ، ص٥٥

(5) الريحاني ، فيصل ، ص٢٤ .

(6) لورنس ، اعمدة ، ص٢٠ .

وكان هؤلاء يمتطون القطار المسافر الى الحجاز ويخبئون تلك الرسائل الخطيرة في اغماد السيوف او داخل الكعك أو يضعونها بين نعلي الحذاء ويخيطونها . وفي بعض الاحيان كانت هذه الرسائل تكتب على اغلفة الطرود بحبر سري خفي "[١] .

اما بخصوص دور الامير عبدالله بنقل المراسلات المتبادلة بين والده والاتحاديين فقد اشارة صحيفة الاستقلال البغدادية[٢] بقولها " ونظراً لخبرته التامة باحوال الاتحاديين واتصاله بالاندية السياسية في استطانبول ، كان والده يعتمد عليه في المخابرات سواء مع الباب العالي أو مع الاندية السياسية "[٣] .

الاتصال المباشر (المراسلات الشفهية غير الخطية) :

تعد الاتصالات المباشرة وسيلة اساسية من وسائل التفاهم والمراسلات وهي لا تقل أهمية عن المراسلات الخطية ، اذ انها تعبر عن وجهة النظر الرسمية .

كشفت الدراسة الكثير من الشواهد والادلة التي تتعلق بهذه الاتصالات أو المباحثات المباشرة في معالجة جملة من الامور ذات الصلة بعلاقة الجانبين الحجازي والعثماني .

ففي ازمة عام ١٩١٤ المتعلقة بتطبيق قانون الولايات العثمانية في الحجاز ، ومد سكة الحديد من المدينة الى مكة المكرمة ، سافر الامير عبدالله الى اسطنبول للاشتراك في جلسات المبعوثان في ١٤ ايار ١٩١٤ ، وهناك تباحث مباشرة نيابة عن أبيه حول الخلاف القائم بينهما حول مسألتي تطبيق قانون الولايات العثماني ومد سكة الحديد الى مكة . اذ أجرى الامير عبدالله مباحثات مع الصدر الاعظم سعيد حليم ووزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية أنور باشا ، وقد اسفرت هذه المباحثات

---

(١) المصدر نفسه ، ص٢٠ .

(٢) وذلك لأن هناك صحيفتين باسم الاستقلال احداهما بصرية والاخرى بغدادية ، والمعلوم أن المنطقة العربية كانت تكثر فيها الصحف التي تحمل اسم (الاستقلال) لأن هدف العرب الاساسي كان في تلك الفترة هو الاستقلال من السيطرة الاجنبية .

(٣) صحيفة الاستقلال البغدادية ، عدد ١٩٦٧ ، ١٣ ايلول ، ١٩٣٣ .

عن تحميل حكومة الاتحاديين الامير عبدالله أربعة شروط ليعرضها على والده . لكنه رفض تلك الشروط وقدم بدلها مقترحات حملها الامير عبدالله للصدر الاعظم ، وابلغها الصدر الاعظم عند وصوله اسطنبول في أواخر شهر تموز من العام نفسه[١].

ومثال آخر يتعلق بالدور الذي قام به الامير فيصل في نيسان ١٩١٥ إذ شكى الى السلطان ووزرائه من سياسة والي الحجاز وهيب باشا اتجاه الاشراف ، مستنداً في ذلك على الاوراق السرية التي وجدت في محفظة وهيب باشا . حيث عرض ذلك عند لقائه بالسلطان العثماني محمد رشاد مرتين ، ولقائه بالصدر الاعظم سعيد حليم ، ولقائه بوزير الحربية طلعت باشا وبوزير الداخلية انور باشا . وخلصت هذه اللقاءات الى قيام الحكومة العثمانية الى عزل والي الحجاز وهيب باشا وعينت مكانه الفريق غالب باشا ، واوصته بتحسين علاقاته مع امير مكة المكرمة واشرافها وذلك من اجل ازالة شكوك الشريف حسين وابنائه بنوايا الاتحاديين والتي عرضها صراحة الامير فيصل أمامهم[٢].

وفي الدراسة اشارات كثيرة لمثل هذه اللقاءات والمباحثات المباشرة ، التي نقلت فيها وجهات نظر ومقترحات ومطاليب الجانبين في المسائل القائمة بينهما .

ويبدو أن ما يميز هذا النوع من المراسلات أن يكون القائمون بها ، أناس يحتلون مكانة موثوقة عند المرسل اليه من جهة ، وأن يكونوا في منصب يؤهلهم القيام بمثل هذه المراسلات . وفي كثير من الاحيان يكون الجانب الاول مهم جداً عند المرسل اليه من الجانب الثاني ، وعلى أية حال فإن الوسيط لابد أن يتحلى بهاتين الميزتين لأنه سينقل وجهة نظر مسؤوله .

ولعل عدم ثقة الشريف حسين بوالي الحجاز وهيب باشا ، للاسباب التي وقفنا عليها ، كانت وراء طلب الشريف من الوالي صيغة المخاطبة مكتوبة رسمياً لا شفهياً ، وذلك عند زيارة الاخير للشريف في الطائف ، وقال له " أمرت ببرقيات ،

---

[١] للتفاصيل ، راجع الفصل الثاني .

[٢] للتفاصيل ، راجع الفصل الثالث .

وردت الي من وزارة الداخلية ووزارة الحربية بأن استطلع رأيكم السامي في اشهار الحرب على روسيا وانكلترا " ، فرد عليه الشريف حسين قائلاً : " أنا لا أرى أن أجيب على هذا السؤال الشفوي بشيء وانني انتظر هذا السؤال ... أن يرد الي برقياً فيسجل ويسجل جوابه ..." . وفعلاً وبعد أربع وعشرين ساعة وردت برقية من الصدر الاعظم وبرقية من وزير الحربية انور باشا بالسؤال عينه[1].

ب- المراسلات المستعجلة :

لا شك أن المراسلات المستعجلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده تظهر في الحالات السريعة ، وخاصة الفترة التي سبقت اعلان الثورة العربية ، وقد اتخذت هذه المراسلات صيغاً مختلفة منها :-

البرقيات المستعجلة :

قاد اندلاع الحرب العالمية الاولى الى لجوء القادة الحجازيين والعثمانيين الى استخدام البرقيات المستعجلة في كثير من الاحيان . ولا غبار على ذلك ، لأن طبيعة المرحلة تحتم استخدام مثل هذا النوع من المراسلات .

وكانت اول برقية بعثها الشريف حسين كانت في أب ١٩١٤ الىالسلطان محمد رشاد ، عندما ابلغ بعزم الاتحاديين على دخول الحرب العالمية الاولى الى جانب المانيا ، فحذرهم الحسين ، من مغبة الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء القوية والتي تحيط باراضي الدولة العثمانية ، مشيراً الى ضعف الدولة العثمانية بعد الحرب البلقانية ، ومستعرضاً فيها حالة اوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها[2] .

ولاجل الوقوف على سرعة البرقيات ، نظراً لطبيعة المرحلة الحرجة ، نلاحظ أن البرقيات كانت تصل خلال أقل من اربع وعشرين ساعة احياناً ، ومثال ذلك نلاحظ عند رفض الشريف الاجابة على سؤال الوالي وهيب باشا شفاهاً ، بخصوص

---

[1] للتفاصيل انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص١٠٤-١٠٥ .

[2] للتفاصيل راجع المبحث الاول من الفصل الثالث .

رأيه (أي الشريف) في دخول الدولة العثمانية الحرب ، بأنه خلال اربع وعشرين ساعة يتلقى (أي الشريف) برقية من الصدر الاعظم ، وبرقية من وزير الحربية يسألانه عن رأيه في دخول الدولة العثمانية الحرب الى جانب المانيا[١] .

وقد ظهر من خلال المراسلات أن البرقيات ازدادت عدداً خلال فترة دخول الدولة الحرب . اذ اخذت حكومة الاستانة تمطر الحسين بسيل من البرقيات المستعجلة حملت تواقيع كبار شخصياتها ، امثال الصدر الاعظم وانور باشا وطلعت باشا ، يطلبون منه ، وبالحاح ، اصدار اعلان بالجهاد الديني والاسهام فعلياً في الحرب[٢] .

ولكن هناك برقية جاءت في غضون ساعتين ، وذلك على اثر مقابلة الامير عبدالله لوالي الحجاز علي بك لغرض الاستفسار منه عن مسألة فصل محافظة المدينة المنورة عن ولاية الحجاز ، فأجابه الوالي بالفعل رسمياً بعد أن اطلعه على برقيتي الصدر الاعظم وبعد ساعتين من المقابلة ابرق الصدر الاعظم برقية الى الامير عبدالله يقول فيها " أن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكة الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية . وأما تبعات الامارة الجليلة وحقوقها ، فهي كما كانت ، من مكة المكرمة الى مدائن صالح "[٣] .

ودفع اعتقال انور باشا للرعيل الثاني من القوميين العرب ، بالشريف حسين الى الاسراع بارسال برقية الى انور باشا ، طالباً منه العفو العام عنهم ، بقوله "ويلا لي ان ارضاء الشعب العربي ، يتوقف على مداوه قلبه الذي جرحه اتهام عدد كبير من ابنائه ، بتهم سياسية مختلفة ، والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ". بل أنه يطلب مطلبين آخرين في نفس البرقية ، هما ضرورة تمتع سورية والعراق بالنظام اللامركزي ، وجعل امارة مكة وراثية في اسرته ، ويقول بعد ذلك في برقيته

---

(١) للتفاصيل راجع المبحث نفسه .

(٢) للتفاصيل عن البرقيات المتعلقة بالجهاد الديني ، راجع المبحث الثاني من الفصل الثالث .

(٣) حول نص برقية الصدر الاعظم الى الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٥٠ .

" فاذا قبلت هذه المطالب فاتعهد بحشد القبائل العربية للجهاد ، بقيادة ابنائي في ميداني العراق وفلسطين ... واذا لم تقبل هذه المطالب . فأرجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت نصحت بأن لا تثار ولا تشق"[١] .

فضلاً على ذلك ، فان اشعار بدء الثورة العربية جاء اثر سيل من البرقيات المستعجلة بين القادة الحجازيين[٢] ، ومنها ما يذكره الامير فيصل بأنه قد اصطلح مع نسيب بك البكري عند عودة الوفد من المدينة على نص خفي لبرقيتين احداهما ترمز الى اعلان الثورة وضرورة هروب الثوار من دمشق ، والاخرى ترمز الى تأجيل ذلك ، ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً الى دمشق حتى تلقى نسيب بك برقية مستعجلة من الامير فيصل هذا نصها :

دمشق – نسيب البكري

" ارسلوا الفرس الشقراء" .

وكانت هذه البرقية اشعاراً ببدء الثورة حسب الاتفاق بين فيصل ونسيب[٣] .

ولكن هذا لا يعني بأن فترة ما قبل الحرب لم تشهد مثل تلك البرقيات ، بل ظهرت لأنها متعلقة ، كما قلنا ، بطبيعة الظرف ، اذ كانت أول برقية مستعجلة رفعها اعضاء جمعية الاتحاد والترقي بجدة الى مسؤوليهم ، اعلنوا فيها استيائهم من مقابلة الشريف لهم عند استقباله لاجل تهنئته بأمارة مكة المكرمة وشرافتها ، ومما جاء في برقيتهم " بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بدستور لا يتجدد "[٤] .

---

[١] للتفاصيل راجع البرقيات في المبحث الثالث ، الفصل الثالث .

[٢] حول نصر البرقيات بين القادة الحجازيين بخصوص اعلان الثورة ، انظر الفصل الرابع .

[٣] حول نص برقية فيصل الى نسيب ، انظر موسى ، الحركة ، ص٢٦٨ ، موسى ، الحسين ، ص٤١ ، حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص ص٢٧-٢٨ .

[٤] انظر تفاصيل ذلك في المبحث الثالث من الفصل الثاني .

الاتصالات اللاسلكية :

أدت الاتصالات اللاسلكية دوراً فعالاً في تبادل المراسلات سواء بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده ، أو بين مسؤولي الجانب الواحد ، في نقل ومعالجة العديد من الامور المستعجلة بل والطارئة منها .

اذ نلاحظ في الوقت الذي وعد فيه الامير فيصل جمال باشا بقيادة (١٥٠٠) متطوع عربي لاجل الاشتراك في حملة القناة الثانية ، كشف جمال باشا مفاوضاته مع الشريف حسين بالتلغراف ليبين له ضرورة القيام فيما وعد به نجله (الامير فيصل) ، حتى يظهر للجميع بأن الحجازيين مشتركون في هذه الحملة ، ويشير جمال إلى ذلك بقوله " فما زلت افاوض والده بالتلغراف وابين له ضرورة القيام بما وعد نجله "[١] . واما بخصوص عدد المتطوعين فيشير جمال باشا بقوله بأنه أجرى مخابرة طويلة مع الشريف حسين وطلب منه ارسال ١٥٠٠ أو ٢٠٠٠ متطوع بقيادة احد انجاله لاجل الهجوم على القناة[٢] .

وكان فخري باشا قائد قوات المدينة المنورة يرسل بعض تقاريره قبيل اندلاع الثورة العربية الى قائده جمال باشا بواسطة التلفون ، وذلك ما يخبرنا به جمال باشا نفسه بقوله : " وبينما انا في بيروت يوم ٢ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ ، دعاني فخري باشا من المدينة لمحادثتي في التلفون وقال لي : ما زالت علاقاتي حسنة مع الشريفين علي وفيصل ومنذ وصولي الى هنا ، وقد دعواني أول أمس لزيارة مقام سيدنا حمزة (يقع في ضاحية المدينة) حيث معسكر المتطوعة فذهبت وتغدينا ، ولعب هؤلاء العاب الفروسية وانشدوا الاناشيد الحماسية . ودعيت مساء أمس الى

---

(١) للتفاصيل انظر ميداني ، المصدر السابق ، ص٥ ، ارسكين ، المصدر السابق ، ص٤٥ . انطونيوس ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ ، جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٣٤ .

(٢) مدني ، المصدر السابق ، ص٥ .

منزل الشريف علي فقضيت وقتاً فيه . واتفقنا على أن تسافر أول كتيبة من كتائب المتطوعة في هذين اليومين الى درعا[١].

ويبدو أن قلق مسؤولي الدولة العثمانية إزاء تصاعد فوران المد الاسلامي جعلهم توافين لسماع انباء ذلك الاقليم أول بأول ، ورأوا أن سرعة ذلك تتم عن طريق اقامة المزيد من خطوط التلغراف بين اقليم الحجاز والاستانة لوضعه (أي الحجاز) تحت مراقبة ورصد مسؤولي وزارة الداخلية العثمانية وذلك ما يتضح جلياً ، من برقية الصدر الاعظم للامير عبدالله التي جاء فيها " أن ارتباط المدينة المنورة بمركز السلطنة بخطوط تلغرافية وبالسكة الحديدية ، تضمن السرعة في المخابرات ، لذلك اعتبرت محافظة المدينة المنورة محافظة مستقلة مربوطة بوزارة الداخلية رأساً لا بالولاية "[٢].

ولعب التلغراف اللاسلكي دوراً فعالاً في تناول المراسلات والبلاغات الحربية بين الشريف واولاده أبان عمليات الثورة العربية كما تخبرنا بذلك جريدة القبلة[٣] .

المراسلات بالشفرة :

وهي الصيغة الاكثر سرية في المراسلات لتناولها أموراً على غاية كبيرة من الخطورة والحساسية ، وغالباً ما تؤدي هذه الصيغة من المراسلات الى نتائج حاسمة تقود الى مرحلة جديدة في طبيعة ولهجة المراسلات المتبادلة بين الجانبين ، والامثلة

---

(١) للتفاصيل ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٧ ، الراوي ، المصدر السابق ، ص٦٨ ، الاعظمي ، القضية ، ج٦ ، ص ص٨٦-٨٧ ، العمري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٠ ٠

(٢) حول نص برقية الصدر الاعظم الى الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٥٠ ٠

(٣) نشرت هذه البلاغات في جريدة القبلة ، العدد ١٧ ، في ١٥ ذي الحجة ، ١٣٣٤ (١٣ من اكتوبر ١٩١٦) ٠

والشواهد على ذلك كثيرة أبرزها ، ان المطالب العربية الثلاث التي تضمنتها برقية الشريف حسين الى انور باشا في آذار ١٩١٦ كانت بالشفرة والتي تحث على :

١- اعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين .

٢- تقرير نظام الحكم اللامركزي في سوريا والعراق .

٣- جعل الحكم في الحجاز وراثياً في اسرة الحسين والابقاء على الامتيازات المقررة لولاية الحجاز(١).

كما أن اعتذار الشريف عن عدم استطاعته ارسال المتطوعين للاشتراك في الحملة الثانية على القناة جاء بالشفرة ايضاً ، وذلك من خلال الخطابين المرسلين منه (أي الشريف) الى جمال باشا والصدر الاعظم في ٢ حزيران ١٩١٦ ، والتي أمر جمال باشا بفك رموزهما ، فاذا هو (أي الشريف) يعتذر في اولهما عن عدم استطاعته الاشتراك في الحملة على القناة ، الى أن تجاب طلباته الثلاث الى انور باشا ، والى أن يكف جمال باشا من اتباع خطة الابهام والغموض حيال الشريف حسين واولاه(٢) .

اما خطابه للصدر الاعظم ، فقد قال فيه ، بعد فك رموزه ، بأنه لا يعرف أي الرجلين يصدق : أهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما أظهر له المجاملة والود (ويقصد جمال باشا) ، ام ذلك الذي استعمل معه الفاظ جارحة مهينة (ويقصد أنور باشا) . فهو يرى نفسه مضطراً الى قطع العلاقات مع الحكومة حتى تجاب المطالب التي طلبها من انور باشا منذ شهرين(٣) .

---

(١) حول نص برقية الشريف حين الى انور باشا ، انظر سعيد ، الثورة ، ج١ ، ص ص١١٠-١١١ ، وموسى الحركة ، ص ص١٩٤-١٩٦٥ ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص١١١ ، ميداني ، المصدر السابق ، ص٦ .

(٢) حول نص برقية الشريف حسين الى جمال باشا ، انظر الأعظمي ، القضية ، ج٦ ، ص٨٨ ، العمري ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١١ .

(٣) للتفاصيل حول نص خطاب الشريف حسين الى الصدر الاعظم ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢ .

ويشير جمال باشا بأنه اتفق مع الامير فيصل علـى مفتـاح شـفرة محـددة بينهمـا لاستعماله " اذا جد أمر غير عادي يريد اخباري به " ، فوردت الى جمال باشا رسـالة بالارقام من الامير فيصل قبيل سفره الاخير الـى المدينـة قـال فيهـا " لقد صـدر الـي الامر بوقف نقل المتطوعين الى سورية لاسباب اؤمـل أن أبسـطها لـك شـخصياً متـى تشرفت بلقائك . وقد ساءتني كثيراً الحالة الجديدة التي نشأت ، ولما كـان مـن بواعـث الالم أن لا تقع عيني عليك ثانية قبل تسوية الامور تسوية مرضية فاتشـرف باخبـارك أنني ذاهب الى مكة لقضاء بعض الوقت "[1] .

وكان من الطبيعي ان يكون اشعار بدء الثورة العربية باستخدام الشـفرة ، نظـراً لما يتطلبه الحدث من سرية وكتمان عاليين ، فيشير الامير فيصل بأنه قد اصطلح مـع نسـيب بـك البكـري عنـد عـودة الوفـد مـن المدينـة علىنـص خفـي لـبرقيتين احداهمـا ترمزالى اعلان الثورة وضـرورة هـروب الثـوار مـن دمشـق ، والاخـرى ترمـز الـى تأجيل ذلك . ولم يكد الوفد المتقدم ذكره يصل عائداً الى دمشق حتـى تلقـى نسـيب بـك برقية من الامير هذا نصـها :

دمشق – نسيب البكري

" ارسلوا الفرس الشقراء "

وكان هذا نص الشفرة المتفق عليها لتكون اشعاراً ببدء الثورة التي اعلنت فعليـاً في ٥ حزيران ١٩١٦، والملفت للنظـر أن الامـير فيصـل يقـول مـن حسـن حظنـا أن جمـال باشا لم يكن حينئـذ فـي دمشـق بـل كـان فـي القدس[2] . ولا شـك أن هـذا يلقـي الضوء على أن جمال باشـا لديـه خـبرة ودرايـة علـى فهـم مـا تتضمنـه البرقيـات مـن رمـوز .

---

[1] حول نصر رسالة الامير فيصل الى جمال باشا ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٩ ، سعيد ، الثورة ، ج١ ص١١٩ .

[2] موسى ، الحركة ، ص٢٦٨ ، موسى ، الحسين ن ص٤١ ، حمادة وظبيان ، المصدر السابق ، ص ص٢٧–٢٨ .

المراسلات بالنيابة او بالوكالة :

شهدت المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده بعض البرقيات المرسلة بالنيابة او على لسان الغير ان صح التعبير ، وهذا ما يكون في الحالات المستعجلة التي تكون بموجبها المسألة على غاية كبيرة من الاهمية ، وهذا ما تستنتجه من البرقية التي رفعها الامير عبدالله على لسان والده (الشريف حسين) الى السلطان عبدالحميد الثاني ، لان مستوى المراسلات لا يليق ولا يحق لاولاد الشريف ان يخاطبوا السلطان ، ولكن اذا كان لا بد من ذلك ، فهنا يلجأ الامير بالكتابة على لسان والده حتى يحقق ذلك المستوى .

وافصح الامير عبدالله عن ذلك بقوله : " فكتبت نسخة برقية الى مقام السلطنة " ، جاء فيها " نظراً لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فإنني انتظر من الاعطاف السنية السلطانية عدم حرماني حقي وتعييني في مقام آبائي "[١].

ويبدو الامر أكثر وضوحاً في اللقاء الذي تم بين الصدر الاعظم سعيد حليم والامير عبدالله ، اذ قال الاخير " أن أبي يقرئك السلام ، ويقول أنه لا ينتظر أن يدافع عن حقوق الشرافة وعن مقام آبائه واجداده في عهد صدارة سعيد حليم باشا حفيد محمد علي باشا الكبير ، صديق البيت "[٢].

وعلى أثر اعدام جمال باشا في ٦ مارس ١٩١٦ الرعيل الاول من القوميين العرب واعتقال آخرين ، كتب الامير فيصل على لسان والده الى جمال باشا يرجوه الكف عن ايذاء العرب ورجالهم البارزين لأنهم جميعاً مخلصون للخلافة العثمانية ،

---

[١] حول نص برقية الامير عبدالله الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٤١ .

[٢] حول نص لقاء الامير عبدالله مع الصدر الاعظم سعيد حليم ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص٨٧-٨٨ .

فأجابه جمال باشا باسلوب شديد اللهجة وبسخرية وازدراء قائلاً : " أن يتقي نفسه (أي الشريف) بدل أن يدافع عن سواه"[1] .

كما ورد هذا النوع من المراسلات على لسان الامير علي وذلك خلال الرسالة التي بعثها الى قائد قوات المدينة المنورة فخري باشا ، التي جاء فيها : " بناءً على الاوامر الصادرة من ابي ، سيقف نقل المتطوعين الى فلسطين . ولهذا عقدت النية على العودة بالمجاهدين الى مكة بدلاً من ضياع الوقت هنا "[2] .

٢- المراسلات غير المباشرة :

انعكست آثار الحرب الحجازية - العثمانية التي نشبت أثر اعلان الثورة العربية في ١٠ حزيران ١٩١٦ على طبيعة المراسلات ، الامر الذي أدى الى قلتها ، بل وانقطاعها في بعض الاحيان ، مما دفعنا الى تلمس صيغ جديدة عبرت عن المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده ، وهذه الصيغ ، على ما يبدو ، هي :

أ - المنشورات صيغة للمراسلات :

أصدر الشريف حسين ، اثر قيام الثورة العربية ، جملة مناشير وجهها الى العرب والمسلمين بما فيهم ابناء الدولة العثمانية ومسؤوليهم ، اعلن فيها الانفصال عن الاتحاديين واستقلال الحجاز ، مبيناً أن وجهة المناشير عربية - اسلامية ، فهي تكشف عن ترابط بين العروبة والاسلام ، وترى في الاسلام قوة للامة العربية وسنداً للقومية العربية ، كما انها ترى في الثورة العربية عزاً للاسلام وسبيلاً للعودة الى الشريعة الاسلامية[3] . اذ جاء في منشوره الاول بأن ثورته " جاعلة مبدأها وغايتها

---

[1] حول نص رسالة الامير فيصل الى جمال باشا ، انظر ، جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ في ٢٥ آب ١٩٢٥ .

[2] موسى ، الحركة ، ص٢٧٣ .

[3] انظر الدوري ، المصدر السابق ، ص٢٦٩ .

نصرة الاسلام ، والسعي لاعلاء شأن المسلمين ، والمساواة الشرعية في الحقوق بينهم وبين جميع من يدخل في حوزة استقلالها من المخالفين ، قائمة في كل اعمالها على اساس احكام الشرع الشريف ... مع استعدادها لقبول ما ينطبق على اصول الدين ويلائم شعائره في انواع فنون الترقي الحديث واسباب النهضة الصحيحة ... هذا ما قد قمنا به لاداء الواجب الديني علينا "[١] .

واعلن الشريف بأن ثورته لم تكن ثورة على الخلافة ولا على الخليفة نفسه ، بل أنه يقر بسلطة الخليفة ويدافع عنه لأن الاتحاديين جردوه من حقوقه[٢] ، فيقول "وأما سلبهم ماللسلطان المعظم من حق الاشراف الشرعي ، وكذا القانوني ، فهو لا يجهله احد من أهل العاصمة ، وأهل المعرفة في جميع اقطار المملكة ، ولا من الاجانب ايضاً حتى أنه لا قدره له على اختيار رئيس الكتاب في سلطنته الشريفة ، ولا رئيس خاصته المبجلة المنيفة ، فضلاً عن اختيار الصدر الاعظم وشيخ الاسلام ، فضلاً عن النظر في امور المسلمين ومصالح العباد والبلاد ، وقد اسقطوا بهذا بقايا شروط الخلافة التي يطالب بها المسلمون كافة ، اذ يجب على المسلمين ان يكون لهم إمام (خليفة) شرعي مستقل ، قادر على التصرف في اقامة الشرع ورفع لواء العدل "[٣] .

ويؤكد الشريف بأن ثورته لم تكن كرهاً للاتراك ولا للحكم العثماني العادل ، فهو يثني على الدولة العثمانية وعلى سلاطين آل عثمان[٤] ، بقوله ان اشراف مكة المكرمة كانوا أول الحكام المسلمين الذين اعترفوا بالدولة العثمانية ، ويشير الى البعث التي اوفدها شريف مكة الى السلطان سليم الاول اثناء اقامته في مصر بعد فتحها سنة ١٥١٧ يعترف فيها بسيادة الدولة العثمانية على اقليم الحجاز ، وأكد بأن ذلك " رغبة

---

[١] للتفاصيل عن المنشورات وتحليلها ، رجع المبحث الاول من الفصل الرابع .

[٢] الاسد ، المصدر السابق ، ص١٨٣ .

[٣] للتفاصيل عن منشورات الثورة ، راجع المبحث الاول من الفصل الرابع .

[٤] الاسد ، المصدر السابق ، ص١٨٥ .

منهم في جمع كلمة المسلمين واحكاماً لعرى جامعتهم لتمسك سلاطينها من آل عثمان العظام ، طاب ثراهم وجعل دار الخلد مثواهم ، بعروة الايمان بكتاب الله وسنة رسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، ولبناء احكام دولتهم على الشريعة الغراء "(1) .

ومن هنا فالشريف اعتبر الثورة على سوء سياسة الاتحاديين ومظالمهم ، واجباً يقتضيه الدين والقومية ، فكانت الثورة العربية للنهوض بالامة العربية ، ولدفع السوء عن عرب الحجاز وغيرهم من الجماعات العربية بعد أن تعرضت لعداء الاتحاديين لجنسيتها (قوميتها) وللغتها العربية(2) بقوله فلتنهض الثورة " بأمتنا للاخذ على ايدى الظالمين ... ودفع السوء عن عشائرنا وجماعاتنا العربية "(3) .

فضلاً عن ذلك ، فقد خاطب الشريف حسين المسؤولين العثمانيين ، بأن دخولهم الحرب خطأ كبيراً ، مخاطباً العرب على ضرورة السعي للخلاص منه ، مما يبرر ثورته(4) .

ب- المراسلات من خلال الصحف

رأى الشريف الحسين ضرورة اصدار جريدة سياسية يستعين بها على بث الدعوة العربية ونشر آرائه السياسية ومنشوراته وانباء زحف الجيش العربي وانتصاراته على الاتراك .

ودارت اتصالات بينه وبين شريف الفاروقي مندوبه في القاهرة ، وقد عهد اليه الشريف الحسين بشراء ادوات الطباعة و(الكليشهات) والتعاقد مع العمال الفنيين ، واستيراد كميات الورق اللازمة لاصدار الجريدة بحيث يتوفر لها رصيد محترم من ورق الطباعة . وقد حضر من مصر الى مكة المكرمة الاستاذ محب الدين الخطيب

---

(1) للتفاصيل عن منشورات الثورة ، راجع المبحث الاول من الفصل الرابع .

(2) الدوري ، المصدر السابق ، ص٢٦٩ .

(3) حول نص منشور الشريف الثالث ، انظر جريدة القبلة ، السنة الاولى ، العدد ٣١ ، ٤ صفر ١٣٣٥ هـ (٣٠ نوفمبر ١٩١٦) ، ص ص١-٢ .

(4) راجع نص المنشور الثاني ، انظر المبحث الاول من الفصل الرابع .

- احد رجال الحركة العربية - ليشرف على اصدار الجريدة[1] ، وقد صدر العدد الاول منها يوم الاثنين الخامس عشر من شوال ١٣٣٤هـ (الموافق الخامس عشر من شهر آب ١٩١٦) ، وجاء على النحو التالي اسم الجريدة في الصفحة الاولى :

(وما جعلنا القبلة التي كانت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه)

القبلـه :-

جريدة سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع لخدمة الاسلام والعرب مكة المكرمة يوم الاثنين ١٥ شوال ١٣٣٤ هـ .

وكانت تصدر في شعب جياد في قلب مكة المكرمة عاصمة الحجاز ، وصدورها مرتين في الاسبوع (الاثنين والخميس) ، ولقيت الجريدة رواجا كبيرا في العراق ومصر والهند فضلا عن الحجاز[2] . ونلاحظ بأن الدول الثلاث الاولى كانت تحت السيطرة البريطانية ، لذا لا غرابة ان تقدم بريطانيا على فتح ابواب هذه الدول امام الجريدة ، بخاصة وانها تنشر الاخبار التي تتعلق بظلم العثمانيين ومساوئ حكمهم واستبدادهم ، واستهانتهم بالعروبة والاسلام .

ومنها نستطيع ان ندرك النقد اللاذع الذي كانت تصدره القبلة ، لسان الثورة العربية على استبداد الاتحاديين وسياساتهم المفرقة والضارة ، وللتنديد بخطة التتريك الاتحادية ، واستنكار الاتجاه الطوراني ولتهجهم الاتراك على العرب والمسلمين وعلى دورهم التاريخي[3] .

---

[1] يظهر اسم محب الدين الخطيب مديرا مسؤولا لجريدة القبلة من العدد الثاني (الخميس ١٨ شوال ١٣٣٤ هـ) وكانت الرسائل ترسل اليه الى ادارة الجريدة بحارة جياد ، انظر ، الدوري ، المصدر السابق، ص٢٦٩ هامش (٨٧) ، العمري ، المصدر السابق، جـ١، ص ص٣٦٣-٣٦٤ ، الصواف ، المصدر السابق ، ص ٢٨٠، هامش رقم(١) .

[2] للتفاصيل انظر الصواف ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٩-٢٨٠ ، العمرى ، المصدر السابق، جـ١، ص ص ٣٦٣-٣٦٤ .

[3] انظر القبلة ، العدد ١ (١٥ شوال ١٣٣٤) ، العدد ٢ ، (١٨ شوال ١٣٣٤) ، والعدد ٩ ، (١٤ ذي القعدة ١٣٣٤) والعدد ١١(٢١ ذي القعدة ١٣٣٤) وغيرها .

وفي المقابل كانت الصحف التركية تقوم بدور اعلامي خبيث من اجل التضليل على العرب والمسلمين ، وخاصة دورها في مسألة الجهاد الديني ، اذ نشرت العديد من المقالات التي تؤكد تأييد الشريف حسين لتركيا قلبا وقالبا في استنفار المسلمين للجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها دفاعا عن الاسلام والاماكن المقدسة . ومن الصحف التركية الذي قامت بذلك ، صحيفة (الاتحاد العثماني) الصادرة في بيروت والتي جاء فيها " لقد نشرنا أمس نقلا عن مصادر رسمية ان الامير عبدالله ابن شريف مكة قد تطوع للعمل في سبيل الجهاد ، ومعه فرقة كبيرة من رجال القبائل الحجازية ، وبوسعنا الآن ان نؤكد ان شريف مكة قد أعلن الجهاد في جميع انحاء الحجاز ملبيا في ذلك رغبة الخليفة . وان القبائل يستجيبون من كل ناحية لهذه الدعوة باسلحتهم الكاملة "(١). بل أن الجريدة نفسها قد نشرت في مقال آخر ، على ما يبدو ، قولها " وقد فهمنا الان ان شريف مكة قد اعلن بتاريخ ٢٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ الدعوة الى الجهاد في جميع انحاء الحجاز تلبية لرغبة الخليفة "(٢). كما نشرت في بغداد صحيفة اخرى موالية للاتحاديين تسمى (صدر الاسلام) مثل هذه البيانات الاعلامية المضللة (٣). ولا شك ان هذه المقالات تعد رسائل وهمية تدعو الى استنفار المسلمين للجهاد الديني بجانب الدولة ضد بريطانيا وحليفاتها .

ولكن عند قيام الثورة العربية الكبرى في ١٠ حزيران ١٩١٦ ، نلاحظ بان الصحف التركية لم تصد أي اشارة الا في ٢٩ حزيران ، أي بعد ٢٤ يوما من اعلان الثورة الفعلي و ٣٩ يوما من اعلانها الرسمي ، اذ جاء فيما نشرته جريدة الشرق الرسمية بان " بعض الفئات القبلية هاجمت بقعة في جوار المدينة " ، الا انها لم تذكر شيئا عن الشريف واولاده أو عن احتلال مكة المكرمة وجدة . وبقي امر الثورة في طي الكتمان حتى ٢٦ تموز عام ١٩١٦ حيث سمحت الحكومة العثمانية لجريدة

---

(١) الصواف ، المصدر السابق ،ص ١٨٨.

(٢) شرف ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٣) الصواف ، المصدر السابق ، ص١٨٨.

(طنين) الصادرة في القسطنطينية ان تنشر على الناس صورة مشوهة عن الثورة . وهكذا ظلت الصحافة التركية على مدى عدة أشهر تسمي ثورة الشريف عصيانا فرديا اثارته مؤامرة بريطانيه[١] .

جـ – المراسلات من خلال الوساطات الشخصية :

شهدت السنوات الاخيرة من الحرب العالمية الاولى وساطات عثمانية لعقد الصلح مع الشريف حسين والقادة الحجازيين ، ومرت محاولات التفاهم اوالوساطات بين الجانبين بثلاثة ادوار هامة لم تسفر عن نتائج ايجابية . تمثل الدور الاول بجهود جمال باشا ، وتمثل الدوران الثاني والثالث بمفاوضات جمال باشا الصغير مع المسؤولين الحجازيين .

فقد جاءت عروض العثمانيين الاولى للصلح على يد جمال باشا في اواخر تشرين الثاني ١٩١٧ ، اذ بعث بثلاث رسائل الى القادة الحجازيين اثنتين منها الى كل من الامير فيصل ، والقائد جعفر العسكري ، فيما كانت الثالثة للاميرعبدالله بتاريخ ٥ كانون الاول ١٩١٧ ، جاء فيها اقرار العثمانيين للحكم الذاتي الكامل للولايات العربية ، والاعتراف باستقلال العرب . ولكن الشريف حسين رفض العروض العثمانية ، بعد ان عرضها عليه ابنه فيصل ، بل وارسل رسالتان لفيصل تقضي بان لا يتخذ أي اجراء في الوقت الحاضر ، وعدم التدخل في موضوع الصلح وانه لا يمكن التقارب مع العثمانيين نهائيا ، مشيرا الى ثقته (أي الحسين) بالحلفاء واعتبرهم السند القوي له[٢] .

وفي الاول من شباط عام ١٩١٨ ، عاود الاتحاديون مرة أخرى طرق باب الصلح مع الشريف حسين على يد جمال باشا (الصغير) ، الذي أوفد رسولا الى الامير فيصل . يدعوة مجددا لعقد الصلح ، فلم يعارض فيصل عرض الصلح شريطة

---

[١] الصواف ، المصدر السابق ، ص١٨٨ انطونيوس – المصدر السابق ، ص ص ٢٩٧–٢٩٨ .

[٢] حول نصوص رسائل جمال باشا الى فيصل وجعفر وعبدالله ، وتحليلها وردود فعل الشريف حسين عن العرض ، راجع المبحث الثالث ، الفصل الرابع .

انسحاب القوات العثمانية من المدينة المنورة ومعان وجميع محطات سكة الحديد حتى عمان ، ولكن والده الحسين أصر على رفضه لمشروع الصلح ، مؤكدا لفيصل ثقته ببريطانيا ووفاء الحلفاء بوعودهم ، ثم بعث الحسين بدعوة جمال الصغير وموقفه منها الى السيرونجت(١) .

ومرة اخرى حاول جمال باشا الصغير مد يد الصلح مع الامير فيصل وذلك في ٥ حزيران ١٩١٨ واجاب فيصل بالقبول مقابل الشروط الاتية :-

١- نقل جميع القوات العسكرية المرابطة على خط سكك الحديد بين المدينة - عمان الى عمان .
٢- التحاق جميع الضباط العرب الموجودين في الاناضول والروميللي بالجيش العربي .
٣- يوضع الجيش العربي تحت امرة قائده حالة اشتراكه بجانب الدولة العثمانية ضد العدو .
٤- اعطاء سوريا استقلالا ذاتيا .
٥- تمتنع القوات العثمانية من الاستحواذ على اية كمية من المواد التموينية الموجودة في سورية في الوقت الحاضر ، لتبقى تحت تصرف الجيش العربي .

وارسل جمال الصغير مبعوثا عنه هو الامير محمد سعيد الجزائري ليتولى مهمة التفاوض مع الامير فيصل ، واعلن الجزائري اثناء المفاوضات عن استعداد دولته لقبول جميع المطاليب التي يتقدم بها العرب ، ولكن تفوق الشريف عسكريا مقابل خسائر وهزائم الدولة العثمانية العديدة في الحرب ، جعل فيصل يطرح مطلب اساسي ، يتمثل بحرية واستقلال العرب ضمن اتحاد لا مركزي مع الدولة العثمانية ، شريطة موافقة العرب على الصلح مع الدولة العثمانية ، وكان من الطبيعي ان يرفض

---

(١) حول المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده وبعض القادة الحجازيين التي قامت اثر محاولات الصلح العثماني - الحجازي ، راجع المبحث الثالث من الفصل الرابع .

الاتحاديين ذلك[1] ، وبالتالي فشلت آخر محاولت الصلح بين الهاشميين والعثمانيين خلال الحرب . والذي يهمنا ان هذه المحاولات التي قام بها الوسطاء كانت احدى وسائل تبادل المراسلات بين الجانبين .

---

[1] حول المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية والشريف حسين واولاده وبعض القادة الحجازيين ، التي قامت اثر محاولات الصلح العثماني – الحجازي ، راجع المبحث الثالث من الفصل الرابع .

ثانيا – لهجة المراسلات وتطويرها :

عكست لهجة الرسائل المتبادلة بين مسؤولي الدولية العثمانية والشريف حسين واولاده ، طبيعة العلاقات القائمة بينهما ، وقد اتخذت المراسلات المتبادلة ابان المرحلة (١٩٠٨ – ١٩١٨) اشكالا مختلفة من اللهجات ، وفقا لما تقتضيه المصلحة العامة للجانبين .

ويمكننا تقسيم ذلك الى ثلاث مراحل :

١– مرحلة ما قبل الحرب :

استهلت هذه المرحلة بتقديم الشريف حسين مذكرات رقيقة الى السلطان عبدالحميد الثاني بواسطة الصدر الاعظم كامل باشا ، يرجوه فيها تعيينه في منصب الشرافة على مكة ، الذي شغر بوفاة عمه الشريف عبدالاله ، على أساس انه اكبر افراد العائلة الهاشمية سنا واحقهم بمقام آبائه ، اذ جاء في مذكرته ما يأتي :"بناء على وفاة عمي الشريف عبدالاله بن محمد أمير مكة المكرمة ، بعد عزل ابن عمي الشريف علي بن عبدالله بن محمد وخلو مقام الامارة ، ولكوني أسن العائلة الهاشمية واحقها بمقام الاباء ، استرحم جلالة السلطان ان يتكرم بايصالي الى حقي الذي لا يخفى على جلالته مع خالص صداقتي واخلاصي " (١).

وتضمنت نفس اللهجة برقية الامير عبدالله الذي كتبها على لسان والده والتي جاء فيها : " نظرا لشغور مقام الامارة الجليلة بمكة المكرمة ولكوني صاحب الحق فانني انتظر من الاعطاف السنية السلطانية عدم حرماني حقي وتعييني في مقام آبائي " (٢).

---

(١) حول مذكرة الشريف حسين الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر عبداالله لن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٢٠–٢١.

(٢) حول برقية الامير عبدالله الى السلطان عبدالحميد الثاني ، انظر المصدر نفسه ، ص ٢١.

وفي المقابل عكس الفرمان السلطاني الخاص بتعيين الشريف حسين اميرا على مكه ، ومذكرة الصدر الاعظم كامل باشا الخاصة بتوضيح صلاحيات الشريف في الامارة ، نفس مظاهر الود والاحترام المتبادل ، اذ ما جاء في مذكرة الاخير قوله " قوموا بواجباتكم السامية على أساس التعامل القديم وفقكم الله للخير . وان اعتماد الحضرة الملوكية والباب العالي على ذاتكم الهاشمية مما لا يحتاج الى تأكيد "(١) .

ولكن هذه اللهجة اتخذت شكلا آخرا عند مجئ الاتحاديين الى الحكم ، والذين حاولوا تطبيق السياسية المركزية في الحجاز ، الامر الذي دفع بالشريف حسين ، ومنذ وصوله الحجاز ، الى اظهار نزعته المعارضة لتلك السياسة ، يدفعه طموحه ، لتثبيت مركزه وسيادته في البلاد .

ويمكننا ان نلمس هذه الحقيقة من أول مقابلة بين الشريف والاتحاديين عندما قابله نفرا منهم لاجل استقباله ، واعلانهم عن املهم في قيامه باجراءات اصلاحية في طريقة الحكم في الحجاز على أسس عصرية متمدنه ، فثار الشريف في وجههم قائلا " ان الحجاز هو أرض الله ، وان الحكم الوحيد الذي سيظل سائدا فيه هو شريعة الله وقانونه السماوي وتعاليم رسوله العظيم " ، مؤكدا ان أي قانون آخر مهما وضع في تركيا لن يسرى مفعوله في الحجاز(٢).

ولا شك ان هذا كان ايذانا ببدء الخلاف العلني بين الشريف حسين وبين الاتحاديين ، الذين علموا بالامر اثر البرقية التي استلموها من وفدهم في جده والتي جاء فيها " بعث عبدالحميد برجل جلس على مقام اسلافه لا يعبأ بأحد ، ولا يقر بدستور ولا يتجدد "(٣).

---

(١) حول فرمان السلطان عبدالحميد الثاني ومذكرة صدره الاعظم كامل باشا انظر المصدرنفسه ، ص٣١ ، موريس، المصدر السابق، ص٢٤ .

(٢) حول نص كلمة الاتحاديين ورد الشريف عليها ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص٣٧، سعيد الثورة ، جـ١ ، ص ٤٥، موريس، المصدر السابق ، ص ٢٥.

(٣) عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٣٧-٣٨ .

وهكذا سادت لهجة التحذير والتحدي طابع المراسلات المتبادلة بين الشريف والاتحاديين ، بل سرعان ما اتخذت طابع التهديد والوعيد ، من اجل تجريد الشريف حسين من معظم امتيازاته الدينية والسياسية في الحجاز وبالتالي الى عزله[١] .

ويتضح ذلك بشكل واضح من التعليمات التي زودوا بها واليهم في الحجاز وهيب باشا والتي جاء فيها :"اننا نعلم ان الشريف حسين يعمل بكل قواه في سبيل استقلال العرب وسلخ هذه البلاد عن السلطة العثمانية ، ولهذا اعتزمنا عزله وتولية الشريف علي حيدر (من آل زيد) بدلا عنه . فعليك حين وصولك الى مكة ان توجد خلافا بين مقامي الولاية والامارة لنتمكن من تحقيق هذا الهدف "[٢].

وتتضح لهجة التهديد والوعيد بشكل اكثر في مقابلات وبرقيات انور وطلعت باشا ، ومنها مقابلة الاول للامير عبدالله بشأن سياسة الاتحاديين بتطبيق قانون الولايات العثماني في الحجاز ومد سكة الحديد الى مكة ، وما صاحبها من رفض واستنكار الاشراف لها ، اذ بدأ انور مقابلته مع عبدالله مهددا :"ما هذا ؟ نحن نريد لو استطعنا ان نخلق من الشجر رجالا لنضيفهم على اعدادنا ، والحجاز يقتل فيه رجال الامن ... "[٣].

وبرزت هذه اللهجة ايضا في محادثة طلعت باشا مع الامير عبدالله ، بخصوص المسألة نفسها ، اذ بدأ طلعت بالقول للامير " اسمع ، انه لا يهمنا تغيير الولاة في كل شهر ، ولكن الذي يهمنا هو انشاء الخط الحديدي من المدينة الى مكة ومن جدة الى مكة ، ومن ينبع الى المدينة ، فان قام والدك بمسؤولياته في هذا الباب ،

---

[١] للتفاصيل عن المراسلات التي اتخذت طابع التهديد والوعيد بين الجانبين ، انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني .

[٢] حول سياسة الوالي وهيب باشا اتجاه الشريف واولاده ، انظر المبحث الخامس من الفصل الرابع .

[٣] للتفاصيل عن مقابلة انور باشا مع الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ٩٢-٩٣.

عملنا له كل ما يريد . وان رفض فلا وداد ولا بقاء " ، ثم عرض عليه اربعة شروط لينقلها الى والده ، وقال له مهددا " وان رفض فلا عتب"[١].

ولا شك ان في هذه اللهجة تهديدا واضحا من الحكومة العثمانية اذ انها في حالة رفض الشريف للشروط ستتخذ الاجراءات التي تراها مناسبة . اما بشأن الشكوى التي رفعها الامير عبدالله ضد تصرفات الوالي واعتداءاته على صلاحيات الشريف ، قال طلعت باشا وزير الداخلية ان حكومته لا تبالي بان تغير الولاة شهرا بعد الشهر، وان ما يهمها هو تنفيذ السياسة التي تضعها .

وعلى الرغم من ذلك ، فان هذه المرحلة تخللتها دعوات استنجاد من الباب العالي الى الشريف حسين ، من اجل التوفيق بين القبائل الحجازية والسلطات الحكومية[٢].

أو محاربة كل من حاول القيام على الدولة او الانفصال عنها[٣] ، اذ ان الشريف قد اظهر اخلاصه للدولة العثمانية ولم يتردد ابدا في الاستجابة لمراسلات الباب العالي بهذا الشأن .

٢- مرحلة ما قبل الثورة :

اتسمت المراسلات المتبادلة بين مسؤولي الدولة العثمانية من جانب والشريف حسين وأولاده من جانب آخر ، ابان المرحلة الاولى من الحرب العالمية الاولى ، بطابع التودد والمجاملة والاستشارة من الجانب الاول ، والرجاء والنصح والتحذير

---

(١) للتفاصيل عن محادثة طلعت باشا مع الامير عبدالله ، انظر عبدالله بن الحسين مذكراتي ، ص ص ٩٣-٩٤.

(٢) حول نص دعوات الاستنجاد العثماني من الشريف حسين ، انظر المبحث الرابع من الفصل الثاني .

(٣) ويقصد به حمله الشريف على نجد واليمن وعسير، انظر المصدر نفسه ، اما بشأن القبائل الحجازية ، فان التقارير الورادة للباب العالي تؤكد بأن " بدو الحجاز قد جلبوا للسكينة باجراءات الشريف الحكيمة ..." انظر السعدون ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

واللهجة المزدوجة من الجانب الثاني ، فضلا عن لهجة التمويه والخداع من الجانبين .

يتضح ذلك من آخر رسالة بين الاتحاديين والشريف والصادرة من ابرز اقطابها طلعت باشا ، قبيل اندلاع الحرب ، وتؤكد على ضرورة مجاملة الشريف وعدم اثارته والنزول عند رأيه في مسألة السكة[1] .

ويبدو ان هذا امرا طبيعيا من جانب الاتحاديين في هذه المرحلة ، لان مصلحتهم تقتضي الاستفادة من الشريف كورقة رابحة تسندهم عند دخولهم الحرب ، وذلك باعلانه الجهاد لتعبئة الشعور الاسلامي بجانبهم ، نظرا لما يتمتع به الشريف من مكانة مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين . ولكن الشريف ادرك ان سياسة الاتحاديين هذه هي مهادنه وقتيه . لذا نلحظه يرسل الى السلطان والصدر الاعظم وغيره من كبار مسؤولي الدولة ، يحذرهم من مغبة الدخول في الحرب ضد دول الحلفاء التي تحيط باراضي الدولة العثمانية ، مشيرا الى ضعف الدولة بعد الحرب البلقانية ، مستعرضا في رسائله حالة اوروبا والاتفاقيات القائمة بين دولها[2] ، بل انه اعلن رجائه للسلطان محمد رشاد بعدم دخوله الحرب بقوله : " واستحلف جلالتكم بان لا تدخلوا الحرب"[3].

وحذر الشريف الصدر الاعظم وانور باشا ، عندما استشاراه في دخول الحرب ، بقوله بان دخول الحرب يعد"خرق عظيم وخيانه للامانة ، وان البلاد باجمعها لا ترضى عن حرب ضد هذه الدول" ، ولكنه يلجأ الى اللهجة المزدوجة ، بقوله " وانهم وان كانوا عزموا على هذا ، فقبل نشوب الحرب عليهم ان يزودوا

---

[1] للتفاصيل انظر ، عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص٩٨-١٠٢، موسى ، الحركة ، ص ٨١ .

[2] حول لهجة المراسلات وتطورها بشأن فكرة دخول الدولة العثمانية الحرب ، انظر المبحث الاول ، الفصل الخامس .

[3] حول رسالة الشريف حسين التحذيرية للسلطان محمد رشاد ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ١٠٣ - ١٠٤ ، زين ، اسباب ، ص ٥٧، موسى،الحسين، ص٤١.

الجيش الخامس في اليمن بما يكفيه لثلاث سنوات وباحتياطي لما يطلب من مجاهدين ، وكذلك العمل للفرقة العسكرية بعسير وكذلك بالحجاز .

وانه يجب الاسراع في هذه المدة بخزن المؤن في الولايات لمدة لا تقل عن خمس سنوات ، ويحذرهم قائلا " وان لم تفعلوا هذا فهم سيضعون هذه البلاد في أحرج مركز قد يفضي بهم الى ما لا تحمد عقباه "[١]. ولم تتضمن اجابة مسؤولي الدولة العثمانية عنه ، أكثر من شكرها لنصائحه[٢].

وجمع الشريف حسين في لهجته المزدوجة هذه بين رفضه دخول تركيا الحرب ، وبين الدعوة لاتخاذ الترتيبات والاحتياطات العسكرية والاقتصادية اللازمة لتقليص اثار الحرب عن الجزيرة العربية . ولا شك ان هذا التحول في اسلوب ولهجة الشريف قد اثارت احد الباحثين الذي قال : ان " هذه الاراء من السداد والحكمة بحيث ترينا مقدرة هذا الشريف من ادراك وفهم التيارات السياسية وقتئذ "[٣].

وعند دخول الدولة العثمانية الحرب ، اعلنت الدعوة الى الجهاد الديني ضد بريطانيا وحليفاتها ، وفي الوقت نفسه اتجهت الى اسلوب التودد والرجاء للشريف من أجل اصداره اعلاناً بالجهاد ، اذ تلقى الشريف سيلاً من الرسائل والبرقيات حملت تواقيع كبار حكومة الاستانة ، من امثال الصدر الاعظم وانور وطلعت وجمال باشا[٤] .

هذا الموقف الجديد دفع بالشريف الى العودة الى سلوك الاسلوب المزدوج في مراسلاته مع مسؤولي الدولة ، بهدف التهرب من اصدار الاعلان ، فحاول أن يسوق

---

(١) حول نص الرسالة الجوابية التي بعثها الشريف حسين الى الصدر الاعظم ووزير الحربية ، انظر عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ص ١٠٤-١٠٥ .

(٢) حول نص جواب الباب العالي للشريف حسين ، انظر المصدر نفسه ، ص ١٠٥ .

(٣) شرف ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

(٤) انظر انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ص٢٢٤ -٢٢٥ ، موريس ، المصدر السابق ، ص٣٨ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص١٣٦ .

للدولة اعذاراً تبدو في ظاهرها قوية ولكنها كانت في حقيقة أمرها تبريرات تخفي وراءها سراً دفيناً هو الا يندفع في تحديد موقف مؤيد للاتحاديين من جهة ، ولا يسمح لهم باستدراجه الى تحقيق هدفهم المنشود في اصدار الجهاد الديني من جهة أخرى ، اذ ورد في رسائله الجوابية " أنه يؤيد من اعماق قلبه الدعوة الى الجهاد ، ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى ان يكلل بالنجاح جهاد المسلمين في الدفاع عن دينهم ، ولكنه يرى أن اقدامه على اصدار بيان علني يدعو فيه المسلمين الى الجهاد أمر ينطوي على مخاطر " ، ومضى الشريف يبين تلك المخاطر[1].

ويبدو أن هذه اللهجة لم تفوت على الاتحاديين ، بدليل التجائهم الى لهجة خداع الجماهير عن طريق التصريحات والحملات الاعلامية المضللة ، التي تشير الى ان الشريف حسين قد بارك الدعوة الى الجهاد التي اصدرها السلطان وحكومته ، بل انهم استخدموا لهجة الخداع مع الشريف نفسه من أجل عزله ، بعد أن يئسوا من استصدار دعوة للجهاد منه ، ويتضح ذلك من توجيههم دعوة رقيقة للشريف لزيارة دمشق بحجة اجراء مباحثات مع جمال باشا ، ولكن الشريف ادرك ذلك الامر الذي دفعه الى رفض الدعوة . واراد الشريف حسين ان يقضي على اسلوب البرودة بينه وبين الاتحاديين فأعلن موافقته من الاشتراك في الحملة العثمانية على قناة السويس ، الامر الذي احدث ارتياحاً كبيراً لدى حكومة الاستانة[2].

وهكذا استمر الشريف طيلة هذه المرحلة باستخدام اسلوب ولهجة التمويه على الاتحاديين ليثبت لهم حرصه على تنفيذ مطاليب واهداف الدولة العثمانية وليحد من شكوكهم نحوه ، ريثما ينتهي من المفاوضات بينه وبين البريطانيين هذه من جهة ، ومن جهة أخرى ربما يكون القصد وراء لهجته التمويهية هذه للحيلولة دون تعرض الحركة العربية المتنامية الى الخطر ، لا سيما وأن جمال باشا أخذ يسوق العديد من الاحرار العرب الى المشانق ، واستخدامه اللهجة الشديدة ضد الشريف واولاده .

---

[1] حول نص رسالة الشريف ، انظر موريس ، المصدر السابق ، ص ٣٨ ، يحيى ، المصدر السابق ، ص١٣٦ .

[2] حول موقف الاتحاديين من سياسة الشريف نحوهم ، انظر المبحث الثاني من الفصل الثالث .

ويتضح ذلك من قوله للامير فيصل الذي عرض طلب والده بالعفو عن المعتقلين السياسيين والذي جاء فيه " أن يتقي نفسه (أي الشريف) بدل أن يدافع عن سواه "[١].
ويصف الامير فيصل حالة جمال المضطربة بقوله " وقال لي في انفه ان نابليون عمل لنفسه ذات يوم تمثالاً ، وطلب من صانع احذيته أن يرى أن كان في حذاء التمثال ما يوجب التغيير ليكون مطابقاً للواقع ، فعاب صانع الاحذية حذاء التمثال وتدرج الى عيب البنطلون فقال له نابليون : لا ، انت صانع احذية ويجب أن تقف عند رأيك في الحذاء فقط . كذلك يجب أن يكون أمير مكة في حدود عمله ولا رأي له في أن نشنق أو لا نشنق"[٢].

واوضح الشريف في خطابه الى الصدر الاعظم اسلوب وزرائه وبالذات انور وجمال بقوله " انه لا يعرف أي الرجلين يصدق : أهذا السياسي الذي يتعامل معه مباشرة ولطالما اظهر له المجاملة والود (ويقصد به جمال باشا) ، ام ذلك الذي استعمل معه الفاظاً جارحة (ويقصد به انور باشا)[٣].

وأخيراً نلمس بأن الشريف حسين قد نجح بحكمته ودهائه من تمرير اساليبه على الاتحاديين ، واستطاع ان يسحب جميع قادته من تحت ايديهم وامام انظارهم[٤] ، ليعلن في ١٠ حزيران ١٩١٦ ثورة العرب الكبرى من الحجاز .

---

[١] جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ ، ٢٥ آب ١٩٢٥ (وحديث مع جلالة فيصل الاول مع سليمان افندي فوزي صاحب الكشكول) .

[٢] حول لقاء فيصل مع جمال ، انظر جريدة العالم العربي ، العدد ٤٣٧ ، ٢٥ آب ١٩٢٥ (حديث مع جلالة فيصل الاول مع سليمان افندي فوزي صاحب الكشكول) .

[٣] للتفاصيل حول نص خطاب الشريف الى الصدر الاعظم ، انظر جمال باشا ، المصدر السابق ، ص٢٤٨ ، ناصيف ، المصدر السابق ، ج١ ، ص٤٢ .

[٤] للتفاصيل راجع الصفحات الاخيرة من المبحث الرابع ، الفصل الثالث .

٣- مرحلة الثورة العربية :

يمكننا القول بأن اللهجة الشديدة المتمثلة بالتحذير والتهديد والوعيد هي التي طغت على اجواء المراسلات المتبادلة بين القادة الحجازيين والعثمانيين بعد أن اعلن الشريف حسين ثورته في الحجاز .

لقد دعا الشريف حسين في منشوراته جميع العرب والمسلمين الى الثورة على الدولة العثمانية لنيل استقلالهم ، والقضاء على الطغيان المتعسف التي قامت به عصبة أنور وجمال وطلعت اقطاب جمعية الاتحاد والترقي ضد العرب والمسلمين واعلن الشريف بأن ثورته هي واجب ديني قومي وفرصة منحها الله للمسلمين لبلوغ الاستقلال(١).

وقد اثارت هذه الدعوات الاتحاديين لأنها هدفت الى تعطيل سندهم القوي والفعال في الحرب وهو الجهاد المقدس ، وليس ادل على ذلك من لهجة جمال باشا الشديدة المصحوبة بالتقبيح والغضب والتي جاء فيها " من المؤسف أن إمرءاً دنيئاً قد عطل الجهاد المقدس في صميم الارض الاسلامية المقدسة "(٢).

ومن جهة انصبت لهجة القادة الحجازيين بالتأكيد على دعامتي الدين والقومية ، كما هو واضح من منشورات الشريف ، وبأن " دولة الترك لا تعمل لأجل دين أو عمل عام ينفع البلاد ، وانها اعلنت الجهاد مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب " على حد تعبير الامير فيصل(٣).

وان لهجة الاتحاديين ، في هذه المرحلة تميزت بالعنف والتهور بل ساد طابع لغة الذم على تصريحاتهم ، بل وصل الحد الى أن جمال باشا كاد أن يرسل بنائب دمشق فارس الخوري الى المشنقة ، لأنه لم يبلغه عبارة كان سمعها عن استعداد جماعة من الناس للانتقام لشهداء ٦ ايار ١٩١٦ ، كي يتلافى " الخطب قبل وقوعه "

---

(١) حول نص منشورات الشريف وتحليلها ، انظر المبحث الاول من الفصل الرابع .

(٢) انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ٣٠٥ .

(٣) طلس ، تاريخ ، ص٦٥ .

وذلك على حد قول جمال " لأن فيصلاً كان في قبضة يدي يراوغني ويخدعني فكان في امكاني أن اقبض عليه ، وكان أخوه علي في متناول يد الحكومة في المدينة . فلو أنك اخبرتني كنت حجزتهما رهينة عندي فلا يجرؤ ذلك الشيخ الخرف والدهما على أعلان العصيان وولداه في قبضة يدي "[1] ... وهكذا يظهر جلياً النفس المضطربة للقادة الاتحاديين عند اعلان الثورة عليهم .

ويبدو ان الاضطراب كان كبيراً على سلوك طلعت بك ، الذي صرح اثر اعلان الثورة قائلاً " نحن لا نحترم إلا رماة القنابل وحملة الديناميت والعرب لا يستحقون احترامنا واهتمامنا لأنهم ليسوا من هؤلاء ولا من اولئك "[2].

واتجه الاتحاديون الى اسلوب ضرب العرب بالعرب ، وذلك بعزلهم الشريف حسين (آل عون) وتعيين الشريف علي حيدر (آل زيد) بدله ، إلا أن سياستهم هذه باءت بالفشل لأن شخصية وشعبية الشريف حسين كانت قد ترسخت أكثر في نفوس وعقول معظم العرب والمسلمين ، الذين اعلنوا مبايعتهم للشريف ملكاً على البلاد العربية[3].

وأخيراً التجأ الاتحاديون الى اسلوب المصالحة ، التي مرت بثلاثة ادوار هامة ، تمثل الدور الاول بجهود جمال باشا ، وتمثل الدوران الثاني والثالث بمفاوضات جمال باشا الصغير مع القادة الحجازيين ، لكنها لم تسفر عن نتيجة ، لأن الاتحاديين لم يعبروا عن نيات صادقة بشأن محالات الصلح مع العرب ، بقدر ما كانت تهدف الى شق صف رجال الثورة ، من أجل حدوث خلاف بينهم حول مسألة قبول العرض العثماني بالصلح أو عدم قبوله ، اذ أن قبول هؤلاء لفكرة الصلح يعد كسباً كبيراً للعثمانيين ، ولم يتمكنوا من ذلك لأن العرب اتفقوا على رأي واحد ، وتمسكوا به ، وهو حريتهم واستقلالهم ضمن اتحاد لا مركزي مع الدولة العثمانية[4] ، الامر الذي

---

[1] موسى ، الحركة ، ص٢٨٠ .

[2] جريدة القبلة ، السنة الثانية ، العدد ١٣٠ ، الاثنين ٤ صفر ١٣٣٦ هـ .

[3] للتفاصيل انظر المبحث الثاني من الفصل الرابع .

[4] للتفاصيل ، انظر المبحث الثالث من الفصل الرابع .

اسقط كل مراهنات وأساليب الاتحاديين الملتوية من جهة ، وحقق للعرب ما كانوا يصبون اليه من حرية واستقلال ، بفضل نجاح ثورتهم التي رفع لواءها أمير مكة المكرمة وشريفها الحسين بن علي.

﴿ الخاتمــة ﴾

الخاتمـــــة

لقد اتضح من خلال قراءة فصول الرسالة ، بأن المراسلات الشريفية – العثمانية قد اتسمت بالود والاحترام المتبادل حتى مجيء الاتحاديين عام ١٩٠٩ ، بل كشفت هذه المرحلة التحالف الاقليمي القائم على بناء مصالح مشتركة سليمة بين اشراف مكة والعثمانيين منذ عام ١٥١٧ ، اذ كان الاشراف قد استفادوا من القوة السياسية العثمانية الكبرى ، لغرض سيادة الامن والاستقرار الاقليمي والمحلي ، كما ان العثمانيين قد استفادوا من المقارنه الدينية المقدسة لطبقة الاشراف لغرض الاستحواذ على ولاء العالم الاسلامي قاطبة . او بتعبير آخر ان حكم الاشراف لمكة قد سار جنبا الى جنب مع السلطة الروحية القديمة التي كانوا يمارسونها ، والتي تعززت من خلال العثمانيين بـ " السلطة الزمنية المحلية " . اذ كشفت الدراسة ان اشراف مكة هم السلالة العربية الاولى التي اعتمد عليها البلاط اعتمادا اساسيا في الحجاز ، وبصورة خاصة في مكة منذ بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين لان اشراف مكة هم جزءا مهما من بينة النظام العربي القديم الذي استطاع البلاط العثماني ان يوظفه لصالحه ، وخصوصا ما يتعلق ذلك بشأن الاماكن الاسلامية المقدسة ، وخلصت الدراسة في هذه المرحلة ، ومن خلال المراسلات ، بأن العلاقات تكاد تكون ثابته بين الحكام العثمانيين كـ " السلاطين " و أشراف مكة " ، ما دام هؤلاء الاشراف لم يثيروا أي حقوق سلطوية عربية (كقرشيين عرب) بمقتضى النظرة الشرعية القديمة للسلطات في الاسلام .

وعند تولي الشريف حسين لمنصب الشرافة وامارة مكة المكرمة عام ١٩٠٨ حاول جاهدا المحافظة على السلطتين الروحية والزمنية للحجاز التي قلل من شأنها العثمانيين مستغلين بذلك سوء ادارة من سبقه من الاشراف للحجاز . وانتهج الاتحاديون عند بروزهم على الساحة السياسة عام ١٩٠٩ ، سياسة التقليل من سلطات الشريف وفرض السلطة المركزية على اقليم الحجاز وجعله اقليما حاله حاَل الاقاليم العربية التابعة للدولة العثمانية ، وذلك بتطبيق نظام الولايات العثمانية عليه فضلا عن تطبيق التجنيد الالزامي على سكانه ، ومدّ سكك الحديد الى مكة ، وقد كشفت المراسلات هذه السياسة ، كما

كشفت ايضا استياء الشريف حسين واولاده وبقية علماء ووجهاء الحجاز منها ، لانهم لا يرغبون رؤية الولاة العثمانيين وهم يغتصبون سلطات شريفهم وفرض النظام على اقليمهم ، لانهم يعدون الشريف هو الحاكم التقليدي ، وباستمرار حكمه يتم المحافظة على القيم والتقاليد الروحية الحية لديهم ، فضلا عن ذلك فقد كان الشريف يمثل رمزا لكيانهم الشبه مستقل ، وحاميهم من سياسة الاتحاديين الطورانية ، وكان حرمانهم من سلطات حكم شريفهم ونفوذه معناه احكام سيطرة قبضة الاتحاديين على الحجاز ، وكانت خطورة الاتحاديين تكمن ايضا في تركيزهم على اثارة النزعات الاسرية التقليدية بين اشراف مكة وبالذات بين آل عون وآل زيد .

واتخذت هذه المراسلات طابعا آخر عند اعلان الحرب العالمية الاولى ، اذ اتسمت بالتودد والمجاملة والاستشارة والنصح والتحذير ، فضلا عن اللهجة المزدوجة من قبل الجانبين ، وبالذات من الاتحاديين الذين رأوا في الشريف حسين ورقة رابحة ممكن الاستناد اليها عند دخولهم الحرب ، وذلك لما يتمتع به الشريف من مكانه مرموقة ومنزلة محترمة في نفوس المسلمين ، وبذا رغب الاتحاديين بضرورة اعلانه الجهاد لتعبئة الشعور الاسلامي بجانبهم ، ولكن الشريف حسين ادراك بان سياسة الاتحاديين هذه هي مهادنة وقتية تقتضيها ظروف المرحلة التي تمر بها الدولة العثمانية ، لذا لجأ الشريف الى نصح العثمانيين بعدم دخول الحرب وحذرهم من مخاطرها ونصحهم بتأمين المستلزمات الاساسية للحيلولة دون امتداد آثارها على بقية أقاليم الدولة ومنها الحجاز . ولكن دخول الدولة العثمانية الحرب حتم على الشريف حسين اتباع سياسة ترمي الى نيل الاقاليم العربية استقلالها من الدولة ، وبذا بدأ اتصالاته بالبريطانيين لتنفيذ ذلك والتي توجها بعملة العسكري الجريء في ١٠ حزيران ١٩١٦ باعلان ثورته على السياسية الطورانية الاتحادية من أجل انقاذ الدين الاسلامي والقومية العربية من آثار تلك السياسة الاتحادية ، واستمر الشريف في نهجه القومي حتى تحقيق النصر التام لثورته التي ساهمت بشكل مباشر وفعال في هزيمة الاتحاديين في الحرب العالمية الاولى ، وبذا اعاد الشريف ، بفضل ثورته ، المجد لامتنا العربية ، فضلا عن اماطته اللثام عن حقيقة السياسة العثمانية

- الاتحادية المتسترة وراء الدين الاسلامي واعلانهم ظلما وبهتانا امتداد الخلافة الاسلامية اليهم . اي اسقاطة اسطورة الخلافة العثمانية باعلان ثورته الاسلامية - العربية .

﴿ الملاحق ﴾

ملحق رقم [١]

فرمان تعيين الشريف حسين اميراً لمكة المكرمة [(١)]

بما ان الله سبحانه وتعالى جل شأنه وعم نواله قد نظم خلق كونه واحسنه وجعل كل شيء عنده بمقدار ، فقد اختص ذاتي بكمال قدرته الازلية لتكون خليفة للاسلام وسلطاناً للانام وجعلني سبحانه وتعالى بكمال عدله شرف الملوك ، وجعل سدتي ملجأ للخاص والعام لذا كان من الواجب على ذاتنا الشاهانية ، والمحتم على دولتنا العلية ان نجعل ابواب عواطفنا الملوكية مفتحة لكل من قام بحسن خدمتنا ، وبرهن بعمله على صداقته لدولتنا العلية حيث ان انواع مكارمنا التي لا غاية لها متهيئة لذوي الصدق من رجالنا وانت أيها الشريف المحترم من أعاظم رجال سلطتنا ، كما انك سابقاً من أعضاء لجنة شورى دولتنا ، ومتخلق بحسن السيرة والفطانة والنجابة وأن آمالنا الشاهانية تؤامل في نجابتك حسن الخدمة واظهار مآثر الصدق لدولتنا العلية.وبناء على هذا الأمل فقد اعربت عن عواطفنا المنيرة السلطانية في اليوم السادس من شوال عام السادس والعشرين بعد الثلاثمائة والألف مصحوبة بكمال توجيهاتي السنية ، وتمام عنايتي الشاهانية فأحسنت ووجهت الرتبة السامية الوزارة الى عهدة استعدادك وتأهلك بموجب ارادتنا الملوكانية ، أخص بتوقيعنا هذا الملوكاني الرفيع القدر ، حائزاً لنيشانين العثماني والمجيدي المرصعين الدستور المكرم الوزير المفخم نظام العالم مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الأنام بالرأي الصائب ، ممهداً بنيان الدولة والاقبال مشيداً أركان السعادة والاجلال المحفوظ بصون الملك الأعلى وزيري المختص بالسيادة الشريف حسين باشا أدام الله اجلاله . وأعطيتك هذا المنشور الفائق السرور واصدرت أمري الملوكاني بتفويض رتبة الوزارة الجليلة اليك من تاريخ فرماني هذا الملوكاني الفائق على أمثاله وأقرانه.وأنت أيها الوزير يلزمك أن تثبت على الصدق وحسن الخدمة في الأقوال والأفعال لتستجلب مرضاتي الملوكانية.وكذا يلزمك أن تبذل الشفقة والرأفة على كل من كان دونك بقدر مقامهم وحسب درجاتهم واطلب منك أن تعمل بشرائط الوزارة بتمام الاهتمام جاريا على

---

(١) ناصيف : المصدر السابق ص ص ١٢-١٤ .

قسطاس الشرع القويم ومقياس القوانين المؤسسة على العدل.وأن تجعل كل أمرك ونهيك دائرين على مدار الأمرين المذكورين ، وأن تبذل طاقتك في أجراء كل ما ذكر ، وأن توفى بكل ما هو من شرائط الوزارة كما ينبغي على النهج الشرعي والطريق النظامي.

حرر في السادس من شهر شوال المكرم عام ١٣٢٦ انتهى.

ملحق رقم [٢]
بلاغ السلطات العثمانية في دمشق
عـــــن
اندلاع الثورة العربية في الحجاز[١]

اعتـدت بعـض العصابـات المؤلفـة مـن ذوي الطمـع والفسـاد ، ومـن بعـض جماعـ العريان وقـد استميلوا بالمـال علـى بعـض المخـافر المجـاورة للمدينـة المنـورة بالسـلاح وخربوا التلغراف وسكة الحديد ، فبـادرت القـوى العسـكرية الـى التنكيـل بتلـك العصابـا الواقفةفي الطريق ، وتمكنت من دخول المدينة وشرعت في اصلاح السكة ، كمـا أنشـأ داراً للمخـابرات اللاسـلكية فـي المدينـة تجـرى المخـابرات بواسـطتها وفـي الليلـة البارحـ زحفت قواتنا العسكرية على العصاة المجتمعين والمتحصنين في موقع الحسا (اول مرحلـ للحاج السائر من المدينة الى مكة وتبعد عن الاولى ثلاث ساعات وتسمى بير على ايضـ بجوار المدينة ، واستولت على المواقع التي كان ممتنعاً بها العصاة المذكـورون وطردتهـ منها بعد تبديد شملهم . وقد تبلغنا برقية من محافظ المدينة المنورة تشعر بأن اهـل المدينـ سروا سروراً عظيماً بما وقع وهذا نصها:

ولقد سر اهل البلدة الطيبة قلباً وقالباً بمحو القبائل الباغية والتنكيل بهـا فـي المعركـ الشديدة التي دارت امس وعادت الراحة الى ربوعها كما ان هذه الحادثـة قـد اثـرت تـأثيـ عظيماً في العربان المجاورة ونبتهل الى الله بتوالي توفيقات دولتكم".

---

[١] اذيع هذا البلاغ في اليوم الرابع من شهر شعبان ١٣٣٤ الموافق الخامس عشر من شهر يونيو ١٩١٦ .

ملحق رقم [٣]
مبايعه الحسين ملكاً على العرب
وصف حفل المبايعة(١)

امتلاءت قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح امس بجماهير الاشراف كرام والعلماء والاعلام والاعيان العظام ، بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذو حثيثة مكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ، ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا معظم امنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ، الا وهي اقناع جلالته نبول بيعتهم له ملكاً على العرب - ومرجعاً دينيا لهم ريثما يقرّ قرار العالم الاسلامي على - أي يجمعون عليه في شأنه الخلافة الاسلامية .

ولما غصت انحاء القصر العالي بحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف المثول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة اعماله الخاصة حضرة العلامة الورع لشيخ عبدالله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء لفخام ، وأنبأ جلالته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض المعروضات على مسامعه لكريمة ولما شرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطليعة الهاشمية المقدسة بقلوب صافحة بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائباً عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم ، فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه وانهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامعه الشريفة فأجابه جلالته بالكلمات الملوكية الاتية :

" وانني لم اكن ارى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من اجله ، وذلك لما اعلمه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به ، وشدة اخلاصها له وعضها عليه بالنواجذ . ولم تنحصر هذه العواطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعربِ العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم

(١) نشر هذا الوصف في جريدة القبلة العدد ٢٢ الصادر في ٣ من المحرم ١٣٣٥ (٣٠ من أكتوبر ١٩١٦)ص ص ١-٢.

وجمع كلمتهم وقد وردت اليّ الرسائل من اعيانهم بذلك ، علـى ان هـذا الامـر الذي جئتم اليوم من اجله سينفي كل ما ربما يخطـر علـى بـال الذيـن يجهلـون حقيقة احوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا واصول ديننا وقوميتنا .

واني اقسم لكم بالله العظيم انني لم ارد هـذا الامـر الـذي تكلفونـي بـه ، ولـم يخطـر على بالي عندما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ولكني رأيت كما رأيتم اننا امام خطـر عظيـم وخطب جسيم ربما قضي علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته " .

وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته والالحاح بقبـول الـذي جـاءوا لاجلـه فقال جلالته :

" انكم حملتموني امراً انا اعرف الناس بما يستلزمه من الجهد وطالما قلـت لكم اني واحد مـن جمهور الامـة ابـرم مـا يـبرمون مـن حـق ، وارفـض مـا يرفضون من باطل ، وامد يدي لكل من يتفقون على اسناد امرهـم اليـه علـى كتاب الله وسنة رسوله. واذا كان لامناص مما اردتمـوه فـاني اشـترط عليكـم ان تعينوني على انفسكم وتساعدوني بآرائكم واعمالكم في كل ما يحقق آمالنـا وآمالكم من الخدمة العامة للعرب والمسلمين. واننا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل ، وعليه الاتكال في كل حال "

ولما انتهى جلالته من الخطاب الملوكـي الـذي كـان يتخللـه دعـاء النـاس وثنـاؤهم ، اخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي اشرنا اليها واعطاها لحضرة الشيخ عبد الملـك مرداد ليتلوها على مسامع جلالته وهذه صورتها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامـى العربي سيد الخلق اجمعين وعلى آله الطاهرين . واصحابـه الطيبين . وسـلم تسليماً كثيراً .

اما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين ، فدانت الدنيا كلها في كل ازمانها الى ما اراد الله ان يتمه على ألسنة انبيائهم العظام من الشرائع الالهية والسنن القويمة والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات ، حتى استنارت الامم بنورهم واهتدت بهديهم . ولقد فضل الله في كتابه الكريم ولد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعاً وانه قد ثبت في صحيح مسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفى من هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فبجدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور . وبيتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجهل . وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية الى طريق الهداية لايزال ملزماً بلم شعثنا وتقويم اودنا واستلام زمام امورنا مهما تجشمتم من العناء لاجل هنائنا ، ومهما تحملتم من الجهد لاجل سعادتنا وما كان لنا ان نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل ، ولا ان نصطفي قوماً غير الذين اصطفاهم لنفسه . وقد ثبت في صحيح البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : " ان هذا الامر في قريش لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين " .

وانه قال صلى الله عليه وسلم :

" لايزال هذا الامر في قريش ما بقى اثنان " .

فأنتم قريش بل انتم الصفوة من هاشم ، واننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه ، باننا لا نعلم اليوم أميراً مسلما أتقى لله منكم وأشد خوفاً منه وتمسكاً بأوامره وأقامة لشعائره قولا وعملا وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل. ونحن الذين عرفنا كم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالتي السر والعلن.

وان حولكم أمة برهنت في ادوار كثيرة من ادوار التاريخ على انها عظيمة المدارك. عالية الهمة. كثيرة الاقدام ، حازمة ، عادلة ، صبورة رحيمة منصفة. ولو أن صفحات التاريخ فقدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لغتها التي حيرت أسرارها العقول ، وادابها التي هي خزانة المعارف ، واشعارها التي نظمت لالئ الحكمة في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الأولى ، فضلاً عما أقامته من معالم الحضارة في كل بقاع الدنيا القديمة مما يزال أثره ماثلا للأنظار.

ان امة كهذه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن مثله في أرقى الأمم ، وبرهن تاريخها على أنها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك ومكارم اخلاق ، تحفظ الجميل لمن يسديه اليها وتعرف معروف كل من له يد عليها لهي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة ، وتنقذ من وصاية فئة سفاكة مخربة جاهلة مغرورة ليس فيها استعداد فطري للتحلي بشئ مما تحلى به العرب من المزايا والخصائص والاأخلاق والفضائل ، وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الأمم ببقاء العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا ان تكون أمة كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية وراسخة لوصاياها خانعة لجورها حتى ذاقت منها صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقض هذه الفئة كل يوم دعامة من دعائمه، وقد ورد في حديث جابر عن أبي يعلى بسند صحيح :-

" اذا ذُل العرب ذُل الاسلام "

فنحن يا سيد العرب ومنقذ الاسلام من ايدي أعدائه المارقين نحمد اليك الله الذي أعزنا بك ونصر جند الله ببركتك وروحانية جدك صلى الله عليه ونتقرب الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك ، وموادة من وادك وأن

مودة آل بيت الرسول عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام هي الأجر الذي سأله على ما هدانا اليه من سعادتي الدنيا والاخرة حيث قال عزمن قائل:-

(قل لا اسألكم عليه اجراً الا المودة في القربى)

فانهض يا سيدنا الى ما شاء الله أن يجريه على يديك من اصلاح شؤوننا وولاية امورنا نحن معاشر العرب الذين يعلقون آمالهم في صلاح دينهم ودنياهم على تبوئك سرير ملكهم.

واننا نبايع جلالة سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكاً لنا نحن العرب ، يعمل بيننا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ونقسم له على ذلك يمين الطاعة والأخلاص والانقياد في السر والعلانية ، كما اننا نعتبره مرجعاً دينياً لنا اجمعنا عليه ، ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية.

نبايعك على هذا يا صاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضاء بك والانقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أقمت الدين واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين ..." فمن نكث فأنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً ".

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥ هجريه.

ولما أنتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الاشراف والعلماء والأعيان وكبار التجار وسائر ذوي الحيثيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة وقلوب طافحة بالسرور. ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى جلالته آمال سوريا العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكرهم الركبان ، انما ماتوا من أجل الوحدة العربية ولتفانيهم في الدفاع عن شعائرهم الاسلامية. وقال أن سكان تلك الديار

جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين برعاية جلالة سيد العرب وملكها ، وبايعه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب الله وسنة رسوله.

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارتقاء والفلاح بعناية سيدها ومنقذها جلالة ملك البلاد العربية ، فآمن الحاضرون على كل جملة من دعائه.

وقبل انفضاض هذه الحفلة الكبرى ، تفضل جلالة سيدنا الملك المعظم فأجاب استرحام القوم بتعميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد القادم. وذلك اكراماً لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة مع من قام عنه بالبيعة وناب منا به في أداء واجباتها.

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الأديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة أنيقة بصوت جهوري، وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام.

وفي المساء اقيمت الزينات البديعة أمام دار الحكومة ودائرة البريد والبرق ودائرة البلدية ودار حضرة رئيس مجلس الشيوخ ودار حضرة وكيل المالية وادارة جريدة القبلة. واحتفل اهالي الحارات كلها وفي مقدمتها الشبيكة والمسفلة والقرارة ثم جرول وحارة الباب وجياد والقشاشية وشعب بني هاشم وشعب عامر والنقا والشامية والسليمانية والمعابدة. وكانوا ينشدون أهازيجهم وأغانيهم الحجازية واليمانية على نغمات الطبول.

وكانت الحال مثل ذلك في جدة فانه لم تبق فيها دائرة رسمية ولا منزل وجيه وذي حيثية الا و أقيمت عليه الزينات ، وأعظم من ذلك احتفال طبقة الشعب فقد كان له من هذا الحادث العظيم في التاريخ العربي أزهى عيد وأجمل احتفال، حتى اننا ونحن نتكلم مع جدة بالتلفون لم نكد نتفاهم مع حضرات الذين نتكلم معهم لارتفاع اصوات الشعب في شوارع مكة وشوارع جدة بتلك الأهازيج والأفراح.

واتصل بنا بأنه بلغ عدد تلغرافات التهاني والمبايعة التي أرسلت من جدة وحدها ألفاً وخمسمائة تلغراف.

وعلمنا أن هذه الزينات ستبقى مستمرة الى اليوم الذي سيشترك فيه الشعب بالبيعة في المسجد الحرام، وفي تلك الليلة ستلبس البلاد الحجازية حلةمن المسرة والابتهاج لم يسبق لها مثيل في الازمنة الماضية.

وأنه ليحق للعرب أن يقوموا بهذا وأكثر منه لهذه الحادثة العظمى المحققة لآمالهم، لأنها الرجاء الوحيد لجعلهم عضواً حياً في المجتمع الأنساني ، والحد الفاصل بين ليل تاريخهم الحديث وفجره الساطع في سماء مدنيتهم وارتقائهم ان شاء الله تعالى.

ملحق رقم[٤]

علماء مكة المكرمة يوجهونخطاباً الى العالم الاسلامي يحملون فيه على مظالم حكومة رجال الاتحاد والترقي[١]

"فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون"

أننا معاشر علماء بيت الله الحرام ، قد من الله تعالى علينا بما من به على كثير من علماء هذه الأمة من خدمة الشرع الشريف ، والغيرة على الدين المحمدي الحنيف. وقد علمنا ان الدنيا وما فيها لا تساوي في جانب الحق جناح بعوضة ، وان هذه الحياة لا يقام لها وزن الا بما يقدمه المرء فيها من مصالح الاعمال لحياة الآخرة. وأي مسلم استأنست روحه بمشاهدة كعبة الله المعظمة في كل صباح ومساء وتشرف بسكنى أرض منها نشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبقدميه الطاهرتين تبارك كل موطئ قدم فيها ، يرضى بأن تمس هذه المشاعر الدينية الخالصة ، ولم نغنم في هذه الدنيا غير مجاورة بيت الله المحرم وخدمة رسوله صلى الله عليه وسلم . وأننا بما حصل لنا من الاختلاط بهذه الفئة المتغلبة على مملكة آل عثمان الكرام ، واحتكاكنا بها ، واطلاعنا على حقيقة ما تظهره وما تبطنه لاحكام شرعنا وآداب ملتنا ، وما تفعله من المنكرات في بلادنا ، وما جرته من المصائب على اوطاننا ، وقد وضح لنا طريق النجاة الذي يأمرنا ديننا القويم بسلوكه ، وتبين لنا سبب الفلاح الذي قضت علينا المصلحة الاسلامية بالتمسك به وان من علم حجة على من لم يعلم وشتان بين من رأى المنكر فبذل دمه في سبيل دفعه ، وبين من عاش بعيداً عن معرفة حقائق هذه الجهات فأراد ان يحكم عليها من قبل الحصول على المقدمات الكافية لاصدار الحكم فيها .

واذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

واننا لم يخف علينا ان فريقاً من اخواننا المسلمين خاضوا في امر نهضتنا غير بينة فشط بهم التسرع الى الحكم فيها عن غير علم ، اعتماداً على السماع ممن لم يبن اقواله على اساس الحقيقة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه ابو داود

---

(1) نشر هذا الخطاب في جريدة القبلة العدد ٢٧ الصادر في ٢٠ من المحرم ١٣٣٥ (١٦ نوفمبر ١٩١٦) ص ص ١-٢.

والحاكم بحديث صحيح " كفى بالمرء انما ان يحدث بكل ما يسمع " وفي رواية مسلم " كفى بالمرء كذباً ان يحدث بكل ما سمع " . ونحن لا نطلب من ذلك الفريق ان يتسرع بموافقتنا قبل فهم حقيقتنا لاننا لانتفع بمثل هذه الموافقة ، ولكننا ننصح لاخواننا في الدنيا عملاً بالامر الالهي في التواصي بالحق ، بأن لايرتكبوا اثماً كبيراً عند الله بالتحديث بكل ما يسمعون ، والقطع فيما يتوهمون ويتخيلون . وندعوهم الى استعمال الروية ، وترك عصبية الجاهلية وذلك شأن المسلم الذي تشرب الاخلاق الاسلامية ، المعنية بقوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) .

فيجب على المسلم الذي يحب ان يخوض في هذا الامر ان يبحث عن دواعيه واسبابه ، وان يتحقق ماهية المنكر الذي نهضنا لازالته بأيدينا بعد ما يئسنا من ازالته بألسنتنا . اما نحن فقد علمنا علم اليقين ، ان تلك الفئة المتغلبة قد عصت الله معصية عامة لم يخف فظاعتها نصح الناصحين، ولم يدرأ عواقبها السيئة عن البلاد واهلها ردع الرادعين . ولا يظن ظان ان قولنا هذا من قبيل الدعوى التي لم تقم البراهين على اثباتها ، بل ان هنالك وقائع ملموسة يستطيع كل انسان ان يبحث عنها ويتحققها ، ومع ذلك فاننا سنبينها للعالم الاسلامي في حين الحاجة الى بيانها ان شاء الله . ونكتفي الان بتكليف اخواننا المعترضين ان يرسلوا من يعتمدون عليهم الى الاستانة عاصمة الاتحاد ليشاهدوا بأعينهم كما شاهد كثير منا بأنفسهم وجود المخدرات من المسلمات التركيات موظفات في دوائر البريد والمالية بوظائف الرجال ، بكمال البهرجة والزينة والجمال ، سافرات الوجوه ، يقابلن كل من يأتي اليهن من الرجال على اختلاف اجناسهم لقضاء اشغالهم ، فما قول اخواننا (ارباب الدين والحمية) المعترضين علينا بلا روية في هذا الامر الذي هو نموذج لما يؤلمنا تفاقم شره ، ونتنادي على رؤوس الاشهاد بالشكوى منه . وهل من تكون هذه القضية ادنى مراتب سيئاتهم للاسلام والمسلمين تكون طاعتهم طاعة ام معصية كلا ورب الكعبة ثم كلا . فان اطاعتهم لا تتم الا بمعصية رب العالمين . وحاشا ان يرضي بذلك احد من المؤمنين . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الامام احمد في مسنده (من امركم من الولاة بمعصية فلا تطيعوه) . وقال صلى

الله عليه وسلم فيما اخرجه الحاكم عن جابر بحديث حسن (من أرضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله) . وقال عليه السلام فيما اخرجه الديلمي (من سود اسمه مع امام جائر كان قرينه في النار) . وروى الخطيب عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال (من سود مع قوم فهو منهم ومن روع مسلماً لرضى السلطان جئ به يوم القيامة معه) . وها نحن نرى بأعيننا ان المملكة قد انسلخت عن شكلها الاسلامي الذي نعهده وصرنا كلما بحثنا عن سبب موجب للطاعة وعن اي شرط من شروط الخلافة وانتظام امر الجماعة لا نجده . ونحن ليس من غرضنا بيان ما آل اليه امر الاسلام على ايديهم ، فن ذلك من واجب كل مسلم البحث عن حقيقته بنفسه ، وليس هو مما تستوعبه عجالتنا هذه . وحسبنا ان نخبركم بأننا رأينا انفسنا امام امرين مختلفين تمام الاختلاف : احدهما ارضاء هذه الفئة المتغلبة على المملكة العثمانية بإغضاب الله تعالى ، والثاني اغضابها بإرضائه تعالى . فآثرنا الآخرة على الاولى ورضى الحق على رضى الخلق ، ولو كان الخلفاء الراشدون _ شرفهم الله _ فعلوا ما يفعلون الاتحاديون _ وحاشا لهم من ذلك _ لتقربنا الى الله بالقيام عليهم وترجيح رضاء الله على رضائهم . واننا لانفعل ذلك من عندنا بل بإرشاد الخلفاء الراشدين انفسهم ، فقد خطب ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطبته الاولى بعد الخلافة فقال (اطيعوني ما أطعت الله ورسوله . فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم) . وهكذا كان يقول كل من ولى امر المسلمين من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين . وبهذا انتصر المسلمون وفازوا بالسعادتين ، وكانوا اعزاء بين امم الارض . ونحن قد حاولنا ان نجد لنا مخرجاً آخر يجمع بين ارضاء الله تعالى وعدم القيام على هؤلاء الناس ، فلم يعينونا على انفسهم في ذلك فغضب الله فنصرنا وثبت اقدامنا ، تأييداً لشرعه وتثبيتا لدينه ، ولحكمة هو يعلمها في اصلاح اخر هذه الامة بما صلح به اولها . وان كل قلب من قلوب المسلمين في المملكة العثمانية حتى الاتراك في الانضول ، بل وافراد العائلة السلطانية العثمانية في قصورهم يدعون الله لنا بالتأييد . وحاشا الله ان يرد رجاء المظلومين ، ويخيب دعاء الاتقياء على الفاسقين . ومما لا ريب فيه ان أهل البلاد التي اضاعها الاتحاديون اثناء انتصارهم للالمان لو قاموا على هذه الفئة الباغية كقيامنا

لخرجت بلادهم عن دائرة الحروب الحاضرة ولبقيت لاهلها . اما اذا دامت الحال على هذا المنوال فسوف لا تبقى لهذه المملكة باقية فاذا علمتم هذا علاوة على ما ذكره صاحب جريدة (مشرق) الهندية في عددي ١٦ ، ١٩ سبتمبر من اسقاط صفة الخلافة عن بني عثمان وهو الامر المعلوم الطافح به كتب الشرع الشريف فقهية وكلامية ، يبين لكم اننا انما قمنا لتلافي هذه الاخطار ، وتأسيس دعائم جديدة للحكم الاسلامي والمدينة الصحيحة المؤسسة على أساس الشرع الشريف الذي طالما تمنيتم انتهاجه والعمل به . ونحن اذا لم نوفق في هذه النهضة المباركة الا لحفظ كيان بلادنا وسلامتها مما الم بغيرها من البلاد الاسلامية لكفى . ويلفت انظار المعترضين الى تخليص البلاد الاخرى مما اصاب اهلها من الكوارث ، وانقاذها من ايدي من اوقعها في هذه المهاوي المهلكة ، ان كان ثمة حمية اسلامية او غير دينية. وها نحن قد فعلنا ما علينا ، وطهرنا بلادنا ولله الحمد من جرائم الالحاد ، ونزعات الفساد ، وما على المسلمين الذين لايزالون يدافعون عن اؤلئك الطغمة الا ان يفيئوا الى امر الله من قبل ان تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانو يعلمون .

هذه حقيقة ما نحس به نحن علماء بيت الله الحرام ، اردنا ان تقفوا عليها لايأثم احد في التسرع الى حكم يناقض الواقع . وقد اردنا ان نبذل النصحية الاسلاميه للذين لم يزالوا على تصورهم من بعض اخواننا الذين لم يعرفوا تفاصيل احوال هذه الفئة التي قمنا عليها ، فيغتروا بأضاليل مأجوريها الذين باعوا دينهم بحطام الدنيا . ومن اعظم انواع الخطأ الظن بأن القيام على هذه الفئة هو من قبيل القيام علىخليفة شرعي مستوف شروط الخلافة او بعضها . فيدخل من يظن ذلك تحت حكم قوله تعالى " انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله " وقوله صلى الله عليه وسلم " من كفر مسلماً فقد كفر".

ونحن انما فعلنا حتى الآن ما دفعتنا اليه مصلحة ديننا ودنيانا ، وليس منا والحمد لله من لا يعرف احكام شريعته ، ومن لا يعمل بأوامر دينه ، ومن يجهل مصلحة امته وبلاده. والحكم الفصل بيننا وبين من يخالفنا الكتب الشرعيّة الموجودة بين ايدينا وايديهم . ولا نظن عالماً يجهل ما استفاضت به كتب المذاهب الفقهية والكلامية من مبحث الخلافة وشروطها ، والامامة واحكامها لم يشذ عن ذلك واحد من علماء الاسلام الاولين ، ولا من

فقهائه المتأخرين . وماذا يقول العالم الاسلامي في بني عثمان الذين يزعمون انهم خلفاء المسلمين مع انهم كانوا في احقاب كثيرة العوبة في ايدي الانكشارية يتصرفون بهم كيف شاءوا او شاءت اهواؤهم بين خفض ورفع ، وقتل وخلع ، وتطاول لا يجري القلم بوصفة غير مراعين في ذلك ما هو معلوم في الكتب الشرعية من قواعد عزل الخلفاء وتنصيبهم كما تشهد بذلك تواريخهم. وها ان التاريخ قد اعاد نفسه ، وظهر لاولئك الانكشارية احفاد اعادوا تلك السيرة لاولى في عبد العزيز ومراد وعبد الحميد ، وما قتل يوسف عز الدين ببعيد ولا بد لمخالفينا القائلين بخلافة آل عثمان من احد امرين : فإما ان يحكموا بأن اهل الحل والعقد في شأن الخلافة هم هؤلاء الانكشارية واحفادهم . ولا نظن ان ذا مسكة من عقل يقول بهذا . لان احكام الشرع الشريف تكذبه . واما ان يقولوا ان هؤلاء الانكشارية واحفادهم ليسوا اهل الحل والعقد . وفي هذه الحال نسألهم : اين الخلافة واين شروطها ؟ ... ونحن لانزال مستعدين للاجابة عن كل شبهة تعرض للناس في ذلك . اذن فما بقى للمعترضين بعد هذا وذاك الا ان يثوبوا الى رشدهم . ويرجعوا الى صوابهم . ويضموا صوتهم الى صوتنا في وجوب القيام بالوسائل الجدية لاعزاز الاسلام ورفع منار مجده .

وعلى كل حال فإننا لا نريد التطويل في هذا البحث الذي ألجأتنا ضرورة الحال لاشارة اليه . وان لنا مندوحة عن الاطالة فيه لدواعي اجتناب الاطناب . اذ اننا قوم لانقصد غير سلامة ديننا وبلادنا . ونريد في الختام ان يعلم الشاهد منا الغائب منكم اننا ندين الله تعالى يوم الوقفة الكبرى بين يديه بأننا لا نعلم اليوم ملكاً من ملوك المسلمين اتقى الله من ابن رسوله المتبؤ عرض الملك على البلاد العربية ولا اشد خوفاً من الله تمسكاً بأوامره واقامة لشعائره قولاً وعملاً ، واقدر على النظر في امورنا بما يرضي الله عز وجل . والعرب انما بايعوه ملكاً عليهم لما رأوا في ذلك من صلاح دينهم ودنياهم . واما الخلافة الاسلامية فمع ما هو معلوم من انحلالها في الوقت الحاضر لم تحرك في امرها ساكناً ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على امر يجمعون عليه في شأنها . والسلام على من سمع القول فاتبع احسنه ... والله يتولى هدانا اجمعين .

وكيل مفتي الحنابلة الشيخ محمد صدقة عبد الغني	مفتي المالكية الشيخ محمد عابد المالكي
مفتي الشافعية السيد عبد الله الزواوي	قاضي القضاة ومفتي الاقطار الحجازية الشيخ عبد الله سراج
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الكريم الناجي	نقيب السادة السيد محمد السقاف
أمين الفتوى الشيخ درويش عجيمي	شيخ الخطباء بالمسجد الحرام الشيخ احمد ابو الخير مرداد
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ علي بابصيل	مدرس بالمسجد الحرام السيد عباس بن عبد العزيز المالكي
مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد المرزوقي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ على المالكي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد جمال المالكي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد أمين مراد
•مدرس بالمسجد الحرام الشيخ جعفر لبنى	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الرحمن خوقير
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ احمد بن عبد الله القاري	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ أسعد بن احمد دهان
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ سالم شفى	مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد هاشم مجاهد
مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد طاهر مسعود الدباغ	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد علي سراج
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ خليل بن ابراهيم عجيمي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ احمد بن عبد الله ناظرين
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الرحمن بن سليمان قاضي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد بن كامل سندي
مدرس بالمسجد الحرام السيد احمد السقاف	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد على بلخيور

مدرس بالمسجد الحرام الشيخ سعد بن محمد اليماني	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ حسن اليماني
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الله بن عباس حداوي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ عبد الله بن احمد المغربي
مدرس بالمسجد الحرام الشيخ محمد بن سالم عجيمي	مدرس بالمسجد الحرام الشيخ حامد بن عبد الله القاري
مدرس بالمسجد الحرام السيد محمد بن صالح عقيل	مدرس بالمسجد الحرام السيد احمد بن عبد العزيز المالكي

ملحق رقم [٥]

خطاب السلطان محمد رشاد بتعيين الشريف على حيدر اميراً على مكة المكرمة(١)

وزيري سمير المعالي محمد سعيد باشا ...

" حسب الايجاب وبناء على وقوع انفصال الشريف حسين باشا امير مكة المكرمة ، ولتأمين وظيفة خدمة الحرمين الشريفين هذه الوظيفة المقدسة التي هي اسمى الوظائف الاساسية لدينا ، قد وجهنا امارة مكة المكرمة مع رتبة الوزارة السامية الى عهدة الشريف على حيدر بك الوكيل الاول لرياسة مجلس الاعيان ، وذلك لما توفر فيه من اللياقة والكمال الذاتي واتصافه بحسن السلوك والسيرة والتجارب ، وكفايته لهذه الوظيفة المقدسة . وقد ارسلنا بأمرنا هذا الى بابنا العالي . نسأل الحق سبحانة وتعالى متوسلين بالمصطفى صلى الله عليه وسلم ان يكون التوفيق لنا رائداً في كل زمان ... آمين .

٣٠ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ – ١٨ حزيران سنة ١٣٣٢ رومية "

محمد رشاد

(١) العمري ، المصدر السابق ، ح ٢ ، ص ٢٨ .

ملحق رقم [٦]

منشور الشريف علي حيدر الى أهالي الحجاز[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا خطابنا لأهل وطننا الحجاز ومن يليهم حاضرهم وباديهم ، قاصيهم ودانيهم. اننا نحمد اليكم الله الذي أثبتنا وأياكم في مهد السلام ، وأعزنا جميعا بمحمد عليه الصلاة والسلام ، وجعلنا وأياكم من جيرة البيت الحرام ، وأوجب لنا ولكم ما أوجب للجار من الحق والذمام ، حمداً لايعني بعشر معشاره الكلام ولا ينهض القلم لو أن ما في الارض من شجرة أقلام ، ونصلي ونسلم على سيدنا وجدنا خير الأنام ، المنتخب من صميم العرب في السنام ، الذي قرن طاعة الله بطاعة الامام عملا بقوله تعالى (أطيعوا الله واطيعو الرسول وأولي الامر منكم) نصاً تبين فيه الحلال من الحرام والنور من الظلام ، وعلى آله البررة الكرام ، واصحابه الذين بلغوا بطاعته أسنى مقام. وبعد فلا يخفى عليكم أنه مضى على ظهور الاسلام ١٢ قرناً تقلبت عليه فيها أحوال كثيرة وأدوار مختلفة من بسط وقبض ورفع وخفض وزلزال وتمكين في الارض ، وجرى له أن يخسر كثيراً من الله ويستردها ، ويفقد جماً من أسباب قوته ويستجدها ولم يدع الاسلام بلداً للأعداء ولا الأعداء جداً للأسلام الا عالجوا اجتياحه وأجلوا قداحه الا بلدنا الحجاز فلم يذكر التاريخ فيما سطر ولا أرتنا العبر فيما غبر ... أنه ارتقت اليه لعدو الدين همة ، ولا المت به من غير ملة الاسلام ملمة ، بل بقي الحجاز رغم جميع الغوائل وما تعاقب على البلاد من الدول والدوائل بكراً من الممالك لم يطمثها فاتح ، ولا أمتدت اليها يد طامح حرمة الله لبيته المعظم ومعجزة لصفيه صلى الله عليه وسلم . وقد وطئ العدو مصر وسودانها والهند وبنجابها ونحيف اليمن وأحقافها وعُمان وأطرافها وهذه المرة تعرض للبصرة وأهوازها ، ولكنه لم يجسر أن يتعرض لمكة وحجازهابمكان الحجاز من حرمة المسلمين وهوى أفئدة الموحدين ومكان آبائنا أمراء الحجاز من المحافظة والمناصحة تكتنفهم عناية

---

[1] العمري ، المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ص ٣٠-٣٦ .

الخلفاء والسلاطين. وما زال كذلك حتى نشبت هذه الحرب العامة وقامت الدولة العثمانية فيها بأخذ ثارات الاسلام المقام الباهر ، الذي اعاد للاسلام سيرته الاولى ، فلم يكن للعدو أن يتمنى من الحجاز ما وجده في غيره محالا ، ولا أن يرجو في جوار الحرمين الشريفين مجالا فاذا بالشريف حسين بن عون وهو نفسه يواطئ العدو على الحجاز ويحاول أن يجعل بيت الله الحرام وقبله الاسلام ومرقد الرسول عليه الصلاة والسلام تحت حماية دولة مسيحية محاربة للدولة العلية ، باذلة قصارى جهدها في أذلال جميع الملة الاسلامية، وجميع ما يموه به الشريف المشار اليه تبريراً لخروجه على الدولة وتخريجاً لقضية ضربة المسلمين بعضهم ببعض لا يفيد شيئاً أمام الله الذي يعلم السرائر وأمام رسول الله (ص) الذي شرعه مثل الشمس ظاهر امام ولا أمام الامة الاسلامية التي تعلم الانكليز وما يصنعون وما مثله ومثل ما يدعيه الا كما قال الله تعالى (يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون). ولن يقلب الشريف حسين حقيقة ، ولن يخفي واقعاً ولن يقنع احداً أنه يقدر أن يكون أميراً مستقلاً بنفسه وأن يخاصم الدولة العثمانية فضلاً عن أن يلي شؤون الاسلام ، ويدعي لنفسه الكفاية اللازمة لحماية الحرمين ، فلا بد له اذن حتى يتمكن من مناصبة دولة عظيمة كالدولة العثمانية من أن ينضوي تحت جناح دولة اجنبية عظيمة. وهذا ما فعله الآن باتفاقه مع دولة انكلتراالتي تخدعه وتزين له أمانيه ، وتخرجه من طاعة الدولة التي تحميه حتى اذاتمكنت من الأمر – لاقدر الله – كان مآله معها كمآل خديوي مصر وسلطان زنجبار وأمير (الحج) وأمراء الهند وسائر الحكومات الاسلامية التي وقعت في حبائل الانكليز ، ومن رأى العبرة في غيره فليعتبر. وكان على الشريف حسين قبل أن يجعل الضرغام صيداً لبازه ، أن يكفر بأن انكلترا لا تمد بضبعه الا لكي تحل بربعه ، وأنها متى أدخلت أصبعها في الحجاز لم تبرح تتمكن شيئاً فشيئاً حتى تستصفيه وتلحقه بغيره مما أخذته اختلاساً. فليسأل أولئك الامراء الذين تقدموه ، وليتضح تلك المعاهدات التي أمضتها انكلترا معهم ومع غيرهم ، يعلم كيف صاروا بعد الوجود الى العدم، وكيف عادوا قارعين سن الندم.

ومهما غالط الشريف حسين في كونه لا يستطرق الحجاز لجنود مسيحية ، وانما تمده انكلترا بجنود مسلمين فأن الجند الذي يأتي من قبل الانكليز مسلمين كانوا او

نصــارى ، فما داموا خادمين دولة مسيحية مقاتلين في صفوفها متقلدين لسيوفها يحـاربون بأمرها اياً كان حتى ابناء دينهم كما لايخفي ، فلم يبقى فرق بين المسلم يومئذ والنصرانـي. اذ ان النتيجة على الاسلام واحدة الاصل هو الرأس والاعضاء تابعة . وما من مكابر فـي كونه لو فاز هؤلاء الجنود المسلمون - بزعم الشـريف - علـى العسـاكر العثمانيـة لكـانت العاقبة هي فـوز انكلترا المسيحية علـى الدولـة العثمانيـة الاسـلامية بـل كـانت النتيجـة - والعياذ بالله - هي استعلاء النصرانية علـى الاسـلام فـي مهـد الاسـلام ودار محمـد عليـه الصلاة والسلام . وسواء كان هؤلاء الجنود المسـلمون الـذي هـم فـي خدمـة النصـارى أو نفس الشريف حسين الذي انضم اليهم ، فانهم شرعا في حكم الانكليز فالدولة العلية حـالفت الالمان وهم نصارى فجاز له هو أن يحالف الانكليز قال تعالى : (ومن يتولهم منكـم فانـه منهم) ، واحتجاجه يكون الدولة العلية حالفت الالمان لتضـرب بهـم دولا مسـيحية ثانيـة ، ولتستظهر بهم على الاخـذ بثأر الاسـلام مـن اعدائـه ، منتهـزة فرصـة اختلافهـم لـتزيدهم نشقاقاً ، وهكـذا توقفت الـى أن رأت بعضهم معذبـاً بـأيدي بعـض جـزاء علـى اعـانتهم للمسلمين ، وفاقـاً علـى أن الالمـان وان كـانوا نصـارى فلـم يملكـوا شـبر ارض مـن ديـار المسـلمين ، ولا ضربـوا الذلـة والمسـكنة علـى ١٥٠ مليـون مسـلم نظـير الانكلـيز الذيـن استرقوا أجل بلاد الاسلام ، ةاسترقوا أهلها وصار قصارى همهم أن يلاشـوا للاسـلام كل قوة سياسية وان يجردوه من كل سلاح ، حتـى لا يحـدث المسـلمون أنفسـهم فـي يـوم مـن الايام لخروج عليهم . واول شـئ يبـادرون اليـه أن تـم لهـم مـن الامـر شـيء فـي الحجـاز المجاهدين رحمهم الله ، عندما توجهت ارادة أمير المؤمنين مولنا السلطان محمد الخـامس لنا بامارة مكة وكان قد بلغ السيل الزبى ، واصبح الحجاز على شـفا استـخرت اللـه تعـالى في قبول الامارة لاحبا بالامر والنهي وهذا الامر كمـا تعلمـون هومـن عشـنا درج ، وهـذا الغور هو من افقنا انبلج ، ولكن اشفاقاً على الحرمين الشريفين مـن لـوث مداخلـة الاعداء الذي ليس بعده لو تركوا وشانهم الا الدخول بـالانفس والـدوس بـالاقدام ترابـا بقـي طـاهراً اكثر من ١٣٠٠ عام . وما كان لنا اذا قضى الله ورسوله أمراً ان يكون لنـا الخيرة مـن امرنا وتعين النهوض والجهاد . ووجب ان نبسط لكم واقع الحـال وأن نصـرح لكـم بكـون تواطؤ الشريـف حسين مع النصارى هو عبارة عن وضع الحرمين الشريفين تحت سلطتهم

– والعياذ بالله – ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ، فكيف تراه يلدغ مراراً ولا ينتبه . وبيناه لكم لكيلا يغتر الضعفاء منكم بما يزينه بعضهم من الاباطيل ، ومما يتغفلون به الساكن من اهل البادية من زخرف الاقاويل ، ولئلا يضطرنا بعض الجهلة الذين رانت الضلالة عليهم ان نرهف فيهم حداً شهيراً ولكي (لانعذب قبل ان نبعث رسولاً) واننا لاندعوكم جميعاً الى الطاعة بدعوة القرأن ودعوة السلطان ودعوة اجدادنا ذوي زيد الذين لهم امر الحجاز دون غيرهم من قديم الزمان ، ان تنفروا خفافاً وثقالاً لمقاتلة العساكر المنفذين من قبل النصارى والانكليز ، ومن تجرأ على مظاهرتهم من البغاة الظالمين ، وان تكونوا عضدا للعساكر الشاهانية الزاحفة من المدينة الى مكة تطهيراً لها من المارقين ، فمن يتخلف عن اجابة داعي الله ورسوله (فقد باء بغضب من الله) . ومن رأى الاجنبي قد بدأ بمد يده الى حرم الله وروضة رسوله وهو راض او قاعد عن النصرة ، فقد اظهر برأته من رسول الله . ومن تجرأ على مناصرة الاجانب اعداء الدين وممالأتهم او مكاتبتهم او موافقة اي شقى شاق لعصا الطاعة ، فقد عرض نفسه لنكال الدنيا قبل عذاب الاخرة وانني احاشي اهل هذه البقاع المقدسة من ان يوجد فيهم من يختار طاعة الشيطان على طاعة السلطان ، لا سمح الله هو تجريد العرب من اسلحتهم اولاً بصورة الشراء كما فعلوا بعشائر العراق وعُمان وجنوبي اليمن . وكانت فتنة مسقط المعلومة بسبب اخذ السلاح . وثانياً بصورة التجريد بقوة كما فعلوا بعشائر مصر والسودان حتى ، اذا ارادوا ان يجوسوا خلال الديار لم يقدر العرب على دفعهم عنه وعليه فلا مناسبة بين محالفة الالمان ومحالفة الانكليز ، ولو كانوا من مذهب واحد وا تعالى يقول : (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديار تبروهم وتقسط اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوه ومن يتولاه منكم فأولئك هم الظالمون) . والانكليز اخرجوا بلاد الهند الطويلة العريضة ومصر والسودان وزنجبار والصومال وقسم من جزيرة العرب وغيرها من ملك الاسلام وملوكها ، واعادوا اعزة اهلها اذلة . ولم يكتفوا بذلك حتى ظهروا الفرنسيس على التملك المغرب الاقصى واواسط الريفية ، وظاهروا الطليان على طرابلس والروس على فارس ، واتفقوا مع اعدائهم على

المسلمين ولم يبقى شيء الا فعلوه لطمس معالم الاسلام واتيان بنيانه من القواعد . وكان باقياً عليهم الحجاز لم يفرعوا عذرته ولا رقوا ذروته فوجدوا طلبتهم ، وياللاسف ، عند من كان اولى الناس بالمحافظة على الحجاز لكون هو الذي استودعته ايه الدولة العليا ، وامدته لحفظه بالمال والرجال ، ولكوننا نحن آل البيت الموكل الينا صيانة هذا البيت ونحن الذين نزل في حقهم قوله تعالى : (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ، ويطهركم تطهير) . وقد علم الناس كيف ان جدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما قد نزل عن الخلافة كلها حقناً لدماء المسلمين واشفاقاً على هذا الدين فلا يكون منا الذي في ايامه تبسط دول النصارى ايديهم الى الحجاز لاول مرة في الدهر ولا تكتب هذه السيئة العظمة في تاريخنا بعدما سبق من مواقفنا الكريمة امام هذه الملة (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً) ولذلك ودرأ بالحسنة السيئة واقتداءاً بالسلف ومن يرضى بالكفر بعد الايمان وأرباً ببعض ابناء الوطن والاخوان في الدين عن ان يصيروا جزراً للسيوف التي عرفوا موقعها من اعدائهم الانكليز والفرنسيس عندما حشدوا على (جناق قلعة) وجاءوا اشد قوة واثاراً في الارض (ورد الله الذين كفروا بغيضهم لم ينالوا خيراً) . ولا شك عندنا في كون الله يحمي هذه البقاع التي فيها حرمه والروضة التي فيها خير من دفنت في القاع اعظمه . ويوفقكم في هذا الجهاد الاقدس الى الضرب بالسهم الذي لكم فيه الحظوظ الوافرة والوجوه السافرة وحسنات الدنيا والاخرة ، وجاهدوا حتى تكون (كلمة الله هي العليا) ويكون لكم نظم حاشيتي الدنيا والدين ، ويبوء البغاة المتلاعبون بحرم الله المقدس وحرماته بالذل المهين ، والاجانب الذين قد استنصروهم بالخسران المبين ، وحتى تدخلوا المسجد الحرام قريباً ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين . فلا يغرركم بغي أهل البغي وفساد أهل الفساد ، ولايهولنكم لكم تمردهم وتقلبهم في البلاد فان العاقبة للمتقين (ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلي أن الله قوي عزيز). والله يكتبكم في خيرة جنده ، ويؤيدكم تعالى بنصر من عنده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

ملحق رقم [٧]

في ضوء العلاقات العثمانية الحجازية

صور من الحياة الاجتماعية الرسمية في الحجاز ابان موسم الحج

أولا- صورة تمهيدية:

نص حجة استلام الكسوة الشريفة ووصفها :

محكمة مصر الكبرى الشرعية في يوم الثلاثاء خامس عشر ذي القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة وألف ، الموافق ثاني فبراير سنة أربع وتسعمائة وألف أذن فضيلة قاضي افندي مصر حالا لحضرة العلامة الشيخ محمد ناجي أحد اعضاء المحكمة المذكورة لسماع ما يأتي ذكره فيه ولكاتبيه وهما الشيخ محمد سعيد ومحمد مصطفى أفندي الكاتب كلاهما بالمحكمة المذكورة بكتابة ما يلي ذكره فيه ، ولدى حضرة العضو الموصى اليه بحضور الكاتبين المذكورين بالمجلس المنعقد بمسجد سيدنا ومولانا الامام أبي عبد الله الحسين رضي الله تعالى عنه ، الكائن بمصر المحروسة ما يقرب من خان الخليلي والجامع الازهر بقسم الجمالية في الساعة العاشرة صباحا من اليوم المرقوم . أشهد على نفسه الحاج محمد احمد المحاملي الساكن بالدرب الاصفر بالقسم المذكور ابن المرحوم احمد مصطفى بن مصطفى ، الاشهاد الشرعي وهو بأكمل الاوصاف المعتبرة شرعا أنه قبض واستلم واستوفى ووصل اليه من حضرة عبد الله فائق بك مأمور تشغيل الكسوة الشريفة حالا الساكن بشارع المحجر بقسم الخليفة بمصر ابن المرحوم اسماعيل بك بن المرحوم ابراهيم الحاضر هو معه بهذا المجلس جميع كسوة بيت الله الحرام المشتملة على ثمانية أحزمة وأربعة رتوكة " أي دوائر مركبة على حملين من الثمانية احمال الآتي ذكرها فيه .

مزركشة الثمانية أحزمة والاربعة رتوكة المذكورات بالمخيش الابيض والاصفر المطلي بالبندقي الاحمر على الحرير الاسود والاطلس والحرير الاخضر المبطن بالبفت الابيض والنوار القطن المركبات الثمانية أحزمة المذكورة على ثمانية أحمال المذكورة كل منها تسعة اثواب كل ثوب منها طوله ستة وعشرون ذراعاً بالذراع البلدي ، طول كل

ذراع منها سبعة وخمسون سنتيمتر وكسور من السأنتي ، واثنان من الثمانية احمال المذكورة كل منها ثمانية اثواب من الاثواب المذكورة ، والاربعة احمال باقي الثمانية احمال المذكورة اثنان منها سبعة اثواب ونصف من الاثواب المذكورة والاثنان الباقيان كل منها ستة اثواب ونصف من الاثواب المذكورة، وستارة بيت الله الحرام المعبر عنها بالبرقع المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلي بالبندق الاحمر على الحرير الاسود والاطلس الحرير الاخضر والاحمر المبطنة بالبغت الابيض والنوار القطن الاطلس الحرير الاخضر ، بها خمسة شراريب حرير اسود وقصب وكتيتر ومخيش وستة اذررة (كذا) فضة مطلية بالبندقي الاحمر ، واثني عشر شرابة صغيرة حرير احمر وقصب وكتيتر واثني عشر شمسية مزركشة على الحرير الاحمر ، وكسوة مقام مولانا سيدنا ابراهيم خليل الرحمن عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة واتم التسليم، المبطنة بالبفت الابيض المزركشة بالمخيش والاصفر المطلي بالبندقي الاحمر على الحرير الاحمر ، وعشرة شراريب صغيرة حرير احمر وقصب وخمسة اذررة فضة مطلية بالبندقي الاحمر بها سجق قطن مشبكة بقيطان قطن واذررة شراريب من قطن هندي احمر واصفر وبها ترتر احمر وكيس مفتاح بيت الله الحرام المزركش بالمخيش الاصفر المطلي بالبندق الاحمر ، على الاطلس الحرير الاضرية ترتر ملون وكتيتر اصفر مبطن بالاطلس الحرير الاخضر ، ترتر ملون وكتيتر اصفر مبطن بالحرير الاخضر به شرابتان قصب وكتيتر وقيطان قصب ، وستارة باب سطح بيت الله الحرام المعروف بباب التوبة داخل بيت الله الحرام المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلي بالبندقي الحمر على الحرير الاسود والاطلس الاخضر والاحمر المبطنة بالبفت الابيض والنوار القطن والاطلس الحرير الاخضر بها ترتر ، وستارة باب مقصورة سيدنا ومولانا ابراهيم الخليل المشار اليه المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلي بالبندقي الاحمر على الحرير الاسود والاخضر والاحمر ، بها خمسة أذررة فضية مطلية بالبندقي الاحمر وعشر شمسيات مزركشة بالمخيش الابيض والاصفر على الاطلس الحرير الاحمر ، بها عشرة شراريب صغيرة حرير وقصب المبطنة بالبفت الابيض والاطلس الحرير الاخضر وستارة باب منبر الحرم الشريف المكي المزركشة بالمخيش الابيض والاصفر المطلي بالبندقي الاحمر

على الحرير الاسود والاخضر المبطنه بالبفت الابيض والنوار القطن والاطلس الحرير الاخضر وثلاثة مجاديل " حبال قطن" احتياج تعليق الكسوة الشريفة على بيت الله الحرام ، واحدى واربعين عصفورة (حبل قطّن مجدول) احتياج الحلق ، وغلايتين من النحاس مغطاتين مملوءتين بماء الورد الباش احتياج غسيل بيت الله الحرام حسب المعتاد ثم يمضي هذا الصك الشرعي او حجة الاسلام في اجراء التسليم والاستلام وشهود الحال واسماء القضاه الى آخره ...

ثانيا – الاحتفال بالكسوه الشريفة عند سفرها الى الحجاز :

ثم تنقل الكسوة الشريفة والمحمل من مقرهما بوزارة المالية الى ميدان صلاح الدين بالقلعة ، للاحتفال الكبير الذي يجري عادة هناك ويحضره سمو الخديوي والوزارة والاعيان والعلماء للاحتفال الكبير الذي يجري عادة هناك ويحضره سمو الخديوي والوزراء والاعيان والعلماء ، وتطلق المدفعية للخديوي ساعة حضوره احدى وعشرين طلقة ، وتصدح الموسيقى بالسلام لسموه ثلاثاً والحضور يهتفون لسموه بقولهم (افندمز جوق باشا) أي يعيش أفندينا طويلا والخديوي وجميع الحفل رافعي ايديهم بالتحية على جباههم . ثم يتقدم قائد جمل المحمل وهو مدير مصنع الكسوة الى سمو الخديوي ويسلمه المقود فيقبله ويعطيه لقاضي القضاة فيقبله ايضاً مع بعض الحضور ثم ، يعطي اخيرا للمأمور الذي ينتظر المحمَل امام الجامع المعروف بالمحمودية . ثم ينتقل الركب الى مسجد الحسين رضي الله عنه ليتسلم المحمل والكسوة الشريفة أمير الحج وأمين الصرة . ثم يسير الركب جميعه الى محطة السكة الحديد بالعباسية لينقل الى السويس ومنها الى جدة بالباخرة.

ويقول اللواء ابراهيم رفعت لما وصلت الباخرة مرفأ جدة لم يحضر الحاكم ولا احد من قبله لتهنئة الامير بالوصول حسب العادات المتبعة ، ولاسيما أن الباخرة بها امير الحج وقسم عسكري ينبغي احترامه ومساعدته في نقل امتعته وارشاده الى المعسكر الذي ينزل به ، انما حضر طبيب المحجر الصحي للكشف على راكبي الباخرة واصحاب السفن الشراعية " السنابيك " لينقلوا المسافرين وأمتعتهم الى البر حيث ان الباخرة ترسو

بعيداًعن الساحل بنحو ميلين لكثرة الشعاب بالمرفأ. ثم اننا عند رسو الباخرة اطلقنا سبعة مدافع ايذانا بالوصول، ولم ترد علينا الباخرة العثمانية الحربية الراسية بالميناء باطلاق المدافع كما هو المعتاد، فكررنا التحية باطلاق احدى وعشرين مدفعا ، وعزفت الموسيقى بسلام جلالة السلطان وأعقبته بالدعاء له ثلاثا ، ثم بسلام الخديوي والدعاء له كذلك . وبعد تلكؤ ردت التحية باطلاق المدافع من قلعة جدة وقد قضت قوانين الدولة العلية في جدة بأن يؤخذ من كل حاج ثمانية قروش رسم المحجر الصحي وقرشان رسم اجازة السفر الى مكة.

وبعد الانتهاء من دفع الرسوم ونقل الحجاج والامتعة والمحمل والكسوة الشريفة احتفل بالمحمل احتفالا رسميا من قبل جنود الدولة العثمانية واصطف الجند على الجانبين وهم حوالي ٦٠٠ جندي (٤٠٠ نظامي و ٢٠٠ غير نظامي) ثم مر المحمل بجميع شوارع جدة كالمعتاد وكانت الفرحة بادية على وجوه الأهالي والموسيقى تصدح بالأنغام الشجية.

ثالثا- ميناء جدة وحجم النشاط المعماري والاقتصادي فيه:

هو ميناء مكة المكرمة ويقع على الشاطئ الشرقي للبحر الاحمر يحيط بها سور ذو خمسة اضلاع ، وارتفاعه أربعة امتار وبه تسعة ابواب وبها حوالي ٣٣٠٠ منزلا مبنية بالحجر الابيض المستخرج من البحر. ويتكون المنزل من طبقتين الى خمسة طوابق والواجهات الامامية بها الرواشن[1] (اكشاك خشبية مسقوفة خارجة عن المبنى) والبيوت الكبيرة العالية لسكنى علية القوم وقناصل الدول الاجنبية والمحافظ ، وبجدة مقام للحكومة وثكنات للعسكر ومكتب للبرقيات وبناء فخم للمجلس البلدي والحجر الصحي.

وبالساحل بناء الجمرك بها خمسة جوامع وثلاثون مسجداً مفروشة بالحصر الناعمة الجميلة النظيفة ، بها فندقان وأربعون مقهى وصيدلية ومكتب تعليم راق وتسعة كتاتيب للصبيان ومستشفى ومصنع للجير ومذبح زأربعون مخزناً تجارياً ، وتسعمائة محل وآلة تجارية لطحن الحبوب وسبعة وأربعون طاحونة ومثلها مخابز وعشرة مطابخ

---

(1) لفظة تركية .

وسوق لبيع السمك وآخر للصدف ومكاتب للبريد وبه جبانة قريبة من ثكنات العسكر، وفي وسط الجبانة قبر امنا حواء وشوارعها مختلفة من ٨ امتار الى ١٥ مترا وحاراتها ضيقة وغير منتظمة وبها مجار لتصريف مياه المطر، وبها ٨٠٠ صهريج لخزن مياه المطر وبها مجلس بلدي ومجلس للاحكام وقاضي شرعي وسكانها خليط من اجناس شتى مكيين ويمنيين وحضرميين وهنود واتراك وشوام ومصريين وتعدادهم حوالي ٢٥٠ ألف نسمة[1].

رابعاً- السفر الى مكة المكرمة:

وبعد ذلك يتجه ركب المحمل والحجاج ميمماً مكة المكرمة بعد أن تحفه فرقة من الجند العثماني برئاسة القائم مقام، ثم يحط رحاله في قرية بين جدة ومكة المكرمة في قرية تسمى بحره والطريق واد رملي.

ثم يصل الركب الى اول مكة المكرمة ، ويقف بمكان يبعد حوالي ميل عن الحرم الشريف أمام المضيفة " المسافر خانه " التي بناها السلطان عبد الحميد الثاني للفقراء ، ويكون بانتظار الركب المطوفون يقدمون الهدايا للحجاج والفاكهة وماء زمزم المبارك ، وكذلك يكون في الانتظار مندوب عن الوالي وآخر عن الشريف ، ثم ينطلقون الى بئر طوى للاغتسال والوضوء والتهيؤ لدخول الحرم الشريف لأداء نسك الطواف ، ثم السعي . ثم يقوم امير الحج وامين الصرة بزيارة الوالي والشريف ثم يقوم دولة الشريف عون الرفيق برد الزيارة في مقر معسكر المحمل وكذلك دولة الوالي احمد راتب باشا . ثم يشترك امير الحج وامين الصرة في الاحتفال بغسل الكعبة المشرفة مع دولة الوالي وعظماء الحجاج والدفتر دار والقومندان للجند المكي. ثم يدخلون الكعبة للصلاة بداخلها على الاربع الاتجاهات ، وتفتح الكعبة من قبل السيد محمد صالح الشيبي امين المفتاح لمن يريد من الحجاج للدخول مقابل ريال (برم) وقيمته عشرة قروش مصرية . وتفتح رسمياً في ١٠ محرم لدخول الرجال وفي ١١ محرم لدخول النساء ، وفي ١٢ ربيع الاول للدعاء للسلطان .

---

[1] ابراهيم رفعت باشا ، مصدر سابق ج ١ ص ٢٣ .

وتحرم الكعبة قبل الصعود الى عرفات برفع الكسوة من اسفلها الى اعلا ووضع ازار ابيض في اسفلها .

خامساً -الصعود الى عرفات :

يتحرك الركب من معسكره في اليوم السابع من شهر ذي الحجة بعد ان يثبت قاضي مكة اول شهر ذي الحجة ميمماً عرفات ماراً بحارة الباب فالشبيكة فالسوق الصغير فجياد ، وفيها دار الحكومة العثمانية المسماة (بالحميدية) نسبة الى السلطان عبد الحميد الثاني الذي بناها والتكية المصرية ، ثم يتجه الى المسعى ثم القشاشية فسوق الليل فالغزة . وبها دار الشريف التي شيدها محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية . ويقف الركب هناك برهة تعزف فيها الموسيقى ويهتف الجميع بادجا همز جوق بشا (يعيش السلطان طويلاً).

ثم يمر الركب بمنى ومزدلفة الى ان يصل الى عرفة ويقطع الركب عادة هذه المسافة من المعسكر الى عرفة في حوالي ٦ ساعات . ثم يقيم الركب خيامه بعرفة ويتهيأ للعبادة . وميدان عرفات فسيح مساحته نحو ميلين مربعين تقريباً وبه جبل الرحمة الذي يقف عنده عادة الحجاج للدعاء مستقبلين القبلة وله درج تصل الى اعلاه . ويحيط بوادي عرفة من جهته الشمالية والجنوبية والغربية مجرى عين زبيدة الذي يصل الى مكة المكرمة ، ويبقى الحجيج بعرفة الى زوال الشمس ودخول الليل من اليوم التاسع من شهر ذي الحجة . ثم ينطلق ملبياً الى المزدلفة للمبيت بها ولقط الحجرات ليرموا بها جمرة العقبة وهي بأول منى من جهة مكة المكرمة ثم يفيضوا الى مكة لطواف الافاضة والعودة ثانياً الى منى .

سادساً - الاحتفال بتلاوة فرمان السلطان العثماني :

يكون الاحتفال عادة بسرداق الشريف ، وعليه فقد اجتمع الحجيج في اليوم الحادي عشر من ذي الحجة بسرداق الشريف عون الرفيق لتلاوة الفرمان السلطاني والدعاء للشريف . وكان في ذلك الحفل اميري المحملين المصري والشامي وامين الصرة والضباط وكبار رجال الدولة العثمانية والحجاج . ويصطف امام المحمل كل من حرس

الوالي والشريف بموسيقاهم وكذلك موسيقى المحمل ، ويتقدم الحرس على جواد حامل الفرمان السلطاني ، واخرون يحملون خلعاً معتاد حضورها من الاستانة سنوياً.

وكان للشريف عون الرفيق مكان خاص بالسرداق وعلى يمينه جلس في اليوم الحادي عشر من شهر ذي الحجة ١٣٢٠هـ-٧ مارس ١٩٠٣ ميلادية ابن عم شاه العجم وصهره والشريف علي باشا نائب الشريف والشريف محمد ناصر غالب باشا ثم بقية الاشراف ثم قاضي مكة المكرمة ثم العلماء والاعيان ثم ضباط المحمل المصري . وعلى يسار الشريف عون جلس المشير احمد راتب باشا والى الحجاز ثم سلطان الشحر والمكلا ثم نجله ثم حفيده ثم اميرْ وامين وموظفو المحمل الشامي ثم امير وامين وموظفو المحمل المصري ثم موظفو مكة المكرمة وكبار الضباط . وبعد جلوس هؤلاء بالترتيب السابق خرج عليهم الشريف في زينته من مكان خاص به وحوله بعض خواصه من الاشراف ، فقام الجميع وقبلوا يده من وقبل دولته رأس صهر شاه العجم وسلطان الشحر والمكلا حينما انحنيا لتقبيل يديه ، ثم تقدم الى الامام وتسلم المكتوب السلطاني " الفرمان " من يد حامله وقبله ، وكا ن في داخل كيس من الاطلس الجميل موضوع في بقجة من الحرير الاطلسي الاخضر موشاه بالقصب المنسوج ذي الرسوم البديعة ، ثم رجع الى مكانه وجلس على اريكة وسط السرادق ووضع الفرمان على يمينه ثم ما لبث ان وقف ه والحضور وامر بتلاوة الفرمان فتلاه كاتبه الخاص محمد علي افندي . وقد كان الفر مكتوباً باللغتين التركية والعربية فقراه الكاتب أولاً ياللغة التركية ثم باللغة العربية . التلاوة صدحت الموسيقى السلطانية بالسلام الملكي ، وهتف العساكر والجموع بالد للخليفة الاعظم . ثم تقدم امين الصرة الشامي وسلم الشريف خلعة والبسه اياها فوق الخلعة التي كان يلبسها وهي الخلعة التي اديت له في العام المنصرم وهذه عادة سنوية .

ثم تقدمت له خلعة اخرى من قبل السلطان عبد الحميد فلبسها ايضاً ، وكانت صغيرة خفيفة من الجوخ الاسود ومطرقة بالقصب ، وكان دولة الشريف يقبل كل خلعة قبل لبسها ثم وزعت خلع اخرى على باقي الموظفين وقارئ الفرمان .

ولثقل الخلع الجديدة كان يرفع الخلعتين الجديدتين شخصاً تخفيفاً عن الشريف ، ثم اديرت كؤوس المرطبات على الحاضرين والموسيقى الشاهانية والمصرية يتناوبان الالحان ، ثم قبل الجميع يد الشريف وانصرفوا .

ويتضمن الفرمان الثناء على الخليفة والشريف ونصح الشريف بمساعدة الحجاج وكف أذى العربان عنهم وصرف المرتبات لأربابها ، وفيه كثير من الايات القرانية والاحاديث النبوية التي تأخذ بمجامع القلوب ولكنها مواعظ لم تصادف الاذن الصاغية والقلوب الواعية ، فيقول اللواء ابراهيم رفعت " انك تسمع عقب تلاوة ذلك الفرمان دوي الرصاص يرمي به العربان حجاج البيت الحرام وترى دولة الشريف يقول سيبوهم ".

ثم تنتهي أيام التشريق بمنى ويعود الحجيج الى مكة ينتظر الى ان ياذن الشريف لهم بالسفر الى المدينة ، وهيهات ان يأمر بذلك الا بعد ان ينفق كل واحد من الحجاج ما يملكه ثم يتحكم في طرق المواصلات هو والعربان الى ان يصل الحجاج المدينة المنورة ثم الى بواخرهم للعودة الى بلادهم.

سابعا – نص حجة استلام الصرة[1] :

بمحكمة مصر الكبرى الشرعية في يوم الاربعاء ١٤ ذي القعده سنة ١٣٢٠هـ – الموافق ١١ فبراير سنة ١٩٠٣ أفرنكية أذن فضيلتلو مولانا أفندي قاضي مصر حالاً حضرة العلامة الشيخ أحمد الغرابلي احد اعضاء المحكمة المذكورة بسماع ما يأتي ذكره والشيخ أمين يوسف ومحمد أفندي مصطفى من كتّاب المحكمة المذكورة بكتابته ولدى حضرة العضو الموصّ اليه ، وبحضور الكاتبين الموصّ اليهما بالمجلس المنعقد في الساعة ١٢ أفرنكى صباحا من اليوم المذكور بسراي نظارة المالية المصرية اشهد على نفسه سعادة ابراهيم باشا رفعت أمير الحج الشريف المصري وحضرة مهدي بيك أحمد أمين الصرة الشريفية وحافظ أفندي نجمى صراف الصرة المذكورة وحسن أفندي خليفة كاتب اول الصرة المرقومة أنهم قبضوا واستلموا ووصل اليهم من عهدة سعادة أحمد مظلوم باشا ناظر المالية حالا مبلغ الصرة الشريفية ، الارسالية المعتاد ارسالها لاهالي

---

[1] رفعت باشا ، المصدر السابق ص ص ٧-٨ .

الحرمين الشريفيين ومرتبات العربان والاشراف ومصارف دائـرة المحمـل الشـريف المصري ذهابا وايابا طلعة سنة تاريخة وقدر ذلك بمبلغ ٦٠٤ مليمات و ١٥٧٥٣ جنيه ، وبيان مفـردات ذلـك : ١٥٥١٤ جنيـة انجلـيزي و ٣٢ جنيـه مجيـدي و٤٨,٥ بنتـو و ٢٥٤٨,٥ ريالا مصريا و ٥١٨١ قرشا و ٤٤٧ مليما قبضا واستلاما ووصـولا شـرعيات حسب اقرارهم بذلك بـالمجلس المذكور ، بحضـور كل مـن محمـود أفنـدي كـاتب بـادارة الخزينة العمومية بنظارة المالية وعلى أفندي علـوي اليوز باشـي ، حـرب بنظـارة الماليـة وذلك بنقد وعد وفرز ووزن الصرف المذكور.

نائب حضرة مولانا القاضي	الكاتبان
العلامة الشيخ أحمد الغرابلي	حضرة الشيخ أمين يوسف
	ومحمدَ أفندي مصطفى

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا – خير ما نبدأ به مصادرنا القرآن الكريم.

ثانيا – الوثائق العثمانية غير المنشورة :

أ- ملفات الارشيف العثماني باستانبول :

١- وثيقة برقم (٣٩٤١) ، رقم الظرف (٧٤) ، رقم الكارتون (١٤) ، وثيقة غير مؤرخة .

٢- وثيقة برقم (٣٩٤٢) ، رقم الظرف (٨٨) ، رقم الكارتون (١٢) ، وثيقة غير مؤرخة .

٣- وثيقة برقم (٣٩٤٣) ، رقم الظرف (٧٤) ، رقم الكارتون (١٤) ، الوثيقة بتاريخ (١٣١٧) هـ .

٤- وثيقة برقم (٣٩٧٥) ، رقم الظرف (٥١) ، رقم الكارتون (٧٨) ، الوثيقة بتاريخ (١٨) ربيع الاول (١٣٩٨) هـ الموافق ٥ شباط (فبراير)١٨٩٦ م .

٥- وثيقة برقم حـ (٤٧١) ، رقم البحث (٤٠١٠) ، الوثيقة غير مؤرخة.

ثالثا – المخطوطات العربية غير المنشورة :

١- محمد السنوسي ، الرحلة الحجازية ، جـ١ ، مخطوط محفوظ في دار صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم (٤٠١٤١) .

٢- مؤلف مجهول ، خصائص اليمن ، مخطوط محفوظ في دار صدام للمخطوطات ، بغداد ، برقم (٢٤٦).

رابعا - المذكرات :

١- الحسين ، عبدالله بن ، مذكراتي ، (مكتبة برهومة ، عمان ، الاردن ، ١٩٨٩) .

٢- الحسين ، الملك عبد الله بن ، الاثار الكاملة ، (الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣) .

٣- السفاح ، جمال باشا ، مذكرات جمال باشا السفاح، ترجمة علي احمد شكري ، (دار البصري ، بغداد ١٩٦٣) .

٤- العسكري ، تحسين ، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية (مطبعة العهد ، بغداد ، ١٩٣٦) .

٥- العسكري ، جعفر ، مذكرات جعفر العسكري ، تحقيق وتقديم نجدة فتحي صفوة ، (دار السلام ، لندن ، ١٩٨٨) .

٦- الغصين ، فائز ، مذكراتي عن الثورة العربية (مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٦) .

٧- فيضي ، سليمان ، في غمرة النضال ، مذكرات سليمان فيضي ، بغداد ، ١٩٥٢.

٨- قدري ، أحمد ، مذكراتي عن الثورة العربية (مطابع ابن زيدون ، دمشق ، ١٩٥٦) .

خامسا - الكتب العربية والمترجمة :

١- احد اعضاء الجمعيات العربية السورية ، ثورة العرب ضد الاتراك ، مقدماتها ، اسبابها ، نتائجها ، حققة وقدم له الدكتور محمد شبارو (دار مصباح الفكر ، بيروت ١٩٨٧) .

٢- ارسلان ، شكيب ، الارتسامات اللطاف في خاطر الحاج الى اقدس مطاف ، وقف على تصميمها وعلق على بعض

حواشيها السيد محمد رشيد رضا (مطبعة المنار، القاهرة ، ١٣٥٠ هـ) .

٣- ـــــــــ تعليقات على كتاب حاضر العالم الاسلامي ، لثروب ستوارد ، ترجمة عجاج نويهض (دار الفكر ، بيروت ، ط ٨ ، ١٩٧٣) .

٤- ـــــــــ سير ذاتيه ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٥- الازرقي ، محمد بن عبد الله ، تاريخ مكة ، بيروت ، ١٩٦٤ .

٦- الاسد ، ناصر الدين ، الثورة العربية الكبرى والادب في : دراسات الثورة العربية الكبرى (الشركة الاردنية العالمية للنشر والتوزيع ، عمان ، ١٩٦٧).

٧- الاعظمي ، أحمد عزت ، القضية العربية ، أسبابها ، مقدماتها ، تطورها ونتائجها (مطبعة الشعب ، بغداد ،١٩٣٤) .

٨- آلماوتلين ، عبد الحميد ظل الله في الارض ، ترجمة راسم رشدى (دار النيل للطباعة ، القاهرة ، د . ت).

٩- انطونيوس ، جورج ، يقظة العرب ، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة الدكتور ناصر الدين الاسد والدكتور احسان عباس (دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٦ ، ١٩٨٠) .

١٠- انيس ، محمد وحراز ، رجب ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر (دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧) .

١١- انيس ، محمد ، الدولة العثمانية والشرق العربي ١٥١٤-١٩١٤ (المكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، د . ت) .

١٢- باشا ، ابراهيم رفعت ، مرآة الحرمين او الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية (مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م) .

١٣- البتنوني ، محمد لبيب ، الرحلة الحجازية (المطبعة الجمالية بمصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٣١٩هـ / ١٩١١م) .
١٤- البركاتي ، شريف عبد المحسن ، الرحلة اليمانية (المكتبة الاسلامية للطباعة والنشر ، دمشق ، ط٢،١٩٦٤) .
١٥- برو ، توفيق علي ، العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨-١٩١٤ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، ١٩٦٧.
١٦- بوند رافسكي ، الغرب ضد العالم الاسلامي من الحملات الصليبية حتى يومنا ، ترجمة الياس شاهين (مسكو ، دار التقدم ١٩٨٥).
١٧- البيطار ، الشيخ عبد الرزاق ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر حققه وعلق عليه حفيده محمد بهجت البيطار (مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ، ١٩٦٣) .
١٨- بيهم ، محمد جميل ، الحلقة المفقودة في تاريخ العرب (شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ١٩٥٠) .
١٩- ـــــــــــ سورية ولبنان ١٩١٨-١٩٢٢ (دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨) .
٢٠- تايلر ، الصراع على السيادة في أوروبا ١٨٤٨- ١٩١٨ ، ترجمة كاظم هاشم نعمة ويوئيل يوسف عزيز ، الموصل ، ١٩٨٠.
٢١- تشايلدز ، ارسكين ، فيصل الاول ملك العراق ، ترجمة عمر ابو النصر ، (المكتبة الاهلية ، بيروت ، ١٩٣٤).
٢٢- ثابت ، كريم ، فيصل (المكتبة العصرية ، بغداد ، ١٩٣٣) .
٢٣- جارشلي ، اسماعيل حقي اوزون ، امراء مكة في العهد العثماني ، ترجمة عن التركية الدكتور خليل علي مراد ،

(منشورات مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ، مطبعة جامعة البصرة ، ١٩٨٦).
٢٤- جريدة الايام ، الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، (مطبعة الايام ، دمشق ، د . ت) .
٢٥- الجميل ، سيار ، العثمانيون وتكوين العرب الحديث ، من أجل بحث رؤيوى معاصر ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ، ١٩٨٩).
٢٦- حراز ، رجب،الدولة العثمانية وشبه الجزيرة العربية ، ١٨٤٠- ١٩٠٩ ، القاهرة ،١٩٧٠ .
٢٧- الحكيم ، يوسف ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، بيروت ، ١٩٦٤.
٢٨- حمادة ، محمد عابدين وظبيان ، محمد تيسير ، فيصل بن الحسين من المهد الى اللحد ، (دمشق ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٣) .
٢٩- حمزة ، فؤاد ، قلب الجزيرة العربية ، مكة المكرمة ، ١٩٣٣.
٣٠- الخترش ، فتوح عبد المحسن ، العلاقات السعودية - اليمنية ١٩٢٦ - ١٩٣٤ (منشورات السلاسل ، الكويت ، ١٩٨٣) .
٣١- الخولي ، حسن صبري ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين (دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٣٢) .
٣٢- داغر ، اسعد ، ثورة العرب (مطبعة المعظم ، مصر ، ١٩١٦).
٣٣- دروزة ، محمد عزة ، نشأة الحركة القومية الحديثة (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٧١) .

٣٤- الدسوقي ، محمد كامل ، السياسة الدولية وفلسطين (دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٦) .
٣٥- دنجتون ، ريتشارد ، لورنس في البلاد العربية ، تعريب محمود عزت موسى (د.م ، د.ت) .
٣٦- الدوري ، عبد العزيز ، التكوين التاريخي للامة العربية : دراسة في الهوية والوعي ، (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٨٤).
٣٧- دى غورى ، جرالدى ، ثلاثة ملوك في بغداد ، ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي ، دار المثنى للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٣.
٣٨- الرافعي ، عبد الرحمن ، عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٣٠ .
٣٩- الراوي ، آمر اللواء الركن المتقاعد ابراهيم ، من الثورة العربية الكبرى الى العراق الحديث ، (مطبعة دار الكتب ، بيروت ، ١٩٦٩).
٤٠- رفيع ، محمد محمد ، مكة في القرن الرابع عشر الهجري في : المنتقي في أخبار ام القرى ، تحقيق وتعليق وتعقيب محمد عبد الله مليبارى ، (مطابع الصفا ، مكة المكرمة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥) .
٤١- رمضان ، محمد رفعت ، علي بك الكبير ، (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠) .
٤٢- الريحاني ، أمين ، فيصل الاول (مطبعة صادر ، بيروت ، ١٩٣٤).
٤٣- ــــــــــ ملوك العرب ، بيروت ، ١٩٢٩) ؟

٤٤- الريمــــاوي ، ســــهيله ، جمعيــــة العربيــــة الفتــــاه الســــرية ، دراســـة وثائقيــــة ١٩٠٩ – ١٩١٨ ، (دار مجــــدلاوي للنشــــر والاعــــلان ، عمــــان ، الاردن ، ١٩٨٨) .
٤٥- زايــد ، محمــود ، احــداث الثــورة العربيــة الكــبرى مــن اعلانهــا الــى دخــول فيصــل دمشــق ، دراســات فــي الثــورة العربيــة الكــبرى (منشــورات الشــركة الاردنيــة العالميــة للنشــر والتوزيــع ، عمــان ، ١٩٦٧) .
٤٦- الزبيــدي ، محمــد حسـين ، مولــود مخلــص باشــا ودوره فــي الثــورة العربيــة الكــبرى وتــاريخ العــراق المعــاصر ، (دار الحريــة للطباعــة ، بغــداد ، ١٩٨٩) .
٤٧- الزركلــي ، خــير الديــن ، مــا رأيــت ومــا ســمعت (المطبعــة العربيــة مصــر ، ١٩٢٣) .
٤٨- زكــي ، عبــد الرحمــن ، التــاريخ الحربــي لعصــر محمــد علــي الكبــير القــاهرة ، ١٩٥٠ .
٤٩- زيــن ، نــوري الديــن زيــن ، اســباب الــثورة العربيــة الكــبرى (الشــركة الاردنيــة العالميــة للنشــر والتوزيــع ، عمــان ١٩٦٥) .
٥٠- ـــــــــــ ، الصــــراع الدولــي علــى الشــرق الاوســط وولادة دولتــي ســوريا ولبنــان (دار النهــار ، بــيروت ، ١٩٧١) .
٥١- ـــــــــــ نشــوء القوميــة العربيــة ، (دار النهــار ، بــيروت ١٩٦٨).
٥٢- الســباعي ، أحمــد ، تــاريخ مكــه ، (مطــابع دار قريــش مكــه ، ١٣٨٥.
٥٣- الســوداني ، صــادق حســن ، العلاقــات العراقيــة – الســعودية (١٩٢١ – ١٩٣١ ، دراســة فــي العلاقــات السياســية (دار الجــاحظ ، بغــداد ، ١٩٧٥).

٥٤- سعيد أمين ، اسرار الثورة العربية الكبرى ومآساة الشريف حسين (دار الكاتب العربي ، بيروت ، د.ت) .
٥٥- ــــــــ ، تاريخ الدولة السعودية ، (دار الكاتب العربي بيروت ، د.ت) .
٥٦- ــــــــ ثورات العرب في القرن العشرين (دار الهلال القاهرة ، د .ت).
٥٧- ــــــــ الثورة العربية الكبرى ، القاهرة ، ١٩٣٤ .
٥٨- شبيكة ، مكي العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الاولى (دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١) .
٥٩- الشريقي ، ابرهيم ، الثورة العربية الكبرى دوافعها وحصادها (الدراسات العربية ، موسسة العرب ، لندن ، ١٩٨٤).
٦٠- شكر ، ابراهيم صالح ، قلم وزير ، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق ، عرض خالد محسن اسماعيل (مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٧٠) .
٦١- الشناوي ، عبد العزيز محمد ، الدولة العثمانية دولة مفترى عليها ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢،١٩٨٦) .
٦٢- الشهابي ، الامير مصطفى ، محاضرات في الاستعمار (مع الدراسات العربية العالمية ، القاهرة ، ١٩٥٧) .
٦٣- صايغ ، انيس ، الهاشميون والقضية الفلسطينية ، (المكتب العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦) .
٦٤- ــــــــ ، الهاشميون والثورة العربية الكبرى ، (المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦٦).
٦٥- صبيح ، محمد ، بطل لا ننساه - عزيزٌ علي المصري وعصره (المكتبة العصرية ، بيروت ، صيدا ، ١٩٧١).

٦٦- ـــــــــــ فيصل الاول (دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، د. ت).
٦٧- الصواف ، فائق بكر ، العلاقات بين الدولة العثمانية واقليم الحجاز في الفترة ما بين ١٢٩٣- ١٣٣٤ هـ / ١٨٧٦-١٩١٦م) مكة المكرمة ، ١٩٧٨.
٦٨- طربين ، احمد ، الوحدة العربية ١٩١٦ - ١٩٥٨ ، دمشق ، ١٩٦٦.
٦٩- طلاس ، مصطفى ، الثورة العربية الكبرى (دار طلاس ، ط ٢ ١٩٨٧).
٧٠- طلس ، محمد أسعد ، تاريخ الأمة العربية ، عصر الانبعاث (دار الاندلس ، بيروت ، ١٩٦٣) .
٧١- عاشور ، سعيد عبد الفتاح ، العصر المملوكي في مصر والشام القاهرة ، ١٩٦٥ .
٧٢- عبد الغني ، عارف ، تاريخ امراء مكة المكرمة من ٨ هـ - ١٢٤٤ هـ ، (مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٨٦.
٧٣- عبد الكريم ، أحمد عزت ، دراسات في تاريخ العرب الحديث بيروت ، ١٩٧٠ .
٧٤- عشماوي ، محمد عبد الباقي ، الوطن العربي بين وحدتين عثمانية وعربية ، (مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٨) .
٧٥- عطيه ، ادوار ، العرب ، ترجمة محمد قنديل البقلي (الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١) .
٧٦- العقيلي ، محمد احمد بن عيسى ، المخلاف السليماني او الجنوب العربي في التاريخ (القاهرة ، ١٩٦١) .

٧٧- العمري ، محمد طاهر ، مقدرات العراق السياسية ، (المطبعة العصرية ، بغداد ، ١٩٢٥).
٧٨- العوينات ، منيره عبد الله ، علاقات نجد بالقوى المحيطه ١٣١٩-١٣٣٢/١٩٠٢-١٩١٤ م (ذات السلاسل ، الكويت ، ١٩٩٠) .
٧٩- غربال ، محمد شفيق ، عصر محمد علي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
٨٠- فارس ، نبيه أمين وحسن ، محمد توفيق ، هذا العالم العربي ، (دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٥٣) .
٨١- فرحات ، عبد الكريم ، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب ، القاهرة ، (مكتبة دار الثقات ، عمان ، ١٩٩٠) .
٨٢- ـــــــ السياسة الفرنسية تجاه الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩٢٠ ، (دار المراتب الجامعية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧).
٨٣- فرنو ، ف . و ، يقظة العالم الاسلامي ، ترجمة صبيح شعبان ، (دار الحكمة ، بيروت ، ١٩٥٦).
٨٤- فواد ، علي ، كيف غزونا مصر ، ترجمة نجيب الارمنازي ، (دار الكتاب الجديد ، القاهرة ، ١٩٦٢).
٨٥- فيضي ، سليمان ، التحفة الايقاظية في الرحلة الحجازية (المطبعة المحمودية ، البصرة ، ١٣٣١ هـ / ١٩١٣).
٨٦- قاسمية ، خيرية ، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، (دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ١٩٧١) .
٨٧- القلعجي ، قدري ، جيل الفداء ، قصة الثورة العربية الكبر ونهضة العرب ، (دار الكتاب العربي ، عمان الاردن ، ١٩٦٧).

٨٨- كوثراني ، وجيه ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ - ١٩٢٠ ، (معهد الانماء العربي ، بيروت ، ١٩٧٦).
٨٩- لوتسكي ، فلاديمير بوريد فيتش ، تاريخ الاقطار العربية الحديث ، ترجمة الدكتور عفيف البستاني (دار التقدم ، موسكو - بيروت ١٩٨٠).
٩٠- لورنس ، ت . آ ، اعمده الحكمة السبعة ، (المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، بيروت ، ١٩٦٣).
٩١- مالكون ، جبران ، جلالة الملك عبد الله المعظم واستقلال المملكة الاردنية الهاشمية (مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٤٨).
٩٢- المحامي ، محمود كامل ، الدولة العربية الكبرى ، (دار المعارف ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٦٦).
٩٣- محمد علي ، أورخان ، السلطان عبد الحميد الثاني حياته واحدث عصره ، بغداد ، ١٩٨٧ .
٩٤- محمد ، علاء جاسم ، الملك فيصل الاول حياته ودوره السياسي في الثورة العربية وسوريا والعراق ١٨٨٣- ١٩٣٣ (مكتبة اليقظة العربية ، بغداد ، ١٩٩٠).
٩٥- المختار ، صلاح الدين ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، (منشورات مكتبة الحياه ، بيروت ، د.ت).
٩٦- مدير شعبة فيلق قوات المرتبة الاولى في الحجاز ، الثورة العربية على الدولة العثمانية ، تعريب محي الدين ميداني ، بيروت ، ١٩٣٣.
٩٧- مصطفى ، حامد ، الجهاد في الاسلام ، ماضيه وحاضره ، (مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٤٨).

٩٨- مصطفى ، عبد المنعم ، لورنس قصة حياته وحقيقة موقعه من الثورة العربية (دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٩٠) .
٩٩- منسي ، محمود صالح ، حركة اليقظة العربية في الشرق الاسيوى (دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٥).
١٠٠- موريس ، جيمس ، الملوك الهاشميون ، (منشورات المكتب العالمي للترجمة والنشر بيروت ، د . ت).
١٠١- موسى ، سليمان ، الثورة العربية الكبرى ، الحرب في الحجاز ١٩١٦-١٩١٨ ، عمان ، ١٩٨٩ .
١٠٢- ________ ، الثورة العربية الكبرى ، وثائق واسانيد (دار الثقافة والفنون ، عمان ، ١٩٦٦).
١٠٣- ________ ، الحسين بن علي والثورة العربية ، عمان ، لجنة تاريخ الاردن ، ط٢ ، ١٩٩٢ .
١٠٤- ________ ، الحركة العربية ، سيرة المرحلة الاولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤ ، بيروت ، دار النهار ، ١٩٧٧.
١٠٥- ________ ، غربيون في بلاد العرب ، (منشورات دار الثقافة والفنون ، المطبعة الوطنية ، عمان ، ١٩٦٩).
١٠٦- ________ ، لورنس والعرب وجهة نظر عربية (عمان ، ١٩٦٢).
١٠٧- ________ ، المراسلات التاريخية ١٩١٤- ١٩١٨ ، (عمان ، الاردن ، ١٩٧٧).
١٠٨- ناصيف ، حسين محمد ، ماضي الحجاز وحاضره (مطبعة خضير ، مصر ، ١٣٤٩ هـ) .
١٠٩- نديم ، العقيد الركن شكري محمود ، حرب فلسطين ، (شركة النبراس للنشر والتوزيع ، بغداد ، ط٤،١٩٧٤).

١١٠- نايتلي ، فليب وسمبسون،كولن،المخفي من حياة لورنس العرب ترجمة ايلي لاندواابراهيم العابد ، (الموسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧١).
١١١- النجار ، ابراهيم سليم ، الملك فيصل الاول (بغداد ، د . ت).
١١٢- نجيب ، أحمد وقاسم ، أحمد ، التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ .
١١٣- النعيمي ، احمد نوري ، اثر الاقلية اليهودية في سياسة الدولة العثمانية تجاه فلسطين ، بغداد ، ١٩٨٢ .
١١٤- الوردى ، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث (مطبعة الشعب ، بغداد ، د . ت).
١١٥- وهبة ، حافظ ، جزيرة العرب في القرن العشرين ، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦١).
١١٦- وهيم ، محمد طالب ، مملكة الحجاز (١٩١٦ – ١٩٢٥) ، دارسة في الاوضاع السياسة ، البصرة ، ١٩٨٢ .
١١٧- يحيى ، جلال ، الثورة العربية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
١١٨- يعقوب ، هارولد . ف ، ملوك شبه الجزيرة العربية ، ترجمة احمد المعنواحي ، مركز دراسات البحوث اليمني – صنعاء ، (دار العودة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨).

سادسا – الرسائل الجامعية :

١- حسن ، سعد كاظم ، الملك فيصل الاول ودوره في الثورة العربية ، رسالة ماجستير ، مقدم الى معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ١٩٨٨.
٢- عبيد ، جبار يحي ، التاريخ السياسي لامارة حائل ١٨٣٢ – ١٩٢١ رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ١٩٨٧.

٣- العلمي ، احمد حسين ، حركة الاستقلال العربي ، دراسات تاريخية في مفهوم الاستقلال في فكر الاحزاب والجمعيات العربية ١٩٠٨ - ١٩١٩ ، رسالة ماجستير ، معهد الدراسات القومية والاشتراكية ، الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٨.

٤- محمد ، علاء جاسم ، جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق ١٩٢٠-١٩٣٦ ، رسالة ماجستير ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٥ .

سابعا – الدوريات العربية :

١- الزيلعي ، أحمد بن عمر ، نظام المشاركة في الحكم لدى اشراف مكة ٦٤٧-٩٢٣ هـ / ١٢٤٩-١٥١٧ م ، مجلة المدارة .

٢- السعدون ، خالد حمود ، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز اسبابها ، تطورها ، خلال عامي ١٣٢٦ هـ - ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٨ م - ١٩٠٩م ، مجلة الدارة ، العدد الثاني ، السنة الرابعة عشرة ، آب ١٩٨٨.

٣- شريف ، طه ، الاحداث العربية في تاريخها الحديث ، سلسلة اخترنا لك ، العدد (٥١) ، القاهرة ، د .ت .

٤- الملك عبد الله ، مجلة الهلال ، القاهرة ، نيسان ١٩٣٩ .

٥- منسي ، محمود صالح ، موقف أهل الشام من التبعية للحجاز ابان الحرب العالمية الاولى ، مجلة الشرق الاوسط ، جامعة عين شمس ، العدد الثاني ١٩٧٥ .

٦- النجار ، مصطفى عبد القادر ، فكرة الثورة العربية لعام ١٩١٦ واستقلال العرب ، مجلة المستقبل العربي ، العدد ١٣٨٣ ، السنة الثامنة ، العدد ٨١ ، تشرين الثاني ١٩٨٥ .

ثامنــا – الموســوعات العربيــة :

– موســعة المعــارف الاســلامية ، الطبعــة العربيــة .

تاســعا – الصحــف العربيــة :

ت	اسم الصحيفة	مكان الصدور	العدد	تاريخ الصدور
١–	الاستقلال	بغداد	١٢٢٤	٥ كانون الثاني ١٩٢٧
٢–	كذا	كذا	١٢٢٥	٥ كانون الثاني ١٩٢٧
٣–	=	=	١٩٦٧	١٣ أيلـــول ١٩٣٣
٤–	العالم العربي	=	٤٣٧	٢٥ آب ١٩٢٥
٥–	القبلة	الحجاز	١	١٥ شـــوال ١٣٣٤
٦–	كذا	كذا	٢	١٨ شـــوال ١٣٣٤
٧–	=	=	٩	١٤ ذي القعدة ١٣٣٤
٨–	=	=	١١	٢١ ذي القعدة ١٣٣٤
٩–	=	=	١٣	٢٥ ذي القعدة ١٣٣٤
١٠–	=	=	١٧	١٦ ذي الحجة ١٣٣٤
١١–	=	=	٢٠	٢٦ ذي الحجة ١٣٣٤
١٢–	=	=	٢٢	٣ محـــرم ١٣٣٥
١٣–	=	=	٢٣	٦ محـــرم ١٣٣٥
١٤–	=	=	٢٧	٢٠ محـــرم ١٣٣٥
١٥–	=	=	٣١	٤ صفـــر ١٣٣٥
١٦–	=	=	٣٩	٣ ربيع الاول ١٣٣٥
١٧–	=	=	١٣٠	٤ صفـــر ١٣٣٦
١٨–	=	=	١٨٨	٢ رمضـــان ١٣٣٦
١٩–	=	=	٣٠٠	١٣ شـــوال ١٣٣٧

عاشرا - الكتب الاجنبية :

1. Baker , Randall , King Husain and the Kingdom of Hejaz, the oleander press, 1979.

2. Bermond (ed) , Le Hedaz dans La Guerre mondial payot, paris, 1931 .

3- Dawn , G. Ernest , From Ottomanism to Arabsim , London, 1973 .

4. Philby, H. st. J. Arabia, London , 1930.

5. Hawort , D.,the Desert King, London , 1964.

6. Hogarth , David George , Hejaz before world War (Falcon, oleander , 1978).

7. Lewis,Bernard,The Emergence of Modern Turkey Royal Instritute, International Affairs, U.k,U.S.A, 1968.

8. George Lioyd, The Truth about the peace treaties Vol 2, London , 1938.

9. Richard , Sohofidd and Gerald Blake , Arabian Boundoniss : Primary Documents 1853 - 1957.Vo 12 (Avehive Editions) England , 1988.

10. Still,George , A Prince of Arabia. London , 1948.

احد عشر- الدوريات الاجنبية :

1. Abir . M, the Arab Rebellion of Amir Ghalib of Mecca (1788-1813) , Middle Eastern Studies, Vo1.7.No.2.May,1971.

2. Abu-Manneh , Butrus, Sultan Abdulhmaid and The Sharifs of Mecca 1850-1900 , Asian and African Studies, Vo1, 9, No. 1. , 1973.

المطابـع العسكريـه